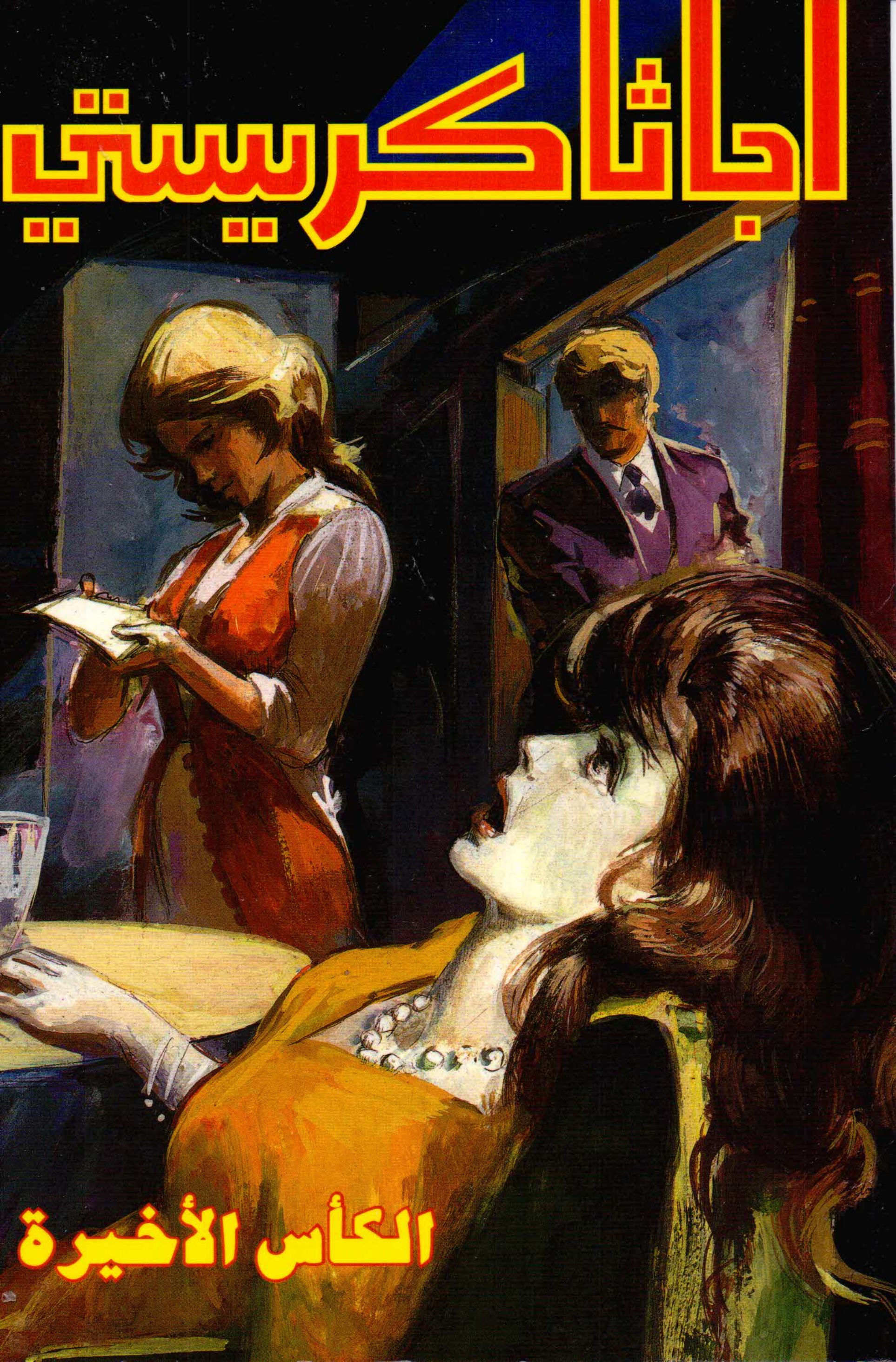

اجاثا كريستي
الكأس الأخيرة



لقد جلس هؤلاء الستة حول مائدة مستديرة بنادٍ ليلي فخم لتناول العشاء في مائدة مخصصة لسبعة أفراد، بينما ظل هذا المقعد شاغرًا ، وقد وضع أمامه ورقة من نبات الروز ماري في الذكرى العطرة لـ "روز ماري بارتون" التي توفيت على نفس المائدة في ذات الوقت من السنة الماضية، والتي لا يمكن لأي من الحاضرين أن ينسى وجهها على الإطلاق، أو عن حياتها الرائعة ولكن مَنْ منهم لديه النية في قتلها على وجه التحديد؟

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال



الكأس الأخيرة

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الكأس الأخيرة

(74)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **محمد نصر الدين ومحمد الجندي**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

Sparking Cyanide

(1945)

الغلاف بريشة الفنان

محمد شهدي

- 1 -

(ماذا في وسعي أن أفعل لأبعد عن عيني هذه الذكريات)

كانت "**أيريس مارل**" تفكر في شقيقتها ، "**روز ماري**" . ولمدة عام كانت تحاول في إصرار أن تبعد عن ذهنها صورة "**روز ماري**" ؛ إذ لم تكن تريد أن تذكر شيئا مما كان .

إنها لذكرى جد مؤلمة .. جد مفزعة !

هذا الوجه الأزرق المحتقن ، وتلك الأصابع المنقبضة المتصلبة ..

إن التناقض يبدو واضحا بين "**روز ماري**" في هذه الحالة ، وبين "**روز ماري**" المرحة في اليوم السابق .. وإن لم تكن في مرحها المألوف ؛إذ كانت مصابة بالـ"**إنفلونزا**" ولم تكن كعادتها .. إلى آخر ما قيل من هذا القبيل في التحقيق . وكانت "**أيريس**" قد حرصت على ترديد ذلك . ولقد كان لهذه الظاهرة أكبر الأثر في ترجيح كفة الانتحار .

وما إن انتهت الوليمة ، حتى عمدت "**أيريس**" إلى تجاهل الأمر كله . فماذا يجدي استعادة شيء منه ؟ إنها يجب أن تنسى كل ما حدث ! تنسى أمر هذا الحادث الرهيب .

غير أنها تدرك الآن أن عليها أن تستعيد ما كان .. وأن تنقب في زوايا ذاكرتها عن كل صغيرة وكبيرة تتصل بهذا الحادث ..

إن هذا اللقاء العارض بـ"**جورج**" في الليلة الماضية قد استوجب ذلك .

لقد كان لقاء غير منتظر . مهلا ... هل كان حقا غير متوقع ؟ ألم يكن ثمة ما ينبئ به شرود ذهن "**جورج**" المتزايد وتصرفاته التي لا سند لها .. وغرابة أطواره ؟

كل هذا كان لابد أن يسفر عنه لقاء الليلة الماضية ، حينما دعاها إلى غرفة مكتبه وأخرج تلك الرسائل من حيث كان يودعها .

وهكذا ، لم يكن ثمة مفر من هذا ، وكان عليها أن تعود لتحيي ذكرى "**روز ماري**" في ذهنها – وأن تستعيد ذكرياتها عنها، "**روز ماري**" شقيقتها ..

واستبدت الدهشة بـ"**أيريس**" عندما تحققت فجأة من أنها لأول مرة في حياتها تفكر في "**روز ماري**" تفكيرا جديا . تفكر فيها تفكيرا موضوعيا ، ككائن حي .

لقد كان وجود "**روز ماري**" بالنسبة إليها أمرا مسلما به . إنك لا تفكر في وجود أمك أو أبيك ، أو أختك وأخيك . إن وجودهم أمر مسلم به في علاقاتك العائلية. إنك لا تفكر فيهم كأناس لهم كيانهم ، ولا تسأل نفسك عما يبدون به ، أي عن حقيقة أمرهم. ترى من أي طراز كانت "**روز ماري**" ؟ وماذا كانت حقيقة أمرها ؟

إن هذا قد يكون الآن بالغ الأهمية . إن الكثير ليتوقف على الإجابة عن هذا السؤال . وعادت الذكرى بـ "**أيريس**" إلى الماضي ، وإلى الأيام الخوالي من طفولتها هي و "**روز**

ماري " .. لقد كانت "**روز ماري**" تكبرها بستة أعوام .

وعادت إليها لمحات من هذا الماضي ، وومضات قصار من تلك الأيام – حينما كانت هي طفلة تطعم الخبز واللبن ، و "**روز ماري**" تجلس إلى مكتبها تستذكر دروسها .

ثم ما كان من صيف على شاطئ البحر – حينما تملك الحسد من نفس "**أيريس**" لأن "**روز ماري**" الفتاة اليافعة ! قادرة على السباحة !

ثم ما كان من إلحاق "**روز ماري**" بمدرسة داخلية – وعودتها إلى المنزل في أيام الإجازات – حين ألحقت هي الأخرى بمدرستها وما كان بعد ذلك من انتهاء "**روز ماري**" من دراستها في "**باريس**" وعودتها منها بقوام فارع ، ورشاقة تلفت النظر ، وصوت ناعم دافئ وخطوات تتمايل بها في إعجاب بصاحبتها ، وشعر ذهبي أحمر، وعينين زرقاوين جذابتين . لقد عادت في صورة أخاذة بعد أن نشأت وترعرعت في عالم يختلف عن عالمهم ! ومنذ ذلك اليوم قل اللقاء بينهما، وأصبحت ثغرة السنوات الست ، فارق العمر بينهما، عريضة واسعة لا تيسر لهما سبيل الاجتماع كثيرا .

وكانت "**أيريس**" لا تزال تتلقى العلم بالمدرسة ، بينما كانت "**روز ماري**" في الأعوام الأولى من مقتبل العمر . و حتى عند عودة "**أيريس**" إلى المنزل ، كان اللقاء يعز بينهما . فقد كانت حياة "**روز ماري**" حياة الفتاة التي تستيقظ من نومها في ساعة متأخرة والتي تمضي معظم أمسياتها في اللهو والرقص ، أما "**أيريس**" . فقد كانت الطالبة المجدة ، التي لا تعرف غير تمضية الوقت في المنتزهات ، وتناول العشاء في الساعة التاسعة قبل أن تأوي إلى فراشها في العاشرة .

ثم كانت خطبة "**روز ماري**" إلى "**جورج بارتون**" ، وما أعقبها من انشغال بالإعداد لما بعدها من متطلبات الحياة الزوجية .

وإنها لتذكر ، فيما تذكر يوم الزفاف ، يوم سارت في أعقاب "**روز ماري**" إلى المذبح في الكنيسة وقد سمعت ما يهمس به القوم :

– يالها من عروس جميلة .. !

لماذا تزوجت "**روز ماري**" من " **جورج** " ؟ كثيرا ما تساءلت "**أيريس**" فيما بينها وبين نفسها عن ذلك . لقد كان هناك كثير من الشبان ، يحيطون بـ "**روز ماري**" ، ويصطحبونها في دعوتهم لها للعشاء ، وكانوا أرجح كفة منه بما لهم من مميزات يتفوقون بها عليه . فلماذا وقع اختيارها على "**جورج بارتون**" الذي يكبرها بخمسة عشر عاما ، وفيم كان ترجيحها لكفته ؟ لقد كان " **جورج**" رقيق الحاشية ، في حالة مالية حسنة ، غير أن المال لم يكن هو ما رجحت به كفته ، لأن "**روز ماري**" كانت تمتلك الكثير من

المال ، تلك الثروة التي تلقتها عن العم " **بول** " .

وأجهدت "**أيريس**" ذهنها وهي تستعرض كل هذه الأمور .

وعنيت بمقارنة ما تعرفه الآن ، وما كانت تعرفه آنذاك . ومن هذا القبيل ، ذاك العم " **بول** " .

إنه لم يكن بالعم الحقيقي كما كانت تعرف ذلك دائما .

وكانت "**أيريس**" تلم بكثير من الحقائق . لقد كان "**بول بينيت**" من المدلهين في حب أمها . غير أنها فضلت عليه رجلا آخر رقيق الحال ، وتلقى "**بول بينيت**" هذه الهزيمة بروح عالية وظل مقيما على صداقته للأسرة ، وعلى ولائه الأفلاطوني الرومانتيكي لها . وأصبح بالنسبة إليهم العم " **بول** " وكان أبا روحيا لـ "**روز ماري**" . المولودة الأولى للأسرة . وعند وفاته اتضح أنه ترك ثروته لابنته الروحية ، التي لم تتجاوز حينئذ الثالثة عشرة من عمرها . وهكذا جمعت "**روز ماري**" بين المال والجمال . وها هي ذي تتزوج من"**جورج بارتون**" الذي لم يكن فيه ما يثير .

فلماذا ؟ هذا ما تتساءل عنه "**أيريس**" ، التي لم تصدق في يوم من الأيام أن "**روز ماري**" كانت تحبه ، ومع ذلك فقد كانت تبدو سعيدة بزواجها مغرمة به . أجل – مغرمة به بكل معنى الكلمة . وسنحت الفرصة لـ "**أيريس**" لكي تعرف كل شيء لأنها بعد الزواج بعام ، ذهبت للإقامة مع "**روز ماري**" وزوجها إثر وفاة "**فيولا مارل**" – و كانت "**أيريس**" في السابعة عشرة من عمرها . وحاولت "**أيريس**" أن تستعيد لنفسها صورتها وهي في هذه السن . كيف كانت تبدو ؟ وماذا كان شعورها وكيف كانت تفكر ؟

وانتهى بها تفكيرها إلى أن" : **أيريس مارل** " الفتاة اليافعة كانت بطيئة التطور والنمو – لا تفكر في شيء ، وتأخذ الأشياء كما هي ، وكما تبدو من ظاهرها . ومن هذا القبيل أنها لم تلق بالا إلى إيثار والدتها لـ "**روز ماري**" وشدة حدبها عليها . ولقد تقبلت بقبول حسن ، ودون تردد ، حقيقة الأمر من أن "**روز ماري**" هي الابنة المفضلة . وكانت لا ترى غضاضة في ذلك ممنية نفسها بأن دورها سيأتي في يوم ما . وكانت والدتهما معتلة الصحة ، تعهد بأطفالها إلى المربيات ، وتكل أمرهم إلى المدارس ، ولا تمنحهم من وقتها إلا القليل وكان الأب ، "**هكتور مارل**" ، قد توفي حينما بلغت "**أيريس**" الخامسة من عمرها . ولقد عرفت فيما بعد أنه كان مدمنا الشراب إدمانا أساء إلى صحته ، وعجل بموته . وهكذا استسلمت "**أيريس مارل**" ، البالغة من العمر السابعة عشرة ، لقدرها وارتدت السواد لوفاة والدتها ، وذهبت لتقيم مع شقيقتها وزوج شقيقتها في بيتهما بميدان " **فاستون**" .

وكانت تشعر أحيانا بأن جو هذا البيت مقبض معتم . وكان المفترض أن تلزم "**أيريس**" دارها طوال عام بأسره . وانتهزت هذه الفرصة لتتعلم الفرنسية والألمانية ، وتتلقى دورسا في الشؤون المنزلية . وكانت تمر بها أوقات لا تجد فيها من تبادله الحديث ، ولا تجد فيها ما تفعله . وكان "**جورج**" عطوفا شديد الحدب عليها . ولم يتغير موقفه هذا منها، لا في الماضي ولا في الحاضر .

و "**روز ماري**" ؟ إن "**أيريس**" لم تكن تلتقي بها إلا قليلا . فقد كانت "**روز ماري**" كثيرة التردد على صانعات الثياب ، وعلى حفلات الكوكتيل والبريدج .

فماذا كانت تعرف عن "**روز ماري**" عندما بدأت تستعيد ما تعرفه عنها ؟

ماذا تعرف عن ميولها ، وعن أمانيها ، وعن مخاوفها ؟ إنه لمما يثقل على النفس، ألا تعرف إلا القليل عمن تقيم معهم في بيت واحد ! إن العلاقة بين الشقيقتين لم تكن وثيقة الصلة غير أن عليها الآن أن تجهد ذهنها في محاولة تذكرها أي شيء قد يكون له أهمية فيما هي بصدده .

وأول ما يتبادر إلى ذهنها من ذلك ، أن ، "**روز ماري**" كانت تبدو سعيدة بما لا يدع مجالا للشك .. وإلى هذا اليوم ... اليوم السابق بأسبوع لما حدث .

إن "**أيريس**" ، لن تنسى هذا اليوم على مر الزمن . إنه يبرز من بين أيام حياتها واضحا جليا – بكل دقائقه ، وبكل كلماته بتلك المنضدة اللامعة ، وبذلك المقعد المرتد إلى الوراء وبهذه الكتابة المتسمة بالسرعة .

وأطبقت "**أيريس**" عينيها ، لتستعيد المشهد السابق .. دخولها إلى غرفة جلوس "**روز ماري**" ، وتوقفها فجأة لقد فوجئت بما وقع عليه نظرها ! "**روز ماري**" جالسة إلى منضدة الكتابة ، وقد ألقت برأسها فوق ذراعيها ، منخرطة في بكاء عميق . ولم تكن قد رأت "**روز ماري**" تبكي من قبل الأمر الذي ملأ قلبها خوفا .

صحيح أن "**روز ماري**" كانت مصابة بـ"**الإنفلونزا**" ، التي لم تشف منها إلا قريبا . وكلنا يعرف أن "**الإنفلونزا**" تخلف أثرا من الانقباض النفسي . إلا أن ..

وصاحت "**أيريس**" في لهجة أقرب ما تكون إلى لهجة طفل فزع :

ماخطبك ، ؟ "

واعتدلت "**روز ماري**" في مقعدها ، وأزاحت بيدها خصلات شعرها التي تتدلى فوق وجهها ، وحاولت أن تستعيد السيطرة على نفسها . وأسرعت قائلة : "لا شيء – لا تحملقي إلى وجهي هكذا ! " .

وتقدمت "**أيريس**" بضع خطوات داخل الغرفة . وقد استبدت بها الدهشة وتملكتها

الحيرة ، واستقرت بعينيها على منضدة الكتابة ، لترى اسمها بين ما كانت تقوم شقيقتها بتحريره . وترى هل كانت "**روز ماري**" تقوم بالكتابة إليها حينذاك؟

واقتربت من المنضدة وتأملت الصفحة الزرقاء وما عليها من كتابة بخط يد "**روز ماري**" التي كانت تعرفه جيدا ، وتبينت من دقائقه أن "**روز ماري**" كانت تقوم بالكتابة وهي في عجلة من أمرها .

" عزيزتي "**أيريس**" :

لا مجال لقيامي بتحرير وصية ، لأن أموالي ستؤول إليك بوسيلة أو بأخرى ، غير أنني أريد أن أتثبت من أن بعض حاجاتي ستعطى لأفراد معينين .

فإلى "**جورج**" ، أريد أن تسلم الجواهر التي أهداني إياها ، وكذلك علبتها المطعمة بالمينا ، والتي اشتريناها معا في فترة الخطبة .

وإلى "**جاوريا كنج**" صندوق سجائري المصنوع من البلاتين،وإلى " **ماري** " جوادي المصنوع من الفخار الصيني الذي طالما أعجبت به .

وتوقفت الرسالة عند هذا الحد ، وقد اتضح اهتزاز القلم في يد "**روز ماري**" عندما ألقت به وانخرطت في البكاء . ووقفت "**أيريس**" في مكانها وكأنها تمثال من الصخر .

ماذا يعني كل ذلك ؟ إن "**روز ماري**" ليست على وشك الموت أم تراها تشعر بذلك ؟ لقد كانت مريضة بـ"**الإنفلونزا**" ، ولكنها شفيت منها الآن . ومهما يكن من أمر ، فإن الناس قلما يموتون متأثرين بـ "**الإنفلونزا**" – وحتى إذا كان هذا يحدث أحيانا ، فإن "**روز ماري**" قد برئت منها ، إنها بخير الآن ، وكل ما في الأمر أنها تشكو من الضعف والهزال

وأعادت "**أيريس**" تلاوة ما دون ، وتوقفت عيناها عند هذه الجملة " لأن أموالي ستؤول إليك بوسيلة أو بأخرى . . " وكانت هذه الجملة هي أول خاطر بدا لها عما اشتملت عليه وصية "**بول بينيت**" من نصوص . . لقد كانت تعلم أن "**روز ماري**" قد ورثت أموال العم "**بول**" ، وأن "**روز ماري**" كانت تتمتع بثراء فاحش بينما كانت هي فقيرة بالنسبة إليها غير أنها لم تستفسر في يوم ما عن مصير هذه الثروة في حالة وفاة "**روز ماري**" . وكانت تحسب أن هذه الثروة من المفترض أن تؤول إلى "**جورج**" كزوج لـ"**روز ماري**" ، وإن كان مما يجافي المنطق المعقول أن يفترض موت "**روز ماري**" قبل موت "**جورج**" !" إلا أنه ، وكما ترى الآن بعينيها، وبخط يد "**روز ماري**" ، قد تبدل الحال ، على الأقل بالنسبة لما كانت تعتقده ، وأصبحت هذه الثروة من حق "**أيريس**" في حالة وفاة "**روز ماري**" . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأمر يبدو غير قانوني – إن الزوج أو الزوجة ، يرث كل منهما الآخر في حالة وفاة أحدهما – وليست الشقيقة . ما لم يكن "**بول بينيت**" قد نص على ذلك

في وصيته . وهذا هو التفسير الطبيعي لما اطلعت عليه في هذه الرسالة . ولقد ثبت لديها الآن ، أن العم " **بول** " هو الذي قررذلك في وصيته ، الأمر الذي لا يلقي بالتبعة على أي منهما . .

أتراها قد جال بخاطرها في يوم ما ، أن اختصاص "**روز ماري**" بهذه الثروة في بادئ الأمر كان أمرا غير منصف ؟ لقد كانت تشعر بذلك في قرارة نفسها . إنهما شقيقتان من أم واحدة فلماذا يخص العم "**بول**" بثروته كلها "**روز ماري**" ؟ لقد كانت "**روز ماري**" سعيدة الحظ دائما ، تفوز بكل ما تريد : بالحفلات، وبالثياب الفاخرة ، وبالشبان يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم ، وبزوج يعشقها .

إن الشيء الوحيد الذي تعرضت له "**روز ماري**" ، مما لا يسر هو تلك "**الإنفلونزا**" " ! وحتى "**الإنفلونزا** " لم تلزمها الفراش أكثر من أسبوع !

وترددت "**أيريس**" ، في موقفها بجوار منضدة الكتابة ، إن هذه القصاصة من الورق ... ترى هل تركتها "**روز ماري**" ليطلع عليها الجميع ، بما في ذلك الخدم؟ وبعد دقيقة لبثت فيها حائرة مدت يدها والتقطت الرسالة ، ثم طوتها وأودعتها أحد أدراج المكتب ، حيث عثر عليها بعد حفل عيد الميلاد المشؤوم ، وكانت من بين الأدلة على أن "**روز ماري**" كانت في وضع غير طبيعي وفي حالة انهيار ذهني قد يكون هو السبب في تفكيرها في الانتحار .

" حالة انقباض نفسي إثر إصابة بـ "**الإنفلونزا**" ! كان هذا هو الدافع الذي علل فيه انتحار "**روز ماري**" في التحقيق ، وهو الدافع الذي أيدته "**أيريس**" . وهو دافع وإن لم يكن مقنعا إلا أنه كان الدافع الوحيد الذي تردد في التحقيق، مما استتبع قبوله حتما . ومما ساعد على ذلك أن "**الإنفلونزا**" في هذه السنة كانت من نوع خطير .

ولم يكن في وسع "**أيريس**" أو "**جورج بارتون**" أن يفكرا أو يتقدما بدافع آخر حينذاك . والآن وبعد استعادتها لما كان ، تتساءل "**أيريس**" عما إذا كانت قد غفلت عن الكثير . لقد كان كل شيء واضحا جليا أمام عينيها ! ولكنها لم تر شيئا يثير ريبتها ولم يسترع انتباهها شيء !

وعادت بذاكرتها إلى مأساة حفل عيد الميلاد . ولم يكن من الضروري أن تستعيد ما حدث في هذا الحفل ! لقد قتل ذلك بحثا . ولتغفل ما كان من أمر هذه الأحداث . وما جرى في التحقيق ، وما اختلج به وجه "**جورج**" واتقدت به عيناه ، ولتنتقل بذهنها رأسا إلى ما حدث في غرفة السطح والصندوق المودع بها .

- 2 -

وكان ذلك بعد حوالي الأشهر الستة التالية لوفاة "**روز ماري**" وكانت "**أيريس**" قد واصلت إقامتها بذلك البيت في ميدان "**فاستون**" . وكان محامي أسرة "**مارل**" ، قد اتصل بـ "**أيريس**" بعد الجنازة . وأوضح لها بجلاء ، أنه بناء على وصية "**بول بينيت**" قد آلت ثروة الرجل إلى "**روز ماري**" على أن تؤول بعد وفاتها لأبنائها . وفي حالة وفاتها دون أن تعقب ذرية ما تؤول التركة إلى "**أيريس**" ، وقال لها المحامي إنها تركة محترمة سيكون لها مطلق التصرف فيها عند بلوغها سن الحادية والعشرين أو عند زواجها .

وفي الوقت نفسه ، كان أول ما يجب أن يستقر عليه رأيها هو مكان إقامتها . وكان السيد "**جورج بارتون**" ، قد أبدى رغبته الشديدة في أن تواصل إقامتها معه، واقترح عليها أن تقيم معهم عمتها ، السيدة "**دريك**" التي كانت في حالة مالية سيئة نتيجة لمطالب ابنها التي لا تنتهي ، على أن تقوم برعاية أمر "**أيريس**" في البيت وفي المجتمع . فهل وافقت "**أيريس**" على هذا العرض ؟

كانت "**أيريس**" جد راغبة في قبول ما عرض عليها ، غير مستعدة لتغيير نمط حياتها . وكانت العمة "**لوسيلا**" ، فيما تذكر عنها ، شخصية محبوبة أضفى عليها سنها هيبة ووقارا وكانت تعامل "**أيريس**" معاملة الشقيقة الصغرى . كما حققت السيدة "**دريك**" المرجو منها ، وسارت الأمور في المنزل على خير ما يرام ثم كان ما كان من أمر اكتشاف "**أيريس**" لهذا الصندوق في غرفة السطح بعد ستة أشهر تقريبا من هذه الأحداث .

وكانت غرف السطح في بيت ميدان "**فاستون**" تستعمل كمخزن لبعض قطع الأثاث المستغنى عنها ، ولعدد من الصناديق والحقائب ،وكانت "**أيريس**" قد صعدت إلى إحدى هذه الغرف بحثا عن صديري أحمر اللون كان محل إعجابها ، وكان "**جورج**" قد توسل إليها ألا تستمر في ارتداء السواد حزنا على شقيقتها "**روز ماري**" . وقال لها ، تدعيما لرغبته هذه إن "**روز ماري**" كانت تعارض هذه الفكرة . وكانت "**أيريس**" تعلم أن ما يقوله هو الحق . الأمر الذي حدا بها إلى الاستجابة لتوسلاته بارتدائها الملابس العادية ، على الرغم من معارضة "**لوسيلا دريك**" لهذا الرأي ، وكانت السيدة "**دريك**" لا تزال ترتدي الملابس السوداء حزنا على زوجها المتوفى منذ عشرين عاما ! وراحت "**أيريس**" تبحث في أحد الصناديق المودعة في إحدى غرف السطح .

وعثرت من بين ما عثرت عليه ، على ثوب قديم لـ"**روز ماري**" انتشلته "**أيريس**" من بين المخلفات ، وبعد أن تأملته أعادت طيه بعناية لتودعه الصندوق ، وبينما كانت تقوم بذلك لمست يدها شيئا مطويا في أحد جيوب الرداء . فمدت يدها وأخرجت قصاصة من الورق

محررة بخط "**روز ماري**" قرأت فيها ما يلي :

" عزيزي " **ليونارد** " ، إنك لا يمكن أن تعني هذا . لا يمكن . . لا يمكن . . إننا نتبادل الحب ! إنك لي ، وأنا لك !! ويجب عليك أن تعرف ذلك وتدركه كما أعرفه وأدركه أنا ! إننا لا نستطيع أن يلقي كل منا للآخر بكلمة الوداع ، وأن نمضي في حياتنا كل في طريق . إنك تعرف يا عزيزي أن هذا مستحيل التحقيق . إننا لبعضنا البعض – دوما وأبدأ . إنني لست من النساء المتمسكات بالتقاليد – فليس يعنيني في شيء ما يقوله الناس عني . إن الحب يعني لدي أكثر مما يعنيه أي اعتبار آخر . إننا سنرحل معا – وسنكون سعداء – وسأحرص على توفير الهناء لك . لقد قلت لي ذات يوم ، إن الحياة بدوني ما هي إلا رماد وقبض الريح – هل تذكر ذلك ، يا عزيزي "**ليونارد**" ؟ والآن ، هأنت تكتب إلي بكل هدوء أن كل ما بيننا يجب أن ينتهي – وأن في هذا الخير كل الخير لي . الخير كل الخير لي ؟ ولكنني لا أستطيع أن أعيش بدونك إنني آسفة من أجل "**جورج**" – الذي كان رقيقا معي – ولكنه سيفهم كل شيء . ولن يتأخر عن منحي حريتي . إنه لمما يجافي الصواب أن يرتبط المرء في حياته بآخر لا يحبه . إن الله قد خلق كلا منا للآخر – إنني أعرف أنه قد أعدنا لذلك فعلا . إننا سننعم بسعادة غامرة – وكل ما ينقصنا لتحقيق ذلك هو أن نتحلى بالشجاعة . إنني سأصارح "**جورج**" شخصيا بذلك – سأصارحه بكل شيء – غير أن ذلك لن يكون قبل عيد ميلادي. إنني أدرك أن ما أفعله هو عين الصواب – وليس في وسعي أن أواصل حياتي بدونك – إنني لن أستطيع ذلك مطلقا فلماذا أفضت في تحرير كل ذلك ؟ لقد كان حسبى منه سطران فقط . وكان يكفيني أن أحرر لك أنني أحبك .

ولن أدعك تتركني" . أواه يا عزيزي . ."

وانتهت الرسالة فجأة . ووقفت "**أيريس**" حيث هي لا تتحرك وقد أمسكت بالرسالة تحملق إليها . ما أقل ما كانت تعرفه عن شقيقتها !

إذن ، فقد كان لـ "**روز ماري**" عشيق ، تكتب إليه وتبثه لواعج غرامها ، وتعد العدة للذهاب معه بعيدا ؟ ترى ماذا حدث ؟ إن "**روز ماري**" لم تبعث بهذه الرسالة . فأية رسالة بعثت بها ؟ ترى ماذا تقرر أخيرا بين "**روز ماري**" وهذا الرجل المجهول ؟ " **ليونارد**" ؟ ما أعجب ما يتخيله الناس حينما يتدلهون في الحب . إنه حقا لفهد ! ترى من عساه يكون هذا الرجل ؟ وهل كان يحب "**روز ماري**" كما كانت تحبه؟ لعله كان مدلها في حبها هو الآخر . إن "**روز ماري**" كانت جذابة يحبها الجميع. ومع ذلك ، وبناء على رسالة "**روز ماري**" فإنه يقترح عليها وضع حد لما بينهما .

ترى ماذا يمكن أن يشتم من هذا ؟ أهو الحذر والحيطة ؟ لقد اتضح من رسالتها أنه كان يقترح هذا لمصلحة "**روز ماري**" . .

ولكن أيكون هذا لأنه ضاق ذرعا بهذه العلاقة ؟ لعل الأمر كله لم يكن لديه بأكثر من ساعات لهو عابرة . ولعله لم يكن يحمل هذه العلاقة محمل الجد . وثبت في نفس "**أيريس**" الاقتناع بأن هذا الرجل المجهول كان قد عقد العزم على قطع علاقته بـ "**روز ماري**" نهائيا . غير أن "**روز ماري**" لم تكن لتأخذ الأمر على هذا الوجه . وكانت هي الأخرى قد عقدت العزم من جهتها على نقيض ذلك.

إن هذا كله كان يجري ، دون أن تعلم "**أيريس**" عنه شيئا وكانت تعتقد أن "**روز ماري**" سعيدة في حياتها راضية بها ، وأن علاقتها بـ "**جورج**" كانت على خير ما يرام . ما أشد غفلتها ! وكيف لم تدرك شيئا من هذا كله ومن حقيقة ما كان من أمر شقيقتها . . ترى من عساه يكون هذا الرجل ؟

وعادت بذهنها إلى الماضي تحاول أن تستعيد ما كان من أحداثه فلعلها تستطيع أن تذكر شيئا عن هذا الرجل . لقد كان ثمة كثير من الرجال المعجبين بـ "**روز ماري**" والذين كثيرا ما كانوا يتصلون بها تليفونيا ، ويصطحبونها إلى الخارج ويدعونها للعشاء . غير أنها لم تكن تخص أحدا منهم بعنايتها .

غير أن هذا قد يعني أنها كانت تتخذ من سائر المجموعة ستارا للتعمية عن ذاك الذي فاز بمحبتها . وأجهدت "**أيريس**" ذهنها في استعراض الزمرة التي كانت تحيط بشقيقتها . وقفز أمام عينيها اسمان من هؤلاء المعجبين ورأت أنه يجب أن يكون صاحبنا واحداً منهما : "**ستيفن فاراداي**" ؟ إنه يجب أن يكون هو رجلها . ترى ماذا أعجب "**روز ماري**" فيه ؟ إنه رجل مغرور جاف ثم إنه ليس في ربيع الشباب . حقيقة إن الناس يقولون عنه إنه رجل مرموق لامع ، وإنه سياسي يشار إليه بالبنان ، وسيكون له مستقبل باهر . أو يكون هذا كله هو ما أحاطه بهذه الهالة من الإعجاب في عيني "**روز ماري**" ؟ ويقولون عنه أيضا إنه متزوج من زوجة مدلهة في حبه ، وإنها عارضت جميع رغبات أسرتها بزواجها منه – لأنه لم يكن في نظرهم بأكثر من سياسي ذي مطامع ! وما دام هذا هو شعور امرأة من ناحيته فليس من المستبعد أن يكون هو شعور الأخرى . أجل ، إنه لابد وأن يكون " **ستيفن فاراداي** " .

فإذا لم يكن هو رجلنا ، فمن المتعين أن يكون رجلنا هو "**أنتوني براون**" . ولكن "**أيريس**" لم تكن تريد أن يكون هذا الرجل "**أنتوني براون**"

صحيح أنه كان بمثابة العبد الرقيق لـ "**روز ماري**" ، تجده أمامها بمجرد أن تشير إليه

بإصبعها ، ماثلاً بوجهه الأسمر الوسيم الذي يفيض خضوعا وخشوعا . غير أن مظاهر الولاء هذه لم تكن لتخفى على أحد وهي لا يمكن ، بهذه العلانية ، أن تبلغ مبلغ العمق. وكان لاختفاء الرجل عقب وفاة "**روز ماري**" ما أثار دهشتها وتساؤلها . لم تكن "**أيريس**" لتراه منذ وفاة شقيقتها . ومع ذلك فقد يكون للرجل عذره في هذا – لأنه كثير الأسفار . ولقد سمعته يتحدث عن "**الأرجنتين**" و"**كندا**" و "**أوغندا**" و "**الولايات المتحدة**" ، وكان يخيل إلى "**أيريس**" أحيانا أنه أمريكي أو كندي الجنسية . ومع التسليم بكل هذه الاعتبارات ، فليس ثمة ما يدعو إلى التساؤل عن غيبته .

ثم إن الرجل كان صديقا لـ "**روز ماري**" ، فلم يكن ثمة داع لأن يستمر في اتصاله بهم بعد وفاتها ولكنه لم يكن بأكثر من صديق ، وإن "**أيريس**" لتستبعد أن يكون عشيقا لـ"**روز ماري**" وفي الحق إنها لا تريد أن تسلم بذلك وعادت تتأمل الرسالة التي بين يديها ، ودار بخلدها أن تمزقها أو تحرقها . . غير أنها سرعان ما عدلت عن التفكير في ذلك ، لأن هذه الرسالة قد تكون لها أهميتها في يوم ما . . وطوتها بعناية ، وأودعتها في صندوق مجوهراتها بعد أن عادت إلى غرفتها ، فقد يكون من الأهمية بمكان ، في يوم ما أن يقدم الدليل على أن "**روز ماري**" قد انتحرت .

- 3 -

"وماذا بعد يا سيدتي ؟ "

ومست هذه العبارة في وجدان "**أيريس**" وترا حساسا وانفرجت شفتاها عن ابتسامة رقيقة . فقد بدا لها أن سؤال صاحب المتجر يعكس ما كان يجول في خاطرها حينئذ .

أليس هذا هو عين ما كانت تحاول أن تفعله في استعراضها للماضي ؟ لقد عنيت باستجلاء كنه هذا الاكتشاف المذهل لما كان في صندوق غرفة السطح . وإنها الآن تتدبر أمر ما سيكون من خطوة تالية . ترى ماذا سيكون من أمر هذه الخطوة ؟

وليس من شك في أن مسلك "**جورج**" غير الطبيعي ، بالنسبة لهذه الأحداث التي بدأت بعثورها على تلك الرسالة كانت تثير تساؤلها ، كل ذلك وغيره مما يتصل به قد أصبح واضحا في ضوء ما حدث في الليلة الماضية . ولقد استطاعت أن تضع النقط فوق الحروف لكثير من تلك الأحداث التي كانت تقف حيالها حائرة .

ثم عودة " **أنتوني براون** " إلى الظهور على مسرح الأحداث وربما كان ينبغي أن تحتل عودته المكان الثاني بالنسبة لهذه الأحداث التي بدأت بعثورها على تلك الرسالة منذ أسبوع مضى . وإنها الآن لتستطيع أن تستعيد الأمور في تعاقبها وتتابعها . .

لقد قضت "**روز ماري**" نحبها في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) . وفي شهر أيار (مايو) التالي ، بدأت "**أيريس**" حياتها الاجتماعية تحت رعاية "**لوسيلا دريك**" . وكانت تخرج إلى دعوات الغداء والشاي ، وإلى الحفلات الراقصة ، دون أن تشعر برضائها عن ذلك ؛ إذ كانت قلقة لا تستقر على حال . وفي إحدى هذه الحفلات الراقصة ، في أواخر شهر حزيران (يونيو) ، سمعت صوتا يناديها : " إنها " **أيريس مارل** " ، أليست هي ؟ "

وأدارت رأسها ، وقد احمر وجهها خجلا ، لترى " **أنتوني براون** " بعينيه المتسائلتين . وقد واجهها قائلا :

– لا أتوقع منك أن تذكري شيئا عني ، غير أني ..

وقاطعته قائلة : " غير أنني أذكر كل شيء عنك . ما في ذلك من شك ! رائع ، كنت أخشى أن تكون قد نسيت كل شيء عني لقد مضى زمن طويل منذ أن التقينا آخر مرة" .

– أعرف ذلك . . إننا لم نلتق منذ حفل عيد ميلاد "**روز ماري**" .

وتوقفت في مكانها ، وقد شحب وجهها ، واختلجت شفتاها ، واتسعت عيناها أسى ، وأسرع "**أنتوني براون**" قائلا :

– إنني لجد آسف ، لقد جانبني التوفيق في إثارة هذه الذكرى .

وحاولت "**أيريس**" أن تستعيد رباطة جأشها وهي تقول :

– لا بأس"

وعاد "**أنتوني براون**" يقول :

– إنني لجد آسف حقا ، أرجو أن تغفري لي زلة لساني ، هل تسمحين بهذه الرقصة ؟!

وأومأت موافقة ، وأخذها بين ذراعيه يراقصها ، ورأت في زميلها شابا يافعا خجولا يتجنب أن تلتقي عيناه بعينيها ، وحدثت نفسها قائلة ، "إن مثل هذا الرجل ليس بالصديق المناسب لـ"**روز ماري**" .

وشعرت برعدة تسري في بدنها ، صديق "**روز ماري**" ؟ وتلك الرسالة ، هل كانت محررة إلى هذا الرجل الذي تراقصه الآن ؟ إن شيئا ما في خطواته الرشيقة أوحى إليها بما يعنيه الاسم الذي كانت تطلقه عليه "**روز ماري**" . ."الفهد" .

وباغتته بسؤالها :

– أين كنت طوال هذه الفترة ؟

فابتعد عنها قليلا ، وراح يرمقها بنظراته ، وقد زايل الابتسام شفتيه ، وأجابها في صوت هادئ :

– كنت أسافر من بلد إلى بلد – لأن أعمالي تقتضي هذا .

– فهمت ، ولماذا عدت إلى هنا ؟."

فابتسم وهو يقول :

– ربما . . كان هذا لأراك ، لأرى "**أيريس مارل**"

ثم عاد يضمها إليه ، ويواصل خطواته الراقصة في انسياب ومهارة بين جموع الراقصين، وتساءلت "**أيريس**" عما يحدو بها – على الرغم من هذا الشعور الجامح بالمسرة – إلى ما يعتمل في نفسها من خوف .

ومنذ هذه الليلة أصبح "**أنتوني**" جزءا من حياتها ، وكانت تلتقي به مرة في الأسبوع على الأقل ، كانا يلتقيان في المنتزه وفي المراقص ، وفي بعض حفلات العشاء ، حيث كانت تجد مقعده بجوار مقعدها ، وكان بيت ميدان "**فاستون**" هو المكان الوحيد الذي لا يتردد عليه ، ولم تدرك ذلك إلا بعد حين – حين تبينت أنه يتعمد عدم الحضور إلى هذا البيت ورفض الدعوات التي توجه إليه ، وبدأت تتساءل عن السبب في مسلكه هذا، هل كان ذلك راجعا إلى أنه هو صديق "**روز ماري**" .

ثم كان ، ولفرط دهشتها ، هذا الحديث عنه الذي دار بينها وبين "**جورج**" الهادئ الطبع الذي لايتدخل فيما لا يعنيه :

– من عساه يكون هذا الرجل ، الذي يدعى "**أنتوني براون**" ، والذي يصطحبك أحيانا إلى بعض الجهات ؟ ماذا تعرفين عنه ؟

– ماذا أعرف عنه ؟ لقد كان صديقا لـ"**روز ماري**" !!

وقطب "**جورج**" جبينه ، وهو يقول في صوت متهدج :

– أجل بكل تأكيد ، لقد كان كذلك.

– إنني آسفة ، ما كان ينبغي لي أن أذكرك بهذا .

وعقب :**جورج بارتون**" على قولها ، في رقة وهو يهز رأسه نفيا:

–كلا ، كلا ، إنني لا أريد لـ"**روز ماري**" أن تصبح نسيا منسيا ، إنها يجب أن تكون ماثلة في أذهاننا ، إن اسمها "**روز ماري**" – يعني الذكرى . إنني لا أريد منك أن تنسي أمر شقيقتك وهذا ما لا يكون أبدا .

ولنعد إلى حديثنا عن هذا الشاب "**أنتوني براون**" ، ربما كانت "**روز ماري**" تميل إليه ، غير أنني لا أعتقد أنها كانت تعرف الكثير عنه ، وعليك أن تلزمي جانب الحذر في علاقتك به . "**أيريس**" ، إنك فتاة بالغة الثراء .

– إن لدى "**أنتوني**" الكثير هو الآخر ، إنه يقيم بفندق "**كلاريدج**" حينما يكون في "**لندن**"

وابتسم "**جورج بارتون**" ، وهو يتمتم قائلا :

– إنه فندق ضخم محترم ، ومهما يكن من أمر ، فما من أحد ، فيما يبدو يعرف الكثير عنه .

– إنه أمريكي الجنسية .

– ربما كان هذا صحيحا ، ومع ذلك فمما يدعو للعجب أنه لا يحظى برعاية سفارته له، إنه لا يتردد كثيرا على هذا البيت ، أليس كذلك ؟

– بلى .. ولعله يشعر برأيك فيه !

– فليكن . إن كل ما أبغيه من حديثي عنه هو تحذيرك وتوجيه نظرك ، وسأتصل بـ"**لوسيلا**" في هذا الشأن .

– "**لوسيلا**" !

– أليس كل شيء بينكما على ما يرام ؟ أعني ، هل تقوم "**لوسيلا**" بواجبها نحوك ؟ وهل تعني بالعمل على تهيئة ما يجب لك من أوقات سعيدة ؟

– أجل، إنها تبذل أقصى ما في وسعها في سبيل ذلك .

– لأنها ، إن لم تفعل فما عليك إلا أن تحيطيني علما بتقصيرها ، لكي نستبدل بها غيرها ، إن كل ما أريده أن تنعمي بحياتك .

– شكرا يا "**جورج**" ، إنني أقضي أحسن الأوقات .

– إذن فلتعرفي ذلك ، إنني لست خبيرا بمثل هذه الأمور .. ولم أكن هذا الرجل قط ، وليس عليك إلا أن ترعي أمر نفسك ، وتسقطي من حسابك كل ما يحول دون ذلك من اعتبارات مالية ... ولا تراعي بند النفقات وما قد يتصل بذلك .

وتحقيقا لما قاله لها ، تحدث "**جورج بارتون**" مع السيدة "**دريك**" في موضوع "**أنتوني براون**" ، وإن كان القدر قد شاء أن يصرف "**لوسيلا**" عن الانتباه كما يجب لسر نياته من هذا الحديث ، لأنها كانت قد تسلمت برقية من ابنها ، يسألها فيها أن تبعث إليه بمائتي جنيه ، لإنقاذه مما هو بسبيل التردي فيه وكانت البرقية بتوقيع "**فيكتور**" ، قرة عين السيدة "**دريك**" ، والابن الذي لا يعرف من والدته سوى أنها مصدرالغوث المالي له .

وكانت "**لوسيلا**" تبكي وهي تقول :

– إن "**فيكتور**" رجل شريف وهو يدرك حقيقة ظروفي المالية ولا يمكن أن يلجأ إليّ إلا عند الضرورة القصوى ، ولم يسبق له أن فعل ذلك ، إنني أخشى أن يكون في حالة يأس قد تؤدي به إلى الانتحار .

وعقب "**جورج بارتون**" على قولها في غير مبالاة :

– ليس هو بذلك الرجل .

– إنك لا تعرفه على حقيقته . إنني أمه خير من يعرف حقيقة أمر ولدي ، لئن لم أستجب إلى ما سألني إياه فسأقضي بقية عمري، في حزن وهم وتأنيب ضمير ، سأحاول أن أبيع ما أملكه من أسهم .

– استمعي لما أنا قائل .. سأتقصى حقيقة ما ورد بهذه البرقية من أحد مراسلي هناك . وسينبئني هذا المراسل بحقيقة المأزق الذي تعرض له "**فيكتور**" ، غير أن نصيحتي إليك أن تدعيه يعتمد على نفسه ويدبر أمر خروجه من هذا المأزق إنه لن ينصلح له حال ، ما لم تفعلي ما أشرت به عليك.

– إنك لمتناهي القسوة ، لقد كان ولدي المسكين دائما سيئ الحظ .

– سأتخذ اللازم فورا ، وسنعرف كل شيء في الغد .

وسري عن "**لوسيلا**" بعض الشيء ، إثر ما عرضه "**جورج**" من مبلغ لا يتجاوز الخمسين جنيها ، بعد أن اتضح أن قصة المائتي جنيه لم تكن سوى قصة مفتعلة من نسيج خيال الابن المدلل "**فيكتور**" .

وكانت "**أيريس**" تعلم أن "**جورج**" دفع هذا المبلغ من جيبه الخاص ، على الرغم مما ادعاه من أنه قد نفذ ما عهدت به إليه "**لوسيلا**" من بيع أسهمها ، وقد أعجبت "**أيريس**" بهذا التصرف الكريم من جانب "**جورج**" ، ولم تتمالك نفسها من أن تصارحه بذلك ، وكان تعقيبه في هدوء :

– إن وجهة نظري بالنسبة لمثل هذه الامور ، أنه يوجد في كل أسرة مثل هذا الشخص ، مثل هذا الشخص المعوج الذي يجب أن نوطن أنفسنا على تقبل تصرفاته هذه .

– ولكنه ليس من أسرتك .

– إن أسرة "**روز ماري**" هي أسرتي .

– إنك لرجل كريم الخلق ، لقد كان في وسعي أن أقوم بذلك .

فابتسم وهو يقول لها :

– إنك لن تستطيعي القيام بشيء من هذا القبيل قبل أن تبلغي الحادية والعشرين من عمرك . وعندما تبلغين هذه السن ، قد ترين أنه من الحكمة ألا تفعلي شيئا من هذا القبيل ، وسأنتهز هذه الفرصة لأعطيك فكرة عن مثل هذه الحالات ، فحينما يبرق إليك شخص بأن حياته تتوقف على حصوله على مبلغ مائتي جنيه ، ستجدين أنه يكفيه من هذا المبلغ عشرون جنيها ، بل قد يكون في عشرة منها الكفاية ! وهذه نصيحة لم يكن من الممكن إقناع الأم بها ، ولم يكن ثمة شك في أن "**فيكتور دريك**" ، كان أبعد ما

يكون عن التفكير في الانتحار ! إن هؤلاء الذين يرددون القول بأنهم سينتحرون لا يفعلون ذلك أبدا.

– هكذا؟

وتبادر إلى ذهن "**أيريس**" ما كان من أمر "**روز ماري**"، غير أنها سرعان ما استبعدت من ذهنها أن "**جورج**"، وهو يقول ذلك كان يفكر في "**روز ماري**"، إن كل تفكيره كان مقصورا على هذا الشاب المقيم بـ"**ريو دي جانيرو**" والذي بعث ببرقية إلى أمه يستجديها بعض المال. وقد شغلت السيدة "**دريك**" بأمر ولدها وما ورد في برقيته، وصرفها هذا عن متابعة ما استجد من صداقة "**أيريس**" لـ"**أنتوني براون**". وعادت "**أيريس**" لتفكر في الخطوة التالية، أو قل في الأمر الثاني! إنه هذا التغيير الطارئ على "**جورج**"! إن "**أيريس**" لا يمكن بحال ما أن تغفل عن هذا الأمر، ترى متى بدأ التغيير؟ وإلى ماذا يرجع السبب فيه؟ إن "**أيريس**" لا يمكنها بحال ما أن تضع أصبعها على تلك اللحظة التي بدأ فيها هذا التغيير، لقد كان "**جورج**" منذ وفاة "**روز ماري**" شارد الفكر، ساهم النظرات، وكان يبدو وقد تقدمت به السن أعواما في هذه الفترة القصيرة، وكانت ترى في حالته هذه أنها من الظواهر الطبيعية بالنسبة إلى ما رزئ به من فقد زوجته، ولكن، متى بدأت حالته الجديدة هذه التي لاحظتها عليه أخيراً؟

وتبادر إلى ذهنها، أنها بدأت بعد ما كان بينهما من حديث بشأن "**أنتوني براون**"؛ إذ كانت تراه يرمقها بنظرات حائرة لأول مرة في حياتهما معا، بعد هذا الحديث، ثم ما كان من اعتياده الحضور للمنزل مبكرا من عمله، وانطوائه على نفسه في غرفة مكتبه، ولم يكن ذلك منه لعمل يستدعي حضوره، ويستوجب انفراده بنفسه في تلك الغرفة، فقد حدث في يوم أنها أقبلت عليه لتجده جالساً إلى مكتبه سارح الطرف وتأملها عند دخولها بنظرات زائغة بليدة، ولقد كان تصرفه أقرب ما يكون إلى رجل يرزح تحت عبء صدمة نالت منه وإن كان رده على سؤالها مقتضبا بقوله «لا شيء» وبمضي الأيام، كان يزداد وجوما، وكان في ذهنه ما ينغص عليه حياته. ثم راح، وبدون أي سبب، بين فترة وأخرى يكثر من توجيه الأسئلة، الأمر الذي حملها على أن تقرر فيما بينها وبين نفسها، بأن الرجل قد أصبح غريب الأطوار، ومن هذه الأسئلة:

– "**أيريس**"، هل كانت "**روز ماري**" تتحدث إليك كثيراً؟

– بكل تأكيد، ماذا تعني بسؤالك هذا؟ وإلى ماذا تهدف؟

– عن نفسها .. عن أصدقائها .. عن أحوالها .. عما إذا كانت سعيدة من عدمه .. عن كل شيء مما هو من هذا القبيل. واعتقدت أنها ترى ما يجول بخاطره، وخيل إليها أنه قد

ألم بطرف من موضوع علاقة "**روز ماري**" الغرامية غير السعيدة.. وأجابته قائلة وهي تزن كل كلمة من كلماتها:

– إنها لم تفضِ إليَّ بالكثير؛ إذ لم يكن لديها متسع من الوقت لتفعل ذلك.

– علاوة على أنك كنت صغيرة السن، لقد حسبت أنها أفضت إليك بشيء ما. وتطلع إليها مستفسرًا وكأنه كان يستجديها مصارحته بشيء ما، ولم تكن تريد، مع افتراض أنها تعرف شيئًا، أن تؤذي شعوره، ومهما يكن من أمر فإن "**روز ماري**" لم تفض إليها بشيء ما، فهزت رأسها نفيا؛ لتؤكد له أنها لا تعرف شيئا مما يسألها أن تصارحه به، ولم يكن ثمة بد، إزاء إصرارها هذا، من أن يسلم "**جورج**" بالأمر الواقع وهو يقول: فليكن، لا عليك من ذلك. وفي يوم آخر باغتها بالاستفسار عمن عساهن أن يكن المفضلات من بين صديقات "**روز ماري**"، وبعد أن أطرقت "**أيريس**" قليلا أجابته قائلة:

– "**جاوريا كنج**" والسيدة "**أتويل**".. "**ماري أتويل**" و"**جين ريموند**".. لا أستطيع أن أقطع برأي في هذا على وجه التحديد.

– أعني، هل تعتقدين أنها ربما تكون قد اتخذت من إحداهن موضعا لسرها؟

– في الحق إني لا أعرف شيئًا من هذا القبيل.. ولا أعتقد أنها ممن يثقن بأحد، أي سر تعني بسؤالك هذا؟ وسرعان ما أدركت أنها أخطأت بتوجيه سؤالها هذا إليه، غير أن إجابة "**جورج**" أدهشتها بقوله:

– هل قالت "**روز ماري**" شيئًا بشأن خوفها من أحد؟

– خوفها؟! وممن كانت تخاف؟

– إن ما أريد وأحاول أن أصل إليه، هو هل كان لـ"**روز ماري**" أعداء؟

– من بين صديقاتها؟

– كلا، كلا لست أعني ذلك، إنني أعني العدو بكل معنى الكلمة، فهل كان ثمة من ينطبق عليه هذا الوصف. ويبدو أن نظرات "**أيريس**" الفزعة قد أمضته، فتمتم قائلاً:

– أعرف أنني قد أبدو في عينيك غبيا أحمق، وأن أسئلتي هذه تتطرف إلى حد الخيال، غير أنني كنت أتساءل عما يدور في خلدي. وبعد يوم أو يومين، بدأ يوجه أسئلته عن آل "**فاراداي**" وعما إذا كانت "**روز ماري**" تلتقي بهم كثيرا؟ ولم تكن "**أيريس**" لتعرف الكثير مما يتيح لها الجواب الصحيح، فقالت له:

– لست أدري، وليست لدي معلومات وافية عن هذا الموضوع.

– هل تحدثت إليك عنهم في يوم ما؟!

– كلا.. لست أذكر شيئا من هذا القبيل.

– هل كانت علاقتها بهم وثيقة؟

– إن "**روز ماري**" كانت تهتم كثيرا بالشؤون السياسية وبكل ما يتصل بها.

– أجل، وكان ذلك بعد لقائها بـآل "**فاراداي**" في "**سويسرا**". إنها لم تكن تولي الشؤون السياسية أي اهتمام قبل هذا اللقاء.

وأحسب أن "**ستيفن فاراداي**" هو الذي أثار اهتمامها بالشؤون السياسية، وكان يزودها بالكثير من النشرات والكتب السياسية.

– وما رأي "**ساندرا فاراداي**" في ذلك؟

– في ماذا؟

– فيما كان يزود به زوجها "**روز ماري**" من نشرات.

– لست أدري.

– إنها امرأة محافظة، وهي تبدو في برودها كقطعة من الثلج، ولكنهم يقولون إنها جد متيمة بزوجها "**فاراداي**"، وهي من أولئك النساء اللائي يغضبهن أن يكون لأزواجهن علاقة بامرأة أخرى.

– ربما كانت كذلك.

– كيف كانت العلاقة بين "**روز ماري**"، وبين زوجة "**فاراداي**"؟

– لا أعتقد أنها كانت على خير ما يرام، وكثيراً ما كانت "**روز ماري**" تسخر من "**ساندرا**"، وكانت تقول عنها إنها امرأة متزمتة، جافة الطبع.

– هل مازلت تلتقين كثيرا بـ"**أنتوني براون**"؟

– نعم. وكان صوت "**أيريس**" باردا مما لم يدع مجالا لـ"**جورج**" لأن يعود إلى ترديد نصائحه وتحذيراته، بل راح يسألها عنه وعن أحواله وعن أسفاره.

– إنه كثير الأسفار.

– أبسبب أعماله الكثيرة؟

– أعتقد ذلك.

– وما طبيعة أعماله هذه؟

– لست أدري.

– هل لعمله صلة بشركات التسليح؟

– إنه لم يصارحني بشيء من هذا القبيل.

– حسنا، ليس من الضروري أن تقولي شيئا عما دار بيننا من حديث بشأنه، لقد كنت أتساءل فقط، إثر ما علمته من اتصاله في الخريف الماضي برئيس شركة الأسلحة المتحدة..

هل كانت "**روز ماري**" تلتقي كثيرا بـ"**أنتوني براون**" ؟

– نعم.. نعم، لقد كانت تلتقي به كثيرا. ولكن معرفتها به لم تكن منذ فترة طويلة، إنه لم يكن بأكثر من رجل تعرفت إليه عرضا.

– وهل كان يصطحبها إلى بعض الحفلات الراقصة؟

– نعم.

– لقد دهشت عندما علمت منها بأنها ترغب في دعوته إلى حفل عيد ميلادها، ولم أكن قد تبينت بعد أن معرفتها به قد توطدت أركانها.

– إنه راقص بارع.

– نعم.. نعم، بكل تأكيد. ووجدت "**أيريس**" ، دون أن تريد ذلك، صورة هذه الأمسية تتبادر إلى ذهنها، تلك المائدة المستديرة بـ"**لوكسمبورج**" ، وهذه الأضواء الخافتة بزهورها الجميلة، وفرقة الموسيقى تواصل عزفها بأنغامها الراقصة.. وهؤلاء السبعة الجالسون حول المائدة: هي، و"**أنتوني براون**" ، و"**روز ماري**" ، و"**ستيفن فاراداي**" ، و"**روث ليسنج**" ، و"**جورج**" ، وزوجة "**ستيفن فاراداي**" السيدة "**ألكسندرا فاراداي**" ، بوجهها الشاحب وبصوتها الذي يفيض كبرياء، ترى هل كان هذا الحفل – كما يبدو – من الحفلات المرحة، أم أنه لم يكن كذلك؟ وإنها لتذكر مجلسها إلى جانب "**توني**" .. "**أنتوني براون**" الذي التقت به لأول مرة منذ كان من قبل مجرد اسم يلتقطه سمعها ومجرد ظل في البهو يتبع "**روز ماري**" إلى السيارة التي تقف في انتظارها، وصحت من تأملاتها هذه على صوت "**جورج**" يردد هذا السؤال:

– ومما يثير الدهشة أنه سرعان ما رحل عنا بعد تلك الأمسية، فإلى أين ذهب؟ وماذا كانت وجهته؟

– لقد رحل فيما أظن، إلى "**سيلان**" أو"**الهند**" .

– ألم يتحدث بذلك في تلك الأمسية؟

– وما الذي كان يدعوه إلى شيء من هذا القبيل؟ هل يتعين علينا أن نتحدث عن تلك الأمسية؟

– كلا، كلا، بكل تأكيد، ليست بنا حاجة إلى ذلك، إنني جد آسف، وبالمناسبة أرجو أن تسألي "**براون**" الحضور لتناول العشاء معنا ذات ليلة فإنني أريد أن نجتمع معا ثانية. وطابت "**أيريس**" خاطرا، بهذا التحول في مسلك "**جورج**" ، وقامت بتوجيه الدعوة لـ"**أنتوني**" الذي أعلن قبوله لها، غير أنه في آخر لحظة اعتذر عن الحضور باضطراره إلى السفر لعمل طارئ. وفي يوم من أيام شهر تموز (يوليو) الأخيرة، فاجأ "**جورج**" كلا من

"**لوسيلا**" و"**أيريس**" بأنه قد اشترى بيتا في الريف، ولم تصدق "**أيريس**" ما سمعته منه لأول وهلة، فقالت له:

– هل اشتريت بيتا؟ لقد كنت أحسب أنك ستستأجر هذا البيت بناحية "**جورنج**" مدة شهرين؟

– إنه من الأفضل أن يكون للمرء بيت يملكه، أليس كذلك؟ وبذلك يكون غير مقيد بفترة ما، ويمكنه أن يقضي به عطلة الأسبوع على مدار السنة.

– وأين يقع؟ على ضفة النهر؟

– كلا، في الواقع إنه ليس قريبا من النهر، إن مساحته تبلغ اثني عشر فدانا، وهو بيت صغير من طراز قديم.

– أوه ! أفهم من ذلك أنك اشتريت هذا البيت دون أن يكون لنا رأي فيه؟

– لقد وجدت الفرصة سانحة أمامي، ولم أشأ أن أتركها تفلت مني. وانبرت السيدة "**دريك**" قائلة:

– أعتقد أنه سيكون بحاجة إلى كثير من الإصلاحات.

– لا عليك من هذا.. إن "**روث**" قد قامت بكل ذلك. ولم تعقبا بشيء على هذا النبأ، بل استمعتا إلى ما تحدث به "**جورج**" عن سكرتيرته القديرة في احترام وصمت، لقد كانت "**روث**" في الواقع، بمثابة فرد من أفراد الأسرة، وكانت حسنة المظهر تجمع بين الكفاءة، وحسن التصرف.. وكانت "**روز ماري**"، إبان حياتها، كثيرا ما تقول في أكثر من مناسبة "دعوا هذا الأمر لـ"**روث**"، إنها تعرف كيف تتصرف". وكانت الآنسة "**روث ليسنج**" تذلل كل صعوبة، وكانت تواجه أية معضلة، مبتسمة، واثقة بنفسها وقد ترفعت عن مستواها المعقد، كما كانت تقوم بإدارة أعمال "**جورج**" وتوجيهها الوجهة السليمة، أو قل توجيهه هو، وكان "**جورج**" كبير الثقة بها، يعول عليها في الكثير من شؤونه ولم تكن لها مطالب أو رغبات. ومع ذلك، فقد استاءت "**لوسيلا دريك**" مما قاله "**جورج**"، وأبدت له امتعاضها قائلة:

– ولكن يا عزيزي "**جورج**"، ومع تقديري لـ"**روث**"، لا يمكن لامرأة من غير نساء الأسرة أن تتدخل لتفرض عليهن ذوقها في تزيين غرف البيت الذي سيقيمون فيه! كان من المتعين أن يؤخذ رأي "**أيريس**" في هذا الشأن ودعك مني أنا. إن ما يعنيني فعلا هو الرجوع إلى "**أيريس**" فيما يجب أن يدخل من إصلاحات على هذا البيت. وفوجئ "**جورج**" بهذا الاعتراض وقال لها:

– لقد أردت بذلك أن يكون الأمر مفاجأة لكما. ولم يسع "**لوسيلا**" إلا أن تبتسم

قائلة:

- يالك من رجل! وانبرت "**أيريس**" قائلة:

- إن ذلك لا يعنيني في كثير أو قليل، وإنني لكبيرة الثقة في "**روث**" وفي توفيقها في مثل هذه الأمور كيف سنقضي وقتنا هناك؟ أعتقد أن ثمة ملعبا للتنس، ملحقا بهذا البيت.

- أجل، وثمة ملعب آخر للجولف، كما أن البيت يبعد عن البحر بحوالي اثني عشر كيلومتراً . علاوة على أنه يوجد هناك جيران لنا.

- ومن هؤلاء الجيران؟ وأشاح "**جورج**" بوجهه عن "**أيريس**" ليتجنب نظرتها وهو يقول:

- آل "**فاراداي**" الذين يقيمون على بعد اكيلومترين ونصف عبر المتنزه مباشرة. وحملقت "**أيريس**" إلى وجهه ولم تعقب بشيء. وتبادر إلى ذهنها في تلك اللحظة أن الأمر كله كان متعمدا، وأنه، أي "**جورج**" كان يبغي من شراء هذا المنزل وإعداده أن يستزيد من توثيق علاقته بـ"**ستيفن**" و"**ساندرا فاراداي**" . إن جيران الريف، بضياعهم المتاخمة يزدادون صلة، وتقاربا، ومن هنا كان من المفترض أن تزداد الأسرتان تعارفا وارتباطا. ولكن، فيم كل ذلك؟ وما السبب في هذه النغمة الملحة في الحديث عن آل "**فاراداي**"؟ وما الهدف من الالتجاء إلى هذا الأسلوب الباهظ الثمن، في سبيل توثيق الصلة بهذه الأسرة؟ هل كان "**جورج**" يشك في علاقة "**روز ماري**" بـ"**ستيفن**" وأن ما بينهما كان أكثر من صداقة؟ أم أن هذا الأسلوب هو تنفيس عما يفيض به قلب الرجل من حقد؟ في الواقع إن الأمر أكثر تعقيدا، وأبعد شمولاً من أن تسعه، أو تستوعبه هذه الافتراضات. ولكن، ماذا يريد "**جورج**" من آل "**فاراداي**"؟ وإلى ماذا كان يرمي بأسئلته الكثيرة التي كان يوجهها لـ"**أيريس**" عنهم؟ ألم يبد أخيرا، أن "**جورج**" قد أصبح غريب الأطوار؟ انطواؤه على نفسه وتلك الأمسيات التي يقضيها بمفرده في غرفة مكتبه دون مبرر! إن "**لوسيلا**" عزت ذلك إلى تناوله المزيد من شرابه الجيد - تلك كانت وجهة نظرها! كلا. إن "**جورج**" ليبدو فعلا غريب الأطوار. وإنها لتراه أمامها وكأنه ينوء بحمل ثقيل، ويرزح تحت أعباء تفكير معقد، وتتمثله وهو جالس سارح الطرف، شارد الفكر. وأمضوا معظم أيامهم من شهر آب (أغسطس) في "**ليتل برايورز**"، بيتهم الجديد بالريف. ولم تر "**أيريس**" في هذا البيت ، غير بيت مقبض اقشعر له بدنها، وقد كرهت الإقامة به. على الرغم من سعته وحسن إعداده . وكانت تشعر بفراغ فيما حولها. تماما كشعور الجنود في الحرب وهم يحتلون موقعا استراتيجيا مؤقتا. أما "**ساندرا فاراداي**"

فقد أحسنت لقاءهم واحتفت بهم وكانت المثل الأعلى لجار الريف الذي يحاول أن يبدو كأحسن الأصدقاء. وقد قامت بتقديمهم إلى جيرانهم وغيرهم من أهالي المقاطعة، ولم تدخر وسعا في العمل على راحتهم، كصديقة قديمة للأسرة، غير أنه لم يكن من اليسير تعرف حقيقة ما تختلج به نفسها وقد اكتسى وجهها الشاحب بهذا القناع من الابتسام الدائب.. إنها كانت أقرب شبها بتمثال أبي الهول الرابض في الصحراء عند حدود الأبد يبتسم لكل من يتأمله على مدى تلك الآلاف من السنين. أما "**ستيفن**" فلم يلتقوا به إلا قليلا وكان جد مشغول بشؤونه السياسية، وإن كانت "**أيريس**" تعلل ذلك بأنه يتجنب عامدا وبقدر ما في وسعه أن يلتقي بهم، كان من المقرر أن يمضوا شهري آب (أغسطس) و أيلول (سبتمبر) في هذا البيت الريفي، ثم يعودوا في شهر تشرين الأول (أكتوبر) إلى بيتهم في "**لندن**" . وكانت "**أيريس**" تتلهف شوقا إلى حلول هذا الشهر وتحصي في ضيق أيامها من شهر أيلول (سبتمبر) الأخير. ثم كان، في الليلة الأخيرة من إقامتهم ببيت الريف، أن استيقظت من نومها إثر سماعها طرقا خفيفا على بابها. وأضاءت المصباح الكهربائي لترى أن الساعة لم تتجاوز الواحدة صباحا. وكانت قد أوت إلى فراشها في تمام العاشرة والنصف مساء. وأسرعت بارتداء معطفها واتجهت إلى الباب تفتحه، لترى "**جورج**" واقفا بالخارج. ورأت أنه مازال مرتديا ثياب السهرة. كما لاحظت أنه لاهث الأنفاس، محتقن الوجه وهو يقول لها:

– أرجو أن تتبعيني إلى غرفة المكتب، إني يجب أن أتحدث إليك. إنني أشعر بأني في حاجة إلى تبادل الحديث مع أي إنسان. وأطاعته، وهي تتساءل فيما بينها وبين نفسها عما حدا به إلى هذا السلوك. وما إن احتوتهما غرفة المكتب، حتى أوصد بابها وأشار إلى المقعد المواجه لمكتبه، سائلا إياها أن تجلس بعد أن جلس فوق مقعده الخاص. وبعد أن قدم إليها سيجارة، وأشعل لنفسه أخرى، بادرته مستفسرة:

– ماذا هنالك؟ ماذا دهاك؟ وقد فزعت لما كان يبدو عليه وعلى وجهه بالذات من أمارات الانفعال. وبدأ "**جورج**" يتحدث وهو لاهث الأنفاس وكأنه عائد من مسافة طويلة قطعها عدوا. وسمعته يقول:

– لم أعد أستطيع أن أحتفظ بما يضيق به صدري. وعليك أن تصارحيني بما ترين عما إذا كان هذا صحيحا، أو عما إذا كان هذا ممكنا.

– ولكن، عن أي شيء تتحدث؟

– لابد وأنك لاحظت شيئًا، أو رأيت شيئًا. لابد وأنها قالت شيئًا ما. لابد وأن ثمة سببا وداعيا. وحملقت إليه، ومسح بيده على جبينه، ثم قال لها:

– إنك تدركين عما أتحدث. إني أستطيع أن أتبين ذلك. لا تحملقي إلى وجهي هكذا.. يجب عليك أن تقومي بمساعدتي، ويجب عليك أن تستعيدي كل شيء في وسعك أن تذكريه. لعلني أبدو في عينيك على غير ما تعرفينه عني، ولكنك ستدركين كل شيء بمجرد اطلاعك على تلك الرسائل. وفتح أحد الأدراج وأخرج منه صحيفتين من الورق الأزرق الباهت، وقد طبعت عليهما كلمات صغيرة دقيقة وقدم إليها إحداهما قائلاً:

– اقرئي هذه. وكان المسطر بالرسالة واضحا جليا لا لبس فيه: «إنك تعتقد أن زوجتك قد انتحرت، إنها لم تنتحر. لقد قتلت» وكان نص الثانية: «إن زوجتك "**روز ماري**" لم تنتحر. لقد قتلت». وبينما راحت "**أيريس**" تحدق النظر إلى الكلمات المدونة أمامها استطرد "**جورج**":

– لقد تلقيت الرسالتين منذ ثلاثة أشهر. واعتقدت لأول وهلة أنهما مجرد دعابة وإن كانت دعابة سخيفة قاسية. ثم بدأت أفكر فيما ورد بهاتين الرسالتين. ما الذي يحمل "**روز ماري**" على الانتحار؟ فقالت "**أيريس**" في صوت بعيد عن كل عاطفة:

– لعلها حالة من الانقباض النفسي ألمت بها في أعقاب "**الإنفلونزا**".

– ربما! غير أنك إذا أمعنت الفكر في هذا، لوجدت أنه بعيد عن الواقع، أليس كذلك؟ إن الكثيرين يصابون بـ"**الإنفلونزا**" ويشعرون بشيء من الغم في أعقابها، ماذا تريدين أن تقولي؟

– أريد أن أقول إنها ربما كانت غير سعيدة؟

فأطرق "**جورج**" وفكر مليا قبل أن يقول بكل هدوء:

– ربما كان الأمر كذلك. غير أنني لا أرى في "**روز ماري**" المرأة التي تنتحر لأنها غير سعيدة، إنها قد تهدد بذلك، ولكنها لن تقدم على الانتحار إذا ما بلغ بها الأمر مبلغ التنفيذ.

– ولكن هذا هو ما كان فعلا! وإلا، فبماذا تفسر موتها؟ وبماذا تعلل وجود المادة السامة في حقيبة يدها؟

– أعرف ذلك. قد أجمعت الأدلة على ذلك. غير أني بعد أن تلقيت هاتين الرسالتين بدأت أفكر في الأمر مليا. وكلما ازددت تفكيراً فيه، ازددت يقينا بأن فيما وجهته إليك من أسئلة عما إذا كان لـ"**روز ماري**" أعداء وعما إذا كان قد بدر منها ما ينم عن أنها كانت تخشى أحدا. إن من يقدم على قتلها، لابد وأن يكون لديه دافع إلى ذلك.

– ولكن.. "**جورج**"! لعلك قد جننت.

- يُخيَّل إليّ أحيانا أنني قد أصبحت هذا الرجل، وأحيانا أخرى أرى أنني على صواب. ومهما يكن من أمر فمن المتعين أن أصل إلى الحقيقة. وعليك أن تساعديني في ذلك. "**أيريس**" يجب عليك أن تفكري مليا، وأن تستعيدي كل شيء ، وكل صغيرة وكبيرة من أحداث تلك الليلة. وليس من شك في أنك توافقينني على أنها لو كانت قد قُتلت، فإن القاتل هو أحد المدعوين إلى هذا الحفل، أليس كذلك؟ بلى، إنها لترى هذا الرأي، فقد أصبح من العسير إبعاد هذا المشهد وكل ما يتصل به عن ذاكرتها. تلك الموسيقى وهذه الطبول. وهذا الحفل الصاخب، ثم ما كان من إطفاء الأنوار وإعادة إضاءتها، لتكشف عن "**روز ماري**" وقد مدت ذراعيها فوق المائدة وألقت برأسها ليرى الجميع وجهها الأزرق المحتقن. واقشعر بدن "**أيريس**" لمجرد استعادتها لذكرى هذا المشهد وتملكها خوف شديد من مجرد هذه الذكرى لم تشعر به من قبل. إنها يجب أن تستعيد كل كبيرة وصغيرة مما كان، كما يجب ألا تغفل عن شيء مما حدث مهما يكن من أمره

- 4 -

"روث ليسنج"

جلست "**روث ليسنج**" في لحظة هدوء من ساعات عملها اليومي، تستعيد ذكرى زوجة مخدومها "**روز ماري بارتون**". فقد كانت لا تحب "**روز ماري بارتون**" ولا تشعر بميل إليها، ولم تكن تدرك مدى شعورها هذا على وجه التحديد قبل هذا اليوم من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) حينما تحدثت إلى "**فيكتور دريك**" لأول مرة. وكان هذا اللقاء بينها وبين "**فيكتور**" بداية لكل ما حدث بعده. وفيما قبل هذا اللقاء، كان شعورها أبعد ما يكون عن أن تعي كنهه على وجه التحديد. لقد كانت شديدة الإخلاص لـ"**جورج بارتون**" وحينما قدمت لتعمل معه، وكانت فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها، هادئة الطبع، تعرف قدر نفسها رأت فيه رجلا في أمس الحاجة لأن توليه عنايتها. وقد كانت عونا كبيرا له، جنبته كثيرا من المتاعب وضياع الوقت والإسراف الذي لا جدوى منه. بل وكانت تختار له أصدقاءه، وتوجهه إلى ما يناسبه من هوايات، ولم يحدث أن رأى فيها "**جورج**". إبان عملها معه، غير موظفة مخلصة لا تغفل عن شيء من دقائق عملها. وكان يحسن استقبالها ويلقاها هشًا مبتسما كلما أقبلت عليه تعرض أمرا من عملها. وكانت نظرته إليها نظرة الرئيس إلى مرءوس كفء بما أولاه إياه من ثقته.

وكان يعجبه منها إنكارها لذاتها، وعدم محاولتها رفع الكلفة بينهما. وقد استتبع ذلك، زيادة ثقته بها، وارتياحه إليها، وتبادل الحديث معها في بعض شؤونه الخاصة. وكانت تصغي إليه في اهتمام وتتبع لما يحدثها به، ثم ينتهي هذا الحديث بمشورة يطمئن إليها. ومع ذلك، فلم يكن لها رأي في موضوع زواجه. كما أنها لم ترحب به. غير أنها لم تجد بدا من التسليم به كأمر واقع، وعاونت السيدة "**مارل**" في الكثير مما يتطلبه الإعداد للزواج. ولفترة ما. فيما بعد الزواج، لم تكن علاقتها برئيسها كما كانت من قبل غير أن هذا لم يحل بينها وبين القيام بعملها على الوجه الأكمل وبالذات لأن "**جورج**" بعد زواجه كان يعهد إليها بأكثر مما كان يعهد به قبل زواجه. وكانت "**روز ماري**" تقدرها حق قدرها وترى فيها عونا كبيرا له ولها، وقد أسرتها بابتسامتها الدائمة وأدبها الجم، وكانوا جميعا، "**جورج**"، و"**روز ماري**"، و"**أيريس**" ينادونها باسمها "**روث**"، مجردا وكانت كثيرا ما تدعى لتناول طعام الغداء في بيت ميدان "**فاستون**" وكانت قد بلغت الآن التاسعة والعشرين من عمرها، وإن كان لم يبد عليها أي تغيير عما كانت عليه في الثالثة والعشرين. واستطاعت بما لها من مكانة في بيت الأسرة، أن تدرك ما طرأ على "**جورج**" من رد فعل عاطفي بعد زواجه. وكان كثير الإغفال لبعض الأمور الدقيقة التي كانت تتداركها وتوجه نظره إليها. وفي صباح يوم من أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، تحدث إليها بشأن "**فيكتور دريك**" قائلاً:

– أريد منك أن تقومي بعمل قد لا يرضيك. وتطلعت إليه مستفسرة. ولم يكن ثمة شك في أنها ستقوم بكل ما يعهد به إليها دون مناقشة. واستطرد "**جورج**" قائلا:

– إن في كل أسرة فردا يكون بمثابة النقطة السوداء في تاريخها،، إن هذا الرجل ابن عم لزوجتي وهو مثل سيئ لأفراد أسرتها. وكان هذا الرجل سببا في الإضرار بأمه، تلك الأم التي تسبغ عليه من عطفها ما لا يستحقه، وباعت من أجله الكثير من أسهمها القليلة.. ولقد بدأ عبثه هذا بتزوير شيك في "**أكسفورد**"، وبعد أن قامت والدته بكل ما في وسعها لتجنب عواقب هذا السلوك الشائن، راح يجوب أنحاء العالم حيث لم تتحسن أحواله ولم يعد يصلح لعمل ما. واستمعت إليه "**روث**" في غير اهتمام. فقد كانت تعرف الكثير عن مثل هذا الطراز من الشباب الضائع، الذي ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يوفق في عمل ما. لقد كانت "**روث**" تؤمن بالعمل الناجح، وبالرجل الموفق، وبالجدية في كل ناحية من نواحي الحياة. واستطرد "**جورج**" في حديثه عن "**فيكتور دريك**" قائلاً:

– لقد عاد هذه الأيام إلى "**لندن**"، ولقد لمست أنه أصبح مصدر ضيق لزوجتي. ولم

تكن زوجتي قد رأته منذ أن كانت طالبة بالمدارس، ومع ذلك فهو دائب الكتابة إليها في طلب المال، الأمر الذي عقدت العزم على وضع حد له. ولقد اتفقت معه على أن نلتقي في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا بالفندق الذي يقيم فيه.. وأريد منك أن تتولي عني هذا اللقاء؛ لأني لا أريد الاتصال بمثل هذا الرجل. إنني لم يسبق لي أن التقيت به ولا أريد ذلك، وأعتقد أنه من الخير أن يتولى طرف ثالث تسوية هذا الأمر، تسوية عملية بعيدة عن التأثر بالروابط العائلية.

– أجل، إنها لخطة بارعة.. وماذ ترى أو ماذا أعددت لهذا اللقاء؟

– أعددت مائة جنيه نقدا، وتذكرة سفر إلى "**ريو دي جانيرو**" على أن يسلم المبلغ فوق ظهر السفينة. فابتسمت "**روث**" قائلة:

– وكأنك تريد بذلك أن تطمئن إلى إبحاره فعلا!

– أرى أنك قد وعيت ما أريد تنفيذه على وجه التحديد.

– لأنه موضوع يتكرر حدوثه وليس بالفريد في نوعه.

– هل أنت واثقة بأنك على استعداد للقيام بذلك؟

– بكل تأكيد. بل وأحب أن أطمئنك إلى أنني سأقوم بذلك خير قيام.

– أعرف أنك قادرة على القيام بكل شيء.

– وبهذه المناسبة، ما هو اسم هذا الرجل؟

– "**فيكتور دريك**". وإليك تذكرة السفر ،ولقد اتصلت تليفونيا بشركة البواخر بالأمس وعرفت أن الباخرة التي سيبحر بها هي "**سان كريستوبال**". وموعد إبحارها من "تلبوري" غداً. وتسلمت "**روث**" منه التذكرة، وأودعتها حقيبة يدها قائلة:

– اتفقنا. سأقوم بما سألتني إياه. الساعة الثانية عشرة. ما هو عنوان إقامته؟

– فندق "**روبيرت**" بميدان "**راسيل روث**". إني لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك، إنك بمثابة يدي اليمنى. إني لم أصارحك برأيي فيك كثيرا مما قد يبدو لك أنني لا أقدر لك صنيعك وإخلاصك في خدمتي. إنك لا تعرفين أنني أعول عليك في الكثير من شؤوني. إنك خير مثل للفتاة المجدة المخلصة في عملها! وقالت "**روث**"، وهي تضحك محاولة أن تخفي سرورها بما سمعت:

– إنك تبالغ في تقديري.

– إنني أعني ما قلت. لقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من هذه المؤسسة. إنني لا أتصور لعملي هذا أن يمضي دون وجودك. وغادرت غرفة مكتبه وهي تشعر بما في كلماته من حرارة دافقة. ولم يزايلها هذا الشعور حينما وصلت إلى فندق "**روبيرت**" للقيام بما عهد

به إليها. ولم تشعر "روث" بأي حرج إزاء ما هي مقبلة عليه. فقد كانت شديدة الثقة بقدرتها على معالجة كل المواقف. ولم تكن تؤمن بالحظ العاثر، ولا بالمفاجآت غير المتوقعة. وكانت على أتم استعداد لتعالج مشكلة "**فيكتور دريك**" كمعالجتها لمشكلات العمل اليومية. ووجدته عند لقائها به، قريبا من الصورة التي انطبعت في ذهنها عنه، وإن كانت أكثر جاذبية مما تخيلته عنه. ووجدت أنها لم تخطئ في تقديرها لشخصيته. إن "**فيكتور دريك**" لم يكن بالرجل الذي يصلح لشيء. كما وجدت أنه لا يجيد سوى الحديث المنمق، والقدرة على العبث بمشاعر من يواجهه، غير أنها تبينت أنها أخطأت في ناحية واحدة من نواحي تقديرها له أو قل ثقتها بنفسها في مقاومتها لسحره وجاذبيته. ونهض الرجل يستقبلها مبتسما وهو يقول:

– إنك مبعوثة "**جورج**"؟ يالها من مفاجأة حسنة! وفي نبرات جادة، ولهجة جافة أبلغته رسالة "**جورج**" بكافة شروطه. ووافق "**فيكتور**" على كل ما واجهته به قائلا:

– مائة جنيه؟ لا بأس بهذا المبلغ ،يا لـ"**جورج**" المسكين! لقد كنت مستعدا أن أقنع بأقل من ذلك.. بستين جنيهًا مثلا ولكن لا تقولي له هذا! والشروط هي: " لا تثقل على ابنة العم المحبوبة "**روز ماري**"، كما لا تحاول الاتصال بابنة العم البريئة "**أيريس**".. ولا تقم من ناحيتك بما يسبب الحرج لابن العم "**جورج**"".

إنني موافق على جميع هذه الشروط. ترى من الذي سيحضر لتوديعي على ظهر الباخرة "**سان كريستوبال**"؟ أنت، يا عزيزتي الآنسة "**ليسنج**"؟ هذا جميل إنه لمن دواعي السرور. هل تعملين في خدمة "**بارتون**" منذ فترة طويلة؟

– منذ ستة أعوام.

– وما أظنه يقدر على مواصلة عمله بدونك؟

– أجل إنني أعرف كل شيء وأعرف كل شيء عنك. وكيف تأتّى لك أن تعرف ذلك؟

– لقد علمت به من "**روز ماري**".

– "**روز ماري**"؟ ولكن.

– فليكن. لست أريد أن أكون مصدر ضيق لـ"**روز ماري**" بأكثر مما كنت. لقد كانت جد عطوفة عليَّ لقد حصلت منها على مائة جنيه، في الواقع.

– أنت.. وتوقفت "**روث**" عما كانت بسبيل قوله، وضحك "**فيكتور**" ووجدت "**روث**" نفسها وقد سرت إليها عدوى ضحكه، ثم استطردت قائلة:

– السيد "**دريك**"، لقد سلكت مسلكا معيبًا.

– إنني رجل عمليّ أجيد حبك القصة والتخطيط لما أريد، إنني أحقق ما أبغيه ببرقية

أتحدث فيها من بعيد عن فكرة الانتحار التي تراودني.

– يجب أن تخجل من نفسك، بدلا من أن تزهو بذلك.

– إنني أعرف نفسي ولا أقر مثل هذه التصرفات فيما بيني وبينها. وأعرف أني لست بالرجل الطيب. وأحب أن تعرفي أنت بالذات عني هذا.

– ولماذا؟

– لست أدري. إنك من طراز آخر. ولا أستطيع أن أسلك معك هذا المسلك. إن هاتين العينين الصافيتين تحدثانني بأنك لا يمكن أن تخدعي بذلك. كما أرى أنك لا تعرفين معنى الشفقة.

– إني لا أعترف بالشفقة وأكره أن أتحلى بها.

– على الرغم من اسمك؟ إن اسمك هو "**روث**" أليس كذلك؟ يا له من تناقض! "**روث**" التي يعني اسمها الرحمة تكوينه مجردة منها!

– إني لا أعرف العطف على أي موطن من مواطن الضعف!

– ومن قال إن بي مواطن للضعف؟ كلا، كلا، لقد جانبك الصواب في حكمك هذا، قد أكون شريرا سيئ السيرة. غير أن ثمة أمرا واحدا يجب أن تعرفيه عني وهو لا يقبل الجدل.

– وما هو ؟

– إنني أحرص على أن أعيش الحياة بعرضها. نعم، لقد نعمت بالكثير منها. لقد كنت في يوم ما ممثلا، وفي آخر تاجرا، وكنت ساقيا، كما كنت رجلا من رجال الأعمال، وعملت حمالا.. إلى آخر ما قد يتبادر إلى ذهنك من مختلف الحرف والمهن. لقد جبت البحار، ودخلت السجون! وبالاختصار، فقد قمت بعمل كل شيء، ورأيت كل شيء ومررت بتجارب كثيرة من كل مستوى. وتطلع إليها ضاحكا. وشعرت بأنه كان ينبغي لها أن تثور لما سمعته منه غير أنه كان لـ"**فيكتور دريك**" سحر الشيطان وكان في وسعه أن يجعل من الشر ملهاة له وقال لها مستطردا وهو يحاول أن ينفذ بعينيه إلى أعماق نفسها:

– لا تنظري إليّ هكذا! ما أظنك تتحلين بكل هذه الصفات الحسنة التي تعتقدين أنها لك! لقد كان النجاح أكبر مشجع على ما يخيل إليك أنك تتحلين به. إنك من طراز الفتاة التي ينتهي أمرها بالزواج من مخدومها. وهذا ما كان يجب أن ينتهي به أمرك مع "**جورج**". وما كان ينبغي لـ"**جورج**" أن يتزوج بـ"**روز ماري**" هذه. بل كان يجب أن يتزوج بك أنت، ولكن في هذا الزواج الخير كل الخير له.

- أعتقد أنك جاوزت حدك في حديثك الصريح هذا.

- إن "**روز ماري**" امرأة بالغة الحمق، كما كانت دائما، إنها رائعة الحسن، ولكنها لا تنعم برجاحة عقلك، إنها من هذا الطراز الذي يستهوي الرجال بجماله، ولكنهم سرعان ما يكتشفون أن هذا الجمال ليس هو كل شيء. أما أنت فمن طراز يختلف عن ذلك. إن من يتدله في حبك لا يمكن أن يمل الحياة معك.

- ولكن ما حدث كان بخلاف ذلك!

- أو تعنين أن "**جورج**" لم يعرف قدرك، أو يتملك حبك قلبه؟ لا تخدعي نفسك. فإذا ما ألم مكروه بـ"**روز ماري**" فإن "**جورج**" سرعان ما يتزوج بك. وإنك لتعرفين ذلك بقدر ما أعرفه، إنك يجب أن تكوني أكثر ثقة بنفسك مما أنت عليه. لقد كان في وسعك أن تحققي هدفك بالزواج بـ"**جورج**" الأمر الذي استطاعت "**روز ماري**" أن تحققه على الرغم من أنها ليست بأكثر من حمقاء شديدة الغباء لا تبلغ مبلغ حذقك وذكائك. لقد كان في وسعك أن تعبثي بـ"**جورج**" كما تعبثين بهذا الخاتم في إصبعك.

رددت "**روث**" في ذهنها ما كانت تود أن تصارحه به، وما كان يدور بخلدها فعلا: "هذا صحيح إن الحق ما تقول، فلو لم تظهر "**روز ماري**" على مسرح حياة هذا الرجل كنت قد تزوجت به، ولكنت الزوجة التي تعنى بأمره، وتعمل على إسعاده". ولكنها لم تعقب بشيء على حديث "**فيكتور دريك**" الذي راح يتأملها راضيا عن نفسه، لأنه كان يهوى أن يوحي إلى الناس ببعض ما يعتقد أنه يعبر حقيقة عن مشاعرهم، ومن هنا ومن هذا الحديث الصريح الذي أغضبها ومس شغاف قلبها، بدأت هذه المرحلة الجديدة في حياة "**روث**" التي عادت أدراجها إلى محل عملها وهي تختلف عن "**روث**" التي غادرته منذ قليل وإن كان لم يبد عليها ما ينم عما تختلج به نفسها. وبعد أن استقرت في مقعدها بقليل؛ اتصلت بها "**روز ماري**" تليفونيا؛ لتسأل عن زوجها، وأجابتها "**روث**" بأنه انصرف لتناول الغداء، ولما سألتها عما إذا كانت ترغب في شيء، أجابتها "**روز ماري**" قائلة:

- "**روث**"، هل لك أن تؤدي لي هذه الخدمة؟ لقد بعث العميد "**ريس**" ببرقية يعتذر فيها عن حضور حفل عيد ميلادي، أرجو أن تستفسري من "**جورج**" عمن يجب أن يدعوه بدلا منه، إذ يجب أن نتفق على دعوة رجل غيره؛ لاكتمال العدد المكافئ لعدد السيدات المدعوات. وبعد أخذ ورد بينها وبين "**روز ماري**"، في هذا الشأن أعادت "**روث**" سماعة التليفون إلى مكانها وهي تندب حظها وتحقد على هذه المرأة التافهة التي أراد لها القدر أن تنعم بالثراء وبالزوج المناسب والتي لا تحاول أن تجهد ذهنها في

التفكير في الإعداد لحفل عيد ميلادها، وأدركت في هذه اللحظة بالذات أنها تكره "**روز ماري بارتون**"، وتأملت جهاز التليفون قائلة:

– لكم وددت أن أراك ميتة. وقد فزعت لمجرد ترديدها هذه الكلمات، إنها ليست من هذا الطراز الذي يفكر في مثل هذا الأمر، أو يتمناه، إنها لم تكن في يوم ما بالمرأة العاطفية التي تميل إلى العنف، بل كانت هادئة الطبع، قادرة على السيطرة على أعصابها عن جدارة وكفاية، وتساءلت فيما بينها وبين نفسها عن السبب فيما طرأ عليها من تغير. وقامت بتنفيذ ما سألتها إياه "**روز ماري**" وأبلغت رسالتها إلى "**جورج**" وهي تقترح في صوتها الهادئ الذي تسيطر عليه كعادتها، بأن تعتذر عن قبول الدعوة إلى هذا الحفل حلا لمشكلة تكافؤ العدد، غير أن "**جورج**" سرعان ما رفض عرضها هذا، وفي صباح اليوم التالي أقبلت تحيط "**جورج**" علما بإبحار الباخرة "**سان كريستوبال**"، وشكر لها "**جورج**" صنيعها وقد انزاح عن صدره عبء ثقيل، ثم باغتها بسؤالها عن رأيها في "**فيكتور دريك**" وأجابته بأنه، في رأيها، من طراز ضعيف محاولة ألا يبدو من صوتها ما ينم عن حقيقة شعورها، وما كانت تشعر به فعلا من رغبة في أن تصيح في وجهه قائلة: "لماذا أوفدتني للقاء هذا الرجل؟ ألم تكن تعرف ما سيكون من تأثير له عليّ؟ ألم تتبين بأنني أصبحت فتاة أخرى بعد لقاء الأمس؟ وأنني لم أعد أدري من أمر نفسي شيئا؟" ولكنها استطاعت أن تسيطر على نفسها، وتواصل عرض ما لديها من أعمال. وبعد خمسة أيام، توجهت تلبية لدعوة "**روز ماري**" لها لحضور حفل عيد ميلادها، وتبينت وهي تجلس إلى المائدة في مواجهة "**روز ماري**" ما طرأ عليها وعلى مشاعرها من تغيير تجاهها، بل وأدركت حقيقة ما قاله لها "**فيكتور دريك**" من أنها امرأة لا تعرف الرحمة إلى قلبها سبيلا. وذلك حينما كانت تتطلع إلى وجه "**روز ماري**" الأزرق المحتقن، وقد ألقت برأسها فوق المائدة بعد أن فارقت الحياة. والآن وبعد أحد عشر شهرا من تلك الليلة، تشعر بالخوف يتملك منها وهي تستعيد ذكرى "**روز ماري بارتون**".

- 5 -

"أنتوني براون"

جلس "**أنتوني براون**" مقطب الجبين وهو يفكر مليا في "**روز ماري بارتون**" وكان يرى أنه قد يكون من الحمق أن يدع نفسه منساقا مع هذا التيار الذي دفعه إلى الاختلاط بها، وإن كان لأي رجل عذره في الانسياق مع هذا التيار! فليس من شك في أن

هذه السيدة كان لها من الحسن ما يدعو إلى تعلق الأنظار إليها بفندق "**دورشستر**" ، لقد كانت رائعة الحسن، كملكة من ملكات الجمال شديدة السحر بحركاتها الرشيقة، وروحها المرحة! وعلى الرغم مما يجول بخاطره في تلك اللحظة من تهيب لهذه العلاقة الجديدة، إلا أنه لا ينسى نشاطه الجاد فيما كان من محاولات ليقدمه أحدهم إليها، وكان لا يغتفر لنفسه أنه أمضى الكثير من ساعات عمله في سبيل تحقيق هذه الرغبة.. ومهما يكن من أمر، فإن "**روز ماري بارتون**" كانت جديرة بكل اهتمام وبكل تقصير في أداء الرجل لواجبه، وما إن تم له الاتصال بها، وتحققت رغبته في التعرف إليها، حتى أدرك أنه كان شبه أحمق؛ إذ إنه فور أن جلس يتحدث إليها، وأصبحت جزءا من حياته العادية حتى خفت سحرها، وشعر بأن تلك الرغبة التي استبدت به، لم تكن منبثقة عن حب أو هيام، وكان حسبه من صداقتها أن يقضي معها وقتا طيبا، لا أكثر ولا أقل. وقد نعم فعلا بهذه الصداقة، كما نعمت بها "**روز ماري**" هي الأخرى، وكان يصطحبها إلى الحفلات الراقصة، حيث كانت ترقص كملاك هبط من السماء، يجتذب أنظار الرجال برشاقة خطواته، وكانت تبعث في نفس زميلها في الرقص نشوة السرور، وكان كل شيء يبدو على ما يرام في صحبتها ما دمت لا تترقب منها أن تبادلك الحديث.. وكان يحمد الله أن هذه المرأة ليست بزوجته.. وحسب من يصاحبها أن ينعم بجمال وجهها، وحسن قوامها، وكانت من هذا الطراز الذي ينتظر منك أن تمتدح جماله في كل صباح، وتعيد على سمعه أنك متيم في حبه! لقد كانت شغله الشاغل، فلم يكن لينقطع عن الاتصال بها تليفونيا. والخروج معها ، واصطحابها إلى المراقص ، ومبادلتها القبل وهما يستقلان السيارة ، وهكذا ظل غارقا في علاقته بها ، إلى أن كان هذا اليوم المفاجئ بأحداثه والذي لم يكن في الحسبان .

وإنه ليستطيع أن يذكر كيف كانت تبدو بشعرها الكستنائي المدلى فوق أذنيها، وبجفنيها المسدلين فوق عينيها الزرقاوين ، وبشفتيها القرمزيتين الداعيتين وهي تقول له :

– " **أنتوني براون**" ، إنه لاسم جميل !

فيجيبها معقبا في خفة ومرح :

– إنه اسم عريق له خلفيته المحترمة .. لقد كان كبير أمناء "**هنري**" .

– هل هو من أسلافك ؟

– لست واثقا من ذلك .

– من الخير لك ألا تذكر شيئا من هذا القبيل

– ولماذا ؟ إنني من أحفاد هذا الاسم "المستعمرين" .

– وهل في دمائك دم إيطالي ؟
– أتعنين بهذا لون بشرتي ؟ إن والدتي كانت إسبانية الجنسية .
– هذا ما يوضح لي الأمر .
– يوضح ماذا ؟
– يوضح الكثير ، أي السيد "**أنتوني براون**" .
– يبدو أنك معجبة باسمي .
– لقد صارحتك بذلك ، إنه لاسم جميل ، أحسن بكثير من اسم "**توني موريللي**" .
ولم يصدق ما سمعته أذناه لأول وهلة ! إن هذا مستحيل !
وأطبق بيده على ذراعها ، وحاولت أن تفلت ذراعها من قبضته قائلة :
– إنك تؤلمني !
– من أين لك التعرف على هذا الاسم ؟
وكان صوته أجش ، غير طبيعي ، وضحكت ، وقد سرها ما تبينته من رد فعل لما فاجأته به ، وعاد يلح في سؤالها قائلا :
– ممن علمت بهذا الاسم ؟
– شخص ما تعرف إليك .
– ومن عساه أن يكون يا "**روز ماري**" ، إن الأمر لبالغ الخطورة ، يجب أن تجيبي عن أسئلتي . فرنت إليه بعينيها وهي تقول :
– ابن عم لي سيئ السيرة والسلوك يدعى "**فيكتور دريك**" .
– لم يسبق لي أن التقيت بشخص يحمل هذا الاسم .
– أعتقد أنه لم يكن يدعى به حين تم اللقاء بينكما محافظة منه على اسم الأسرة ومراعاة لشعورها .
وهز "**أنتوني**" رأسه وهو يقول في بطء شديد :
– لقد فهمت ، كان ذلك في السجن ؟
– نعم ، كنت أسمع "**فيكتور**" في يوم ما ما لا يرضيه من أنه عار بالنسبة لجميع أفراد الأسرة ولم يعرني التفاتا ، بل ابتسم قائلا : " وأنت الأخرى لاتعنين كثيرا بتنفيذ ما تنصحينني به ، فلقد رأيتك في الليلة السابقة تراقصين سجينا سابقاً ، وهو من أصدقائك المقربين في الواقع ويدعى الآن باسم "**أنتوني براون**" ، وقد عرفته في السجن باسم "**توني موريللي**" " .
– أرى أنه من المتعين علي أن أجدد تعارفي بصديق الشباب هذا ، إن من يجمع بينهم

السجن في يوم من الأيام ، يجب أن يشعروا بشعور أفراد الأسرة الواحدة .

– تلك رغبة جاءت متأخرة ، لقد أبحر إلى "**أمريكا الجنوبية**" بالأمس .

– إذن ، فأنت الشخص الوحيد الذي يعرف سري الآثم .

– ولن أفشي هذا السر عنك .

– من الخير لك ألا تفعلي شيئا من هذا القبيل ، استمعي إليّ ، إنه لأمر بالغ الخطورة وما أظنك ترغبين في قضاء بقية عمرك بوجه مشوه ؟ إن ثمة بعض الناس لا يتحرج عن القيام بمثل هذا العمل ، ولا تعتقدين أن هذه الصورة من الانتقام هي محض خيال لا يكون إلا في القصص والأفلام ، بل إنه ليتكرر في الحياة الواقعية أيضا .

– هل أفهم من هذا أنك تهددني ؟

– إنه تحذير مني فحسب .

أتراها قد حملت هذا الإنذار محمل الجد ؟ وهل أدركت أنه كان جادا فيما يقول؟ ياللحمقاء التافهة ، إن هذا الرأس الجميل لا يحوي إلا فراغا ، فليس في وسعك أن تعول عليها في الاحتفاظ بسر ما ، وقال لها تأكيدا لما سألها إياه :

– فلتنسي أنك سمعت باسم "**توني موريللي**" ، هل وعيت ما قلته لك ؟.

– إن هذا لا يعنيني في كثير أو قليل . "**توني**" ، إنني امرأة واسعة الأفق ، وإنه ليطيب لي أن أتعرف إلى أحد المجرمين ، لا تراع ، وليس بك حاجة لأن تخجل من هذا الأمر .

ياللحمقاء شديدة الغباء ! وتأملها بعينين باردتين . وتساءل فيما بينه وبين نفسه عما حدا به إلى السعي للتعرف إلى مثل هذه المرأة التافهة عقلا ،إنه لا قبل له باحتمال الحمقاوات على الرغم مما يحظين به من جمال وحسن واستطرد قائلا ، وقد تجهم وجهه :

– إنني أعني ما أقول ، فلتنسي كل شيء عن "**توني موريللي**" ، ولا أحب أن أسمعك ترددين هذا الاسم ثانية .

ورآها تبتسم ، ابتسامة فيها الكثير من الإغراء ، وإن كانت لم تحرك فيه ساكنا ، وسمعها تقول :

– لا تكن قاسيا إلى هذا الحد ، فلتصطحبني إلى الحفل الراقص الأسبوع المقبل .

– إنني لن أكون في هذه البلاد ، إنني راحل قريبا .

– لن يكون هذا قبل حفل عيد ميلادي ، إنك لن تخذلني ، إنني أتلهف شوقا لمشاركتك لنا الاحتفال بهذا العيد ، لا أريد أن أسمع منك اعتذارا ، لقد كنت مريضة بـ"**إنفلونزا**" حادة وما زلت أشعر بالوهن والضعف في أعقابها ، مما من شأنه أن يجعلني عاجزة عن مناقشتك ، من المتعين عليك أن تجيب دعوتي .

وكان على وشك إجابتها بما يفيد إصراره على ما سبق أن اعتذر به من اعتزامه السفر إلى الخارج غير أنه كان قد وقع نظره في هذه اللحظة على "**أيريس**" وهي تهبط الدرج ، رشيقة القد بوجهها الأبيض وشعرها الأسود وعينيها الرماديتين ، لقد كانت "**أيريس**" أقل جمالا من "**روز ماري**" ، ولكنها كانت تتحلى بالشخصية القوية التي تعوز "**روز ماري**" .

وقد تبادر إلى ذهنه في هذه اللحظة ، أنه كان ضحية لجمال "**روز ماري**" وسحرها الباديين ، وكره نفسه لضعفه هذا ، وكان شعوره أقرب ما يكون إلى شعور "**روميو**" وهو يستعيد صورة "**روزالند**" حينما وقع نظره لأول مرة على "**جولييت**" ، وسرعان ما تحول "**أنتوني براون**" عن عزمه السابق ، ونحا في حديثه منحى جديدا .

- 6 -

ستيفن فاراداي

كان "**ستيفن فاراداي**" جالسا يفكر في "**روز ماري**" .. يفكر فيها بتلك الصورة المذهلة التي أثارتها فيه . وكان قد دأب على استبعاد كل صورة عنها من ذهنه فور استعراضه لها غير أنه كانت تمر به ساعات ، لا يستطيع فيها أن يتخلص من ذكراها التي كانت تلح عليه في مماتها كما كانت تلح عليه صاحبة الذكرى في حياتها .

وكان شعوره إزاء هذه الذكرى ، هو عين شعوره حينما استعاد لأول مرة هذا المشهد الذي كان في المطعم . وكان عليه على الأقل ، ألا يستعيد هذا المشهد المفزع ، وأن يعود بذهنه القهقرى إلى "**روز ماري**" التي تفيض بشرا وتمتلئ حيوية ، ولا تفتأ ترمقه بعينيها الجميلتين ..

يا له من أحمق ، إنه لا يصدق أن الحمق بلغ به هذا الحد .

وجلس في حيرة من أمره ، تلك الحيرة المشوبة بالدهشة .. كيف حدث كل هذا؟ إنه لا يستطيع أن يلم بأطراف ما كان . وإنه ليرى حياته وكأنها انشطرت إلى شطرين : الأول وهو الأكبر حياة ، الرجل العاقل و المتزن ، ذو المستقبل المرموق ، والآخر وهو الأصغر حياة ،الرجل الذي فقد اتزانه وما عرف به . ولم يكن بين الشطرين تقارب ما .

وإنه ليستعيد أحيانا حياته فيما مضى ، مقدرا لأطوارها بتقدير الرجل المتزن المجرد عن العاطفة فيرضى عنها ويقنع بما كان له منها . فلقد كان منذ مطلع شبابه – وقد عقد العزم على ضرورة النجاح في الحياة – الرجل الموفق الناجح على الرغم مما صادفه من عقبات وصعوبات . لقد كان يؤمن بالإرادة القوية ، وبأن ما يريده الرجل بحق يستطيع أن

يحققه .

ولقد وفق "**ستيفن فاراداي**" في إرساء قواعد إرادته القوية ، وكان يعتمد على نفسه وعلى قدراته كل الاعتماد ، ولا يترقب من أحد مساعدة ما . لقد كان "**ستيفن فاراداي**" الصغير ، الذي لم يتجاوز السابعة من عمره ، الذي تنم تقاطيع وجهه عن قوة العزيمة والجلد ، صبيا يرى فيه الجميع أنه من الطامحين المقتدرين . ولم يعول في بلوغ ما يطمح إليه على والديه ؛ إذ كانت أمه قد تزوجت من رجل يقل عنها في المستوى الاجتماعي ، ثم عادت تنعي على نفسها هذا المسلك . وكان والده المخادع الماكر ، محل احتقار زوجته وابنه أيضا . . وكانت صورة والدته غامضة في ذهنه ، إلى أن كان هذا اليوم الذي رآها فيه مخمورة تتدلى يدها بزجاجة كولونيا فارغة وهي جالسة إلى المائدة . ولم يكن قد عزا تصرفات والدته الغامضة إلى إدمانها الشراب ؛ إذ لم يكن قد رآها من قبل تعاقر الشراب . ولم يكن قد أدرك أن حبها لماء الكولونيا له علاقة بتلك الحالات التي كان يراها فيها . وكل ما كان يعرفه أنها كانت تتعلل بالصداع في كثرة استعمالها لماء الكولونيا . ومن هنا انجلى أمام عينيه موقفه من والديه ، وقد أدرك أخيرا أنه لا خير فيهما ، على الرغم من حداثة سنه. واختط "**ستيفن**" لنفسه حياته بعيدا عن إشراك والديه في تفكيره. وعقد العزم على أن يسلك سبيل النجاح وأن يعمل على ارتقاء مدارج الرقي . وبدأ يعد نفسه لهذا المستقبل . بما التزم به من هدوء في حديثه ، ووزن لكلماته قبل أن يتفوه بلفظ ما . وهكذا مضى في حياته قدما من نجاح إلى نجاح ، وانكب على دراسته لأنه كان يعرف أن التعليم هو أولى درجات النجاح في الحياة. ولمس فيه أساتذته حسن استعداده ، فكان محل عطفهم وتشجيعهم . وتنبأ له الجميع بمستقبل باهر . يتفق مع ما كان يتحلى به من إرادة قوية وعزم أكيد ، وحسن استعداد في كل ناحية من نواحي خلقه وذكائه .

وفي سن الثانية والعشرين ، تخرج "**ستيفن**" في جامعة "**أكسفورد**" . بدرجة امتياز ، وقد اشتهر بقدرته الفائقة على الخطابة والكتابة . وكانت له مكانته بين كثير من الزملاء والأصدقاء ، وكان يميل إلى كل ما له اتصال بالسياسة، وعمد إلى التحرر مما كان يشعر به من خجل وحياء وإلى إحاطة نفسه بهالة اجتماعية حدت بالناس إلى امتداح تواضعه والإشادة بذكائه وبما سيكون له من مستقبل باهر مرموق .

وانضم "**ستيفن**" إلى حزب العمال في مستهل حياته السياسية ولكنه وجد أن هذا الحزب لن يرضي طموحه ، فتركه لينضم إلى حزب المحافظين ، الذي رحب به وقدره حق قدره . وكان أن فاز في الانتخابات لعضوية مجلس العموم على منافسه من حزب العمال . وبذلك بدأ حياته السياسية التي كان يتوق إليها ويصبو . غير أنه تبين بعد قليل أنه

بحاجة إلى ما هو أكثر من كفاءته ومقدرته ، إنه في حاجة إلى تدعيم هذا بالنفوذ ،ومن هنا بدأ يفكر في الزواج وكانت الصورة الماثلة في ذهنه من قبل عن الزوجة الصالحة هي صورة المرأة التي تشاركه حياته وتبادله آماله . تلك الزوجة التي تشعر بشعوره وتتمنى نجاحه وتفخر به .

ثم كان هذا اليوم الذي دعي فيه إلى حفل استقبال بقصر " **كيدر منستر** " . وكانت أسرة " **كيدر منستر** " من بين الأسر قوية النفوذ في "**إنجلترا**" . وكان للأسرة ماض سياسي عريق ، وكان الأمير " **كيدر منستر** " من الشخصيات المرموقة المعروفة للجميع . وكذلك كانت زوجته السيدة " **كيدر منستر** " ، من سيدات "**إنجلترا**" المعروفات بنشاطهن الاجتماعي وعلو كعبهن بين نساء الطبقة الراقية . وكان لهما خمس بنات امتازت ثلاث منهن بجمالهن ، وإن عرفن جميعا برجاحة العقل ، وولد لا يزال بكلية " **أيتون** " . وكان من دأب الأسرة دعوة شباب الحزب ، من آن لآخر ، إلى منزلهم . ومن هذا القبيل تلك الدعوة التي وجهت إلى "**فاراداي**" .

ولم يكن يعرف كثيرا من المدعوين ، الأمر الذي كان سببا في وقوفه وحيدا بجوار إحدى نوافذ القصر طوال عشرين دقيقة بعد وصوله . وبعد أن انفض المدعوون من حول مائدة الشاي وانتقلوا إلى غرف أخرى ، وقع نظر "**ستيفن**" على فتاة ممشوقة القد تقف إلى جوار المائدة وهي في حيرة من أمرها .

وعرف فيها من صورة فوتوغرافية كانت منشورة في إحدى المجلات ، أنها السيدة" **ألكسندرا هايل**" ، الابنة الثالثة لـ "**إيرك**" " **كيدر منستر**" . وأدرك من حالتها أنها لا تقل عنه حياء ،وكانت من بين سائر شقيقاتها ، منطوية على نفسها لا تبلغ مبلغ جرأتهن.

ورأى "**ستيفن**" أن ينتهز هذه الفرصة السانحة . لقد دبر القدر له أمر هذا اللقاء، "انتهز هذه الفرصة ، أيها الأحمق انتهزها ! لئن لم تنتهزها الآن ، فقد لا تتهيأ لك أبدا ، إنها فرصتك ، هيا تقدم ! "

واجتاز القاعة إلى حيث تقف ، ومد يده يلتقط إحدى الشطائر ، ثم استدار إليها موجها الحديث إليها في عصبية بادية :

- ترى ، هل تمانعين في أن أتحدث إليك ؟ إنني .. أعني أنه ليست لي معرفة بالكثيرين هنا ، وأرى أن هذا هو شأنك . أرجو ألا تَصدّيني ؛ لأنني شديد الحياء، وأعتقد أنك أنت الأخرى كذلك ؟

واحمر وجه الفتاة خجلا ، وفتحت فمها تريد أن تتكلم . ولكنها آثرت أن تطبق

شفتيها . وأخيرا سمعها تقول له :

– في الواقع ، إنني . . إنني أنا الأخرى لا أقل عنك حياء .

– إنه لشعور ثقيل الوطأة . ولست أدري متى يمكن التغلب عليه . إنني . . أشعر أحيانا بعجزي عن الكلام .

– وهكذا حالي .

واستمر في حديثه . . . وكان يتكلم بسرعة وقد أرتج القول عليه ، وكانت حالته تدعو إلى الشفقة ، كصبي أمام أستاذه وكانت هذه الظاهرة طبيعية بالنسبة إليه من سنوات مضت .

وبعد أن خيل إليه أنه قد تخلص منها ، رآها تعود إليه وتجعل منه في نظر الناس ، صبيا ساذجا ، لا حول له ولا قوة . وحول مجرى الحديث إلى موضوع المسرحيات، وتحدث عن مسرحية كانت تعرض آنذاك ولاقت إقبالا شديدا . وكانت " **ساندرا** " قد شاهدتها . ومن هنا بادلته الحديث عنها وعن موضوعها الذي كان يدور حول الخدمات الاجتماعية .

ولم يكن " **ستيفن** " ممن يميلون إلى المبالغة في انتهاز الفرصة . ورأى السيدة " **كيدر منستر** " تدخل الغرفة ، وعيناها تبحثان عن ابنتها . ولم يكن من خطته في ذاك الوقت ، أن يقدم نفسه إليها . فتمتم مستأذنا في الانصراف وهو يقول :

– لقد سعدت بهذه الفرصة التي أتاحت لي تبادل الحديث معك . وفي الواقع، إنني كنت قد ضقت ذرعا بهذا الحفل إلى أن وجدتك . . شكرا .

وغادر قصر "**كيدر منستر**" راضيا عن نفسه ، وعن تلك الفرصة التي سنحت له واستطاع أن ينتهزها ، وحاول في الطريق أن يجمع شتات فكره ليستعيد ما كان ويعد الخطة لما سيكون .

وراح يحوم حول قصر " **كيدر منستر** " ، عدة أيام متتالية . ورأى "**ساندرا**" في يوم من هذه الأيام تخرج مع إحدى شقيقاتها . ورآها في يوم آخر تخرج بمفردها ، ولكنها كانت في عجلة من أمرها . ولم يجد الفرصة مواتية له في المناسبتين . ثم كان ، وبعد حوالي أسبوع من الحفل الذي كان مدعوا إليه في قصر "**كيدر منستر**" ، أن تهيأ له ما كان يصبو إليه . إذ رآها تخرج في صباح يوم من الأيام ومعها كلب أسود اللون صغير الحجم ، متجهة نحو المنتزه العام .

وبعد خمس دقائق ، كان يقف أمامها رجل في مقتبل العمر وهو يقول :

– إنني لجد محظوظ ! لقد كنت أتساءل دائما عما إذا كانت ستسنح لي فرصة لقائك ثانية .

وكانت نبرات صوته تهتز سرورا وفرحا ، مما تسبب في ارتباك الفتاة ، حيث وقفت في حيرة من أمرها وقد أرتج القول عليها .

وانحنى يمسح بيده فوق ظهر الكلب قائلا :

– إنه كلب ظريف . ما اسمه ؟

– "**ماك تافيش**"

– إنه اسم اسكتلندي بحت .

وكان محور حديثهما الكلب بضع لحظات . ثم انبرى "**ستيفن**" قائلا فجأة :

إنني لم أخبرك باسمي حينما التقينا في ذاك اليوم . اسمي "**فاراداي**" . .

"**ستيفن فاراداي**" . عضو مجلس عموم مغمور .

وتأملها بعينين متسائلتين ، ورأى الدم يصعد إلى وجنتيها وهي تقول له :

– إنني "**ألكسندرا هايل**" .

وتعمد أن تبدو عليه مظاهر الدهشة والارتباك وهو يقول لها :

– هكذا . . إذن فأنت السيدة "**ألكسندرا هايل**" . . يا إلهي ! لقد بدوت في نظرك رجلا أحمق في ذاك اليوم .

– كان ينبغي لي أن أخبرك بذلك في حينه .

– بل أنا الذي كان ينبغي له أن يعرف ذلك .

– وكيف كنت ستعرف هذا ؟ لا تراع يا سيدي . هيا بنا نواصل السير ، لأن "**ماك تافيش**" لا يستقر له قرار .

وبعد ذلك ، تكرر بينهما اللقاء في المنتزه العام . وحدثها عن آماله وأمانيه، وتناقشا معا في كثير من رؤوس المسائل السياسية . ووجد فيها فتاة ذكية ، مثقفة ، واسعة الاطلاع متزنة العقل ، صافية الذهن . وبعد هذه اللقاءات العديدة توثقت بينهما عرى الصداقة . ثم دعي بعد ذلك إلى تناول العشاء بقصر "**كيدر منستر**" ، واصطحبها بعد ذلك إلى أحد المراقص .

وسنحت فرصة للابنة ، تبادلت فيها الحديث مع والدتها عنه . وقالت "**ساندرا**" فيما قالت بصوت هادئ :

– نعم ، لقد التقيت به لأول مرة ، حينما دعي إلى حفل سابق ، ثم التقيت به مرتين بعد ذلك .

وأخذ رأي الأمير "**كيدر منستر**" في هذا الشاب ، فكان في صفه وشجع على الاستزادة من توثيق الصلة به قائلا :

– إنه شاب ذكي يبشر بمستقبل لامع . صحيح أنه غير معروف الآن ، ولكنه سيجعل من اسمه علما معروفا في يوم من الأيام .

وأقرت السيدة "**كيدر منستر**" زوجها على رأيه . وبعد شهرين من الحديث العائلي الخاص ، رأى "**ستيفن**" أن يقدم على الخطوة التالية . فبينما كان جالسا مع "**ساندرا**" بالمنتزه العام قال لها وهو يداعب كلبها الذي كان رابضا بين قدميه :

– "**ساندرا**" ، هل تعرفين ..؟ يجب أن تعرفي أنني أحبك و أنني أرغب في الزواج منك . وما كنت لأسألك هذا ما لم أكن مؤمنا بأنني سأكون رجلا له مكانته في يوم من الأيام . إنني واثق كل الثقة مما أقول . وما أظنك ستندمين على اختيارك لي زوجا .

– إنني لن أندم مهما يكن من أمر

– أفهم من هذا أنك .. ؟

– ألم تكن تدرك ؟

– كنت أرجو فقط – غير أنني لم أكن واثقا من ذلك . لقد أحببتك منذ تلك اللحظة التي وقع نظري فيها عليك عبر الغرفة واستجمعت شجاعتي واقتربت منك لأبادلك الحديث لقد كانت هذه اللحظة من أشد لحظات حياتي حرجا .

– أعتقد أنني أحببتك أنا الأخرى منذ تلك اللحظة ..

وأخيرا ، وبعد عرض الأمر على الأسرة ، أصبحت "**ألكسندرا ساترين هايل**" زوجة لـ "**ستيفن ليونارد فاراداي**" ، وسافر العروسان إلى "**إيطاليا**" لقضاء شهر العسل ، ثم عادا بعد ذلك إلى بيتهما الصغير في "**ويست منستر**" . ولم يمض على زواجهما كثيرا ، حتى توفيت إحدى قريبات "**ساندرا**" وخلفت لها قصرا في الريف . وسارت الأمور على خير ما يرام بالنسبة للزوجين الشابين . وحقق "**ستيفن**" في حياته البرلمانية نجاحا بعد نجاح ، وكانت "**ساندرا**" خير عون له في تحقيق طموحه . وكان "**ستيفن**" يدرك ذلك ويرى أن الحظ إلى جانبه يبارك حياته! كما كان يدرك أن لارتباط اسمه بأسرة "**كيدر منستر**" أثراً كبيرا فيما يتحقق له من نجاح وتوفيق ، وأن كفاءته وقدراته كانت في حاجة إلى هذا التدعيم . وكان يؤمن بمقدرته وبكفايته ، متفانيا في القيام بكل ما من شأنه أن يفيد بلده . كما كان يقدر زوجته حق قدرها . ويلمس فيها أنها كانت خير عضد له . وكان شديد الإعجاب بها وبملامح وجهها التي تنبئ عن أصل عريق . كما كان يجد فيها خير رفيق في حياته الفكرية التي كانا يلتقيان في كثير من نواحيها دائما . وكان "**ستيفن فاراداي**" ، راضيا عن حياته العامة والخاصة كل الرضا، وكان يرى ، وهو لم يتجاوز بعد الثانية والثلاثين من عمره، أنه وضع قدميه فوق مدارج الرقي وبلوغ الآمال . وفي غمار

هذا النجاح المتواصل، والسعادة الزوجية الهادئة سافر مع زوجته لقضاء أسبوعين بـ"**سانت موريتز**" ، حيث وقع نظره على "**روز ماري بارتون**" ببهو الفندق .

ولم يدر ماذا ألم به في تلك اللحظة . غير أنه شعر بأنه سقط صريعا للحب إثر نظرة عابرة ، بعثت في نفسه ما كان يقرأ عنه من وحي الشعراء . هذا الحب الذي كانت تفيض به أشعارهم .فيبدو عميقا مجنونا ، يائسا ، ينزل من القلب بين أعز شغافه . وعجب من أمر نفسه أن يتعرض في هذه اللحظة لما لم يتعرض له وهو لم يزل بعد صبيا يافعا . فقد كان يعرف عن نفسه أنه أبعد ما يكون عن هذا الطراز من الرجال الذي يتدله في حبه وغرامه .

إن الحب عنده كان مجرد شعور بالإعجاب والتقدير المتبادل . تماما كحبه لزوجته وتقديره لها . وهذا الحب هو أبعد ما يكون عن العاطفة الملتهبة التي تأخذ بمجامع القلب هياما وغراما .

ولم يعد يفكر في شيء سوى "**روز ماري**" وشغلت صورتها ذهنه ، بوجهها الضاحك ، وشعرها الكستنائي ورشاقة حركتها . وعرف سهاد الليالي ، والزهد في الطعام ولم يعد يجد لذة أو يحس بسعادة ، سوى في صحبتها وقضاء الوقت معها، بين رقص ولهو وعبث . وكان يشعر بأنه ملك الدنيا بين يديه وهو يحتويها بين ذراعيه في حلبة الرقص ، وقد تصاعد عطرها نفاذا فملأ عليه وجدانه . . إنه الحب .

وغادرت أسرة " **بارتون** "**سانت موريتز**" قبل أن تغادرها أسرة "**فاراداي**" بأسبوع، واقترح "**ستيفن**" على **ساندرا**" العودة إلى "**لندن**" قبل الموعد المحدد من قبل لعودتهما . ورافقته إلى "**لندن**" دون ممانعة . وبعد أسبوعين من عودتهما إلى "**لندن**" أصبح "**ستيفن**" عشيقا لـ "**روز ماري**" .

ودام اتصالهما ستة أشهر كانت بمثابة حقبة محمومة من حياتهما ، لا تمت إلى الواقع بصلة . وعلى الرغم مما كان "**ستيفن**" غارقا فيه من تلك العلاقة الغرامية المشتعلة ، إلا أنه كان يزاول عمله كالمعتاد ، ويقوم بزيارة دائرته الانتخابية ، ويوجه الأسئلة في مجلس العموم ، ويخطب في الناس في كثير من الاجتماعات ، ويناقش المسائل السياسية مع "**ساندرا**" كما ألفت منه ذلك ولم تكن صورة "**روز ماري**" تفارق عينيه إبان قيامه بكل هذه المهام والأعمال .

وكانت حياته معها ، واجتماعه بها في شقتهم الصغيرة حلما من أحلام الحياة الجميلة السعيدة .

وماذا بعد الحلم . . غير اليقظة .

وصحا من حلمه فجأة ودون مقدمات .

وكانت يقظته أشبه ما تكون بمن يخرج من نفق مظلم إلى ضوء النهار .

وذات يوم ، استعاد "**ستيفن فاراداي**" ، الغارق إلى أذنيه في الحب ، ذاته ، عندما رأى أنه ينبغي له ألا يلتقي بـ "**روز ماري**" كثيرا ، وأدرك أنه يخاطر بهذا اللقاء إلى حد كبير . ترى ماذا سيكون من موقف "**ساندرا**" إذا ساورها الشك ؟ وراح يختلس النظر إليها وهما جالسان إلى مائدة الفطور . وتبين من حديثه إليها ، أنها لا تشك في شيء ، وليست لديها أية فكرة عن خيانته لها . إن "**ساندرا**" ليست من هذا الطراز الكثير الشك من النساء . إنها امرأة حسنة النية . . سليمة الطوية .

لقد جانبهما الصواب ، هو و "**روز ماري**" في علاقتهما هذه ! وعجب فيما بينه وبين نفسه من أن زوجها لم يساوره الشك في أمرها وهو الذي يكبرها بعدة أعوام .

وتبادر إلى ذهنه أن يسافر بعيدا لفترة ما . وباغت زوجته " **ساندرا** " قائلا :

–ألا يمكن أن نسافر إلى "**فيرهافن**" ؟

فتأملته دهشة وهي تقول :

– هل ترغب في ذلك فعلا ؟ هل يمكنك أن تبتعد عن عملك ؟

– قد لا يستغرق هذا أكثر من أسبوع . إنني في حاجة إلى قليل من رياضة الجولف ؛إذ أشعر بشيء من الركود الذهني والملل النفسي .

– ما دمت تريد هذا ، ففي وسعنا أن نرحل غدا . وسيعني هذا إلغاء بعض ماارتبطنا به من دعوات .

– ليكن . ولنتدبر معا تلمس الأعذار في هذا الصدد . إنني أريد بحق أن أبتعد عن "**لندن**" قليلا .

وأمضيا وقتا جميلا في "**فيرهافن**" ، ونعم مع زوجته "**ساندرا**" بجلسات هادئة في شرفة البيت المطل على الحديقة المسورة ،وبممارسة لعبة الجولف بملعب "**ساندلاي**" ، وبالتجول في أنحاء المزرعة مساء ، و "**ماك تافيش**" يسير في أعقابهما . وشعر في هذه الفترة بشعور الناقه من مرض خطير .

وقطب جبينه دليلا على ما شعر به من ضيق عندما تبين ما في الرسالة المسلمة إليه بخط يد "**روز ماري**" ؛ وكان قد سألها ألا تكتب إليه ، لأن في ذلك مخاطرة كبرى . وإنه وإن كان كبير الثقة بزوجته "**ساندرا**" ، إلا أنه ضعيف الثقة بالخدم وفضولهم .

وما إن فض الرسالة ، وراح يقرؤها في غرفة مكتبه حتى عاد سحرها ليتملك نفسه وهي تردد فيما دونته مدى حبها له ، وعدم قدرتها على احتمال بعده عنها طوال هذه الأيام

الخمسة ، ترى هل كان هذا هو شعوره ؟ وهل شعر الفهد بأنه يفتقد صاحبته ؟

وابتسم ، وهو يستعيد ذكرى هذا الاسم الذي أطلقته عليه ، بعد أن ابتاع لها رداء منزليا يشبه جلد الفهد الذي أعجبت به أيما إعجاب . وبعد أن اتخذا هذا الرداء مادة للضحك ، أطلقت عليه اسم الفهد "**ليونارد**" وأطلق هو عليها اسم الجمال الساحر "**بلاك بيوتي**" .

ومهما يكن من أمر ما بعثته فيه هذه الرسالة من مشاعر ونشوة ، إلا أنه لم يكن من المناسب أن تخاطر بهذا . لقد أصبح مؤمنا بأنهما يجب أن يلتزما جانب الحذر! إن "**ساندرا**" لا يمكن أن تدع مثل هذه العلاقة تمر هكذا ، لو حدث أنها علمت بطرف منها . ولقد سبق له أن صارح " **روز ماري** " بهذا فلماذا لم تنتظر عودته ؟ إن غيابه عن " **لندن** " لم يكن ليطول أكثر من أسبوع كما قال لها . لقد ألح في تحذيرها من الكتابة إليه .

وفي صباح اليوم التالي ، وجد رسالة أخرى فوق مائدة الفطور . وتميز "**ستيفن**" غيظا في قرارة نفسه ، وبالذات عندما خيل إليه أن "**ساندرا**" قد ألقت نظرة خاطفة على المظروف ، دون أن تستفسر عن شيء . وإنه ليحمد الله أن رزق بهذه الزوجة التي لا تسأل الرجل عن رسائله .

وبعد أن فرغ من تناول طعام فطوره ، استقل سيارته إلى سوق المدينة الذي يبعد عن منزلهم حوالي ثمانية الأميال ، فقد رأى أنه من الأصوب ألا يتصل تليفونيا بـ"**روز ماري**" من القرية .

– هاللو "**روز ماري**" ؟ لا تكتبي إليّ ثانية .

– "**ستيفن**" ، إنني جد سعيدة بسماع صوتك !

– حذار ، ففي وسع أي شخص يمكنه أن يسترق السمع لما يدور بيننا من حديث

– اطمئن . لقد افتقدتك . هل تبادلني هذا الشعور .

– نعم ، بكل تأكيد . ولكن لا تعودي للكتابة إليّ . إن في ذلك مخاطرة شديدة .

– هل أعجبت برسالتي ؟ هل شعرت وأنت تقرؤها بأنني معك ؟ إنني لا أريد أن أفترق عنك . هل هذا هو عين شعورك ؟

– "نعم ، ولكن هذا كلام لا يقال في التليفون .

– إنك جد حذر . وماذا يعنينا من ذلك ؟

– إن الذي يعنيني هو أنت . ولست أحب أن أكون مصدرا لمتاعبك أو السبب في شيء من هذا القبيل .

– إن أمر نفسي لا يعنيني في كثير أو قليل كما تعرف .

– ولكنه يعنيني أنا .

– متى ستعود ؟

– يوم الثلاثاء .

– هل سيكون اجتماعنا بالمسكن الخاص في يوم الأربعاء ؟

– نعم .. نعم .

– إنني لا أطيق هذا البعد عنك . ألا يمكنك أن تلتمس عذرا وتعود اليوم ؟ إن هذا في وسعك ! يمكنك أن تلتمس عذرا سياسيا ، مثلا ؟

– أخشى ألا أستطيع شيئا من هذا القبيل .

– لست أعتقد أنك تفتقدني مثلما أفتقدك .

– هراء ، هراء ما تقولين .. ليس من شك في أنني لا أقل عنك شعورا .

وانتهت المحادثة التليفونية ، وهو يشعر بأثر ما لقيه من إعنات . لماذا خلقت النساء هكذا ؟ إن على "**روز ماري**" وعليه أن يكونا أكثر حيطة في المستقبل . كما يتعين عليهما ألا يلتقيا كثيرا .

وتعقدت الأمور بعد ذلك . ولم يكن لديه متسع كثير من الوقت ، فقد كان جد مشغول ،ومما زاد الأمور تعقيدا ، أن "**روز ماري**" كانت لا تريد أن تفهم وتقدر ظروفه . وكان يحاول أن يوضح لها حقيقة الموقف ، ولكنها كانت تأبى الاقتناع بشيء أو الإصغاء لما يقول . ولم يكن ليعنيها شيء من عمله وواجباته ومستقبله، وكل ما كان يعنيها أن تسمعه يردد في أذنيها أنه يحبها وأن حبه لم يفتر عن ذي قبل . ولم يكن ثمة شك في هذا من الناحية الحسية – أما فيما عدا ذلك ، فلم يكن يطيب لأحد أن يجلس الساعات الطويلة ليبادلها حديثا هادئا ، فما بالك بهذا اللقاء المتكرر ! إن جذوة الحب لا يمكن أن تظل ، مع كثرة اللقاء ، في حرارة اشتعالها الأول ، ومن الخير لهما أن يقل بينهما اللقاء .

وكان يحاول إقناعها بكل ما أوتي من منطق سليم ، مع تأكيده لها أنه مازال مقيما على حبه لها . غير أنها كانت لا توليه أذنا صاغية ، وكانت دائبة على بعث كل ما كان يبثه إياها من لواعج غرامه في مبدأ علاقتهما : " ألا تذكر ما كنت تقوله لي من أنك تتمنى لو جمعنا الموت ؟ وأن نستغرق معا في نوم لا نستيقظ بعده ؟ وهل تذكر ما قلته عن رغبتك في أن نقتطع لأنفسنا مكانا بعيدا في الصحراء عند حدود الأبد ؟ "

ما أكثر ما ينطق به الرجل من سخافات حينما يقع في الحب ! لقد كان لهذه الأقوال رونقها في حينها ، أما الآن فإنها تبدو وكأن الصدأ قد علاها ! لماذا لا تدع النساء الأمور

تجري في مجراها الطبيعي ؟ إن الرجل لا يحب أن يردد على سمعه ما يذكره بتفاهته في يوم ما ، وأي حيوان جعل من نفسه ! وعمدت إلى تضييق الخناق عليه ، والإلحاح في ضرورة القيام برحلات إلى جنوب "**فرنسا**" أو إلى " **صقلية** " أو "**كورسيكا**" أو أي من تلك البلاد التي لا يحتمل أن يلتقي فيها بأحد ممن يعرفه، ورفض "**ستيفن**" قبول هذا الاقتراح الذي يقوم على غير أساس من الواقع . ثم قالت له شيئا بعث الخوف في نفسه :

– حسنا ، غير أنه لن يعنيك هذا في كثير أو قليل ؟

– ماذا تعنين بقولك هذا ؟

وانفرجت شفتاها عن تلك الابتسامة التي سحرته في يوم ما وشعر في تلك اللحظة أنه بدأ يضيق بها ، وأجابته :

– " **ليونارد**" ، أيها العزيز . لقد جال بخاطري أحيانا أننا لن نستطيع أن نمضي قدما في حياتنا هذه . ومن الخير لنا أن نكون أكثر واقعية فأعمل من ناحيتي على الطلاق من زوجي وتعمل من ناحيتك على الطلاق من زوجتك ، ثم نتزوج ونعيش في سلام .

وهكذا ، وبكل بساطة ، راحت تقترح ما فيه كارثة محققة ودمار رهيب ، دون أن تتبين شيئا من هذا القبيل .

– لن أدعك تفعلين شيئا من ذلك .

– ولكنني ، أيها العزيز ، لن أحفل بشيء مما يدور بخلدك إن التقاليد لا تعنيني في كثير أو قليل .

– ولكنها تعنيني كثيرا .

– إنني أعتقد أن الحب هو كل شيء في الحياة .. وليس يعنيني بعد ذلك ما تعارف الناس عليه .

– كيف تقولين هذا ؟ إن مثل هذه الفضيحة العلنية سيكون فيها القضاء على مستقبلي .

– إلى هذا الحد ؟ إنك كفء للقيام بأي عمل . ثم إنك غير مضطر لشيء من هذا القبيل . إنني واسعة الثراء .. وفي وسعنا أن نطوف بأنحاء العالم ، لننعم بما لم ينعم به غيرنا . وإذا رغبت في الاستقرار ، فيمكن أن نختار إحدى جزر المحيط الهادئ الجميلة لنقيم بها . فكر في الأمر مليا .

أي طراز من الرجال تحسب أنه منه ؟ وفي أي إطار تضع صورته ؟ وتأملها بنظرات فاحصة .. إنها امرأة أضفى الله عليها من الجمال ما شاء ، ولكنه ضن عليها بنعمة العقل . لقد أفقدته عقله من قبل ، ولكنه الآن يستعيد بعض ما فقده قبل فوات الأوان ! و عليه

الآن أن يجد له مخرجا ، قبل أن تدمر حياته بأسرها . وصارحها بكل ما قاله مئات الرجال من قبله . إن هذه العلاقة يجب أن تنتهي. بهذا كتب إليها . وفي هذا الخير كل الخير لها . إنه لا يريد أن يخاطر بسعادتها . . ولا يجب أن يكون مبعثا لشقائها . ولكنها لم تفهم. . أو قل لم تكن تريد أن تفهم .

لقد انتهى فعلا ما بينهما . . ويجد لزاما عليها أن تدرك هذا وتعيه .

غير أن هذا بالذات هو ما تأبى إدراكه وتفهمه . إن ما بينهما من علاقة لا يمكن أن يوضع له حد . فهي تعشقه وتهيم به ولا يمكنها أن تتصور الحياة بعيدا عنه ! وهي لا ترى غير هذا الرأي : أن تصارح زوجها وأن يصارح زوجته بحقيقة الأمر ! وإنه ليذكر ما سرى في بدنه من قشعريرة وهو جالس بعد أن اطلع على رسالتها . يالها من حمقاء ! إنها ستحطم حياتها وتحطم حياته . . حياته الزوجية ومستقبله السياسي بالتبعية . إن المجتمع الإنجليزي لن يغفر له زلته .وداعا لأحلامه ولآماله . كل هذا بسبب نزوة حب طارئة وبصرف النظر عن جميع هذه الاعتبارات ، فهو لا يستطيع أن يفقد " **ساندرا** " الزوجة الوفية ، والزوجة الصديقة ، والسيدة ذات العقل الراجح التي تفهمه وتبادله أمانيه .

وإنه لمنطق يشعره بأنه يجب أن يهتدي إلى وسيلة يحمل بها "**روز ماري**" على الاستماع لمنطق العقل . . ولكن أتراها مصغية إلى صوت العقل ؟ إن "**روز ماري**" والعقل على طرفي نقيض . ترى هل تصدقه إذا ما صارحها بأنه على الرغم مما كان بينهما لا يزال يحب زوجته ؟ كلا . إنها سترفض تصديق ذلك ، إنها امرأة عنيدة ، خاوية الرأس ، تصر على رأيها في غباء علاوة على أنها لم تزل تحبه وهذا هو أسوأ ما في الأمر .

واستبد به الغضب . كيف يمكنه أن يوقفها عند حدها ؟ وكيف يمكنه أن يطبق شفتيها ؟ إن السبيل الوحيد إلى إسكاتها ، هو جرعة من السم . هذا مادار بخلده وشعر على أثره بمرارة طاغية .

إن " **ستيفن فاراداي** " وجد نفسه أخيرا في فخ لا خلاص له منه . ولكن لا . . إن " **ستيفن فاراداي** " لن يعدم وسيلة تخرجه من هذا المأزق . إن الزمن وحده، وبقليل من الصبر ، كفيل بذلك .

ثم كان مرض "**روز ماري**" بـ"**الإنفلونزا**" . واستفسر عن صحتها في حدود التقاليد المرعية . . وبعث إليها بباقة من الأزهار . وكان هذا المرض بمثابة مهلة له .

وبعد أسبوع كان مدعوا لتناول العشاء هو وزوجته في منزل "**آل بارتون**" بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد "**روز ماري**" ،وكانت "**روز ماري**" قد قررت أنها لن تقوم بشيء من جانبها قبل عيد ميلادها محافظة على شعور "**جورج** " الذي كان يترقب بفارغ الصبر

حلول هذا اليوم . ورأى "**ستيفن**" أن هذا القرار قد جنبه الكثير من الحرج ، وأنه قد أجل حلول العاصفة .

ولم ينقطع عن التفكير في الاهتداء إلى وسيلة يسكت بها "**روز ماري**" . وحدث نفسه ذات يوم قائلا : " لو كنا نعيش في أيام " **بورجيا** " " .

وكانت كأس من الشراب ، قد أعدها القدر ، في الطريق إلى "**روز ماري**" لتسكتها إلى الأبد .

وهذا ما كان يجول في خاطره فعلا .

وعبر المائدة ، التقت عيناه بعيني " **ساندرا** " .

وكان هذا منذ عام مضى .. لم تنسه أيامه العديدة كل ما كان .

- 7 -

ألكسندرا فاراداي

لم تنس "**ساندرا فاراداي**" شيئا عن "**روز ماري بارتون**" وكانت تستعيد صورتها في هذه اللحظة بالذات .. صورتها فوق مائدة المطعم في تلك الليلة وذكرت ما كان من حالتها وما كان من أمر "**ستيفن**" وهو يتطلع إليها .

أتراه قد نفذ إلى دخيلة نفسها من عينيها ؟ هل تبين منهما ذاك الحقد ، وليس تلك النظرة من الهلع والفوز في آن واحد ؟

لقد انقضى عام تقريبا – " ولم تزل هذه الصورة ماثلة في ذهنها وكأن ما حدث كان بالأمس ! " "**روز ماري**" ، هذا للذكرى .. " . ياالهول انطباق هذه العبارة وحقيقة ما كان . إن الموت لا يضع حدا لحياة الإنسان الماثل دائما بذكراه في الأذهان . وهذا هو الوضع بالنسبة لـ "**روز ماري**" ، إنها مازالت على قيد الحياة في ذهن " **ساندرا** " وفي ذهن "**ستيفن**" ، هو الآخر ؟

أما ملهى "**لوكسمبورج**" – " ذاك المطعم البغيض – " بنظام خدمته الممتازة ، وبجمال تنسيقه ، من الأماكن التي يتعذر على المرء تجنب التردد إليه لأنه من الملاهي التي كثيرا ما يدعى إليها علية القوم .

وكم كان بودها أن تنسى .. غير أن الظروف قد اجتمعت على أن تذكرها بكل ما كان . ومن هذا القبيل قدوم " **جورج بارتون** " للإقامة في "**ليتل بارتورز** " .

وكان تصرفه هذا تصرفا غير منتظر . إن "**جورج بارتون**" رجل غريب الأطوار . ولم

يكن من هذا الطراز الذي تطيب لها جيرته . إن وجوده بـ "**ليتل بارتورز**" قد أفسد عليها سحر "**فيرهافن**" وما كانت تشعر به من هدوء فيه . وإلى ما قبل صيف هذا العام ، كان هذا البيت غاية ما يمكن للمرء أن يصبو إليه من مكان هادئ وديع ، وكان بمثابة عش سعادتهما هي و "**ستيفن**" ، هذا إذا صح أنهما عرفا السعادة في يوم ما .

وأطبقت شفتيها في كمد .نعم .. وألف مرة ، نعم لقد كان في وسعهما أن يواصلا حياتهما السعيدة ، ما لم تقتحم "**روز ماري**" عليهما صرح سعادتهما . إن "**روز ماري**" هي من تسببت في تصدع هذا الصرح من الثقة المتبادلة والحنان المكين ، الذي بدأت هي و "**ستيفن**" ينعمان به .

ولقد حرصت ، بدافع من غريزتها ، على أن تخفي عن "**ستيفن**" حقيقة عاطفتها ، وما كانت تشعر به نحوه من حب دفين . فلقد أحبته منذ تلك اللحظة التي تقدم فيها نحوها عبر الغرفة في قصرهم متظاهرا بالحياء ، مدعيا أنه لايعرف من عساها تكون ، . .إذ كان يعرف حقيقة أمرها ، وقد ثبت لديها هذا، بعد زواجهما بقليل ، حينما كان يتلو على سمعها خطابا سياسيا دقيقا أعده لمناسبة تأييده للموافقة على قانون معروض على المجلس . وقد خطر بذهنها حينذاك أن هذا الخطاب يذكرها بشيء ما .. ترى ما هو ؟ وأدركت فيما بعد أنه على غرار ما سمعته من زوجها، روحا وتخطيطا ، وفي ذلك اليوم .. يوم اللقاء الأول ، حين كان مدعوا في قصرهم لأول مرة . ولم يدهشها هذا الخاطر الذي سلمت به كأمر واقع كان مستقرا في خلفية ذهنها ثم اندفع إلى السطح. وكانت قد لمست لأول وهلة إثر زواجهما ، أنه لا يحبها بالقدر الذي تحبه به .. غير أنها عللت ذلك بأنه قد لا يكون من هذا الطراز المشتعل العاطفة من الرجال . كما رأت أنه من الخير لها أن ترضى بمنزلتها من حياته وبمكانها من قلبه . إنه يريدها الزوجة المتعاونة ، العطوف التي تبادله آماله وتكون العضد الفكري له . إنه لا يريد منها قلبها ، بل عقلها وما أضفى عليها مولدها من مميزات .

وبيتت النية على شيء واحد ، ألا وهو ألا تثقل عليه عاطفيا وألا تنتظر منه أن يبادلها حبا بحب . لقد كانت تؤمن بأنه معجب بها شديد الميل إليها، وأنه يجد متعة في صحبتها . وكانت تتنبأ بحياة زوجية تفيض حنانا ومودة .

وبذلك ، أقنعت نفسها بحبه لها ، ورضيت بنصيبها هذا من حياتها الزوجية .

ثم كان أن ظهرت "**روز ماري**" على مسرح حياتهما .

وكانت تتساءل أحيانا ، في مرارة وألم ، كيف يخيل إليه أنها لا تعرف شيئا عن علاقته بها . لقد تبينت ذلك لأول وهلة .. هناك في "**سانت موريتز**" .. حينما تابعت نظراته

تلك المرأة ولمست ما تنطوي عليه . ثم ما كان بعد ذلك من اتخاذها عشيقة له .

وعرفت ذلك من رائحة العطر الذي تستعمله هذه المرأة .

وكانت تقرأ من ملامح وجه "**ستيفن**" ما يجول في خاطره عن تلك المرأة – المرأة التي كانت في أحضانه منذ قليل .

وكان من العسيرعليها فيما ترى أن تقدر مدى ما تعرضت له من عذاب، وهي تروض نفسها في شجاعة وجلد يوما بعد يوم على احتمال هذا الألم المتجدد. وكانت قد عقدت العزم على ألا يبدو من مسلكها ما ينم عما تختلج به نفسها، حفاظا على كبريائها وكرامتها. ومضها هذا العذاب، ففقدت الكثير من وزنها، وشحب وجهها وبرزت عظامه وجافاها النوم ولازمها الأرق. وكانت تقضي الليالي الطوال مسهدة الجفنين تحملق إلى الظلام. وكانت تعزيتها الوحيدة.. أن "**ستيفن**" لا يرغب في هجر حياته الزوجية، وأنها وإن كانت تدرك أن هذا منه ليس حبا فيها، ولكنه محافظة على مستقبله. إلا أن هذا هو الواقع، مهما يكن من دواعيه.

وسيأتي يوم لن يصبح فيه لهذه النزوة أثر ما..

ترى ماذا سحره في هذه الفتاة؟ لقد كانت جذابة جميلة ولكن هناك من النساء من يفقنها جاذبية وجمالا. وماذا وجد زوجها في "**روز ماري بارتون**" مما خلب لبه وافتتن به؟ لقد كانت تافهة تبعث في النفس الملل. إن "**ستيفن**" سيضيق بها ذرعا في يوم ما.

وكانت على يقين من أن هدفه الأسمى في حياته هو عمله. إن القدر أعده لما هو أجل من هذا وأسمى. ولقد وهبه الله ذهن رجال السياسة الصافي الذي يجد متعة في استغلاله. وليس من شك في أنه ما إن تخف وطأة افتتانه بها حتى يعود إلى صوابه، ويدرك حقيقة أمره. ولم يرد بخاطر "**ساندرا**" في لحظة ما أن تهجر حياتها الزوجية. وكانت تؤمن بأنها له جسدا وروحا، وله أن يهملها أو يحلها في المكان اللائق بها من حياته. إنه لها بمثابة الحياة والوجود، وإنها لتستمد من حبها له كيانها كله.

وكان الأمل يعاودها من آن لآخر، مما لم يفقدها الرجاء في انقشاع هذه الغيوم التي تعكر صفو حياتهما. وذهبا للإقامة بـ"**فيرهافن**" وبدا أن "**ستيفن**" قد عاد لحالته الطبيعية، وشعرت بأن ما كان بينهما من مودة قد تجدد واستعاد قوته. وملأ الأمل قلبها بعد أن رأت أنه يعول على رأيها في كثير من الأمور، وأدركت من مسلكه أنه قد تحرر من براثن هذه المرأة في هذه المرحلة من حياتهما. وكانت تراه أسعد حالا، وكأنه "**ستيفن**" الذي عرفته من قبل أن تدخل تلك المرأة في حياتهما.

ثم عادا أدراجهما إلى "**لندن**". وعاد "**ستيفن**" إلى ما كان عليه من ذبول وقلق وهم، وبدا عاجزا عن تركيز ذهنه فيما بين يديه من عمل.

وحزرت السبب في هذا التغيير الطارئ على زوجها. لعل "**روز ماري**" تريد منه أن يهرب معها بعيدا، ولعله كان في حيرة من أمره، لا يدري ماذا هو فاعل، وهل يتخذ هذه الخطوة التي يكون من شأنها القضاء على حياته بأسرها؟ إن هذا لحمق وجنون! إنه من هذا الطراز من الرجال الذين يضعون عملهم في المكان الأول. إنه الطراز الإنجليزي بكل معنى الكلمة، وإنه ليعرف ذلك ويحس به في أعماق نفسه. هذا صحيح ،غير أن "**روز ماري**" امرأة متناهية الحسن متناهية الغباء، ولن يكون "**ستيفن**" بأول رجل يضحي بمستقبله من أجل امرأة مثلها. ثم يعود فيأسى على ذلك.

وكانت "**ساندرا**" قد سمعت عرضا بضع كلمات.. عبارة التقطتها أذناها ذات يوم في حفل للكوكتيل. "سأصارح "**جورج**" بالأمر.. وعلينا أن نقطع برأي في وضعنا. ثم مرضت "**روز ماري**" بعد ذلك بـ"**الإنفلونزا**"..".

وعاد الأمل ليحيا من جديد في قلب "**ساندرا**". فلعلها تصاب بالتهاب رئوي.. كما يحدث لبعض المرضى.. وكما حدث لإحدى صديقاتها التي توفيت متأثرة بهذا المرض.. في الشتاء الماضي إذا ما كان مقدراً لـ"**روز ماري**" أن تقضي نحبها.

ولم تحاول أن تبعد هذا الخاطر عن ذهنها، ولم تفزع مما كان يدور في خلدها. لقد كانت من هذا الطراز الذي يمكنه أن يكره، وتعتمل نفسه بالحقد الدفين دون أن يأبى عليه ذهنه هذا.

لقد كانت تكره "**روز ماري بارتون**". ولو كان للخواطر أن تؤدي عملية القتل لقضت بخواطرها هذه على تلك المرأة دون تردد.

غير أن الخواطر وحدها لا تقتل.. فهي لا تكفي للقيام بذلك.

ما أبهى ما كانت تبدو عليه "**روز ماري**" من جمال ورونق في تلك الليلة بمطعم "**لوكسمبورج**" بذلك الفراء المتدلي على منكبيها في غرفة ملابس السيدات. وكان يبدو عليها الهزال، كما كانت شاحبة الوجه إثر مرضها.. الأمر الذي جعلها تبدو أكثر بهاء وحسنا. وكانت تقف أمام المرآة لتطمئن على زينتها. وقد رأت وجهها أشبه ما يكون بوجه تمثال بارد لا حياة فيه. وسمعت "**روز ماري**" تقول لها:

-أواه، إنني لا أدع لك مكانا من المرآة، فقد كدت أشغل حيزها بأسره، لقد فرغت الآن من اللمسة الأخيرة. إن هذه "**الإنفلونزا**" قد هدت كياني ومازلت أشعر بضعف شديد

وصداع لا يفارقني. وسألتها "**ساندرا**" في صوت هادئ رصين:

– هل تشعرين بصداع الليلة؟

– نعم، هل لديك قرص من الأسبرين؟

– لدي برشامة من "الفيفة".

وفتحت حقيبة يدها، وأخرجت منها البرشامة، وناولتها إلى "**روز ماري**" التي أخذتها منها شاكرة وهي تقول: سأودعها حقيبة يدي لأتناولها عند الاقتضاء.. وكانت سكرتيرة "**بارتون**" موجودة في تلك اللحظة وتقدمت نحو المرآة لتضع اللمسة الأخيرة من زينتها، وتبادر إلى ذهن "**ساندرا**" أن هذه الفتاة لا تميل إلى "**روز ماري**".

ثم غادر ثلاثتهن غرفة الملابس: "**ساندرا**" في المقدمة، وفي أعقابها "**روز ماري**" وأخيرا الآنسة "**ليسنج**".. عفوا.. ثم الفتاة "**أيريس**" شقيقة "**روز ماري**" التي كانت موجودة هي الأخرى معهن في غرفة الملابس.

وانصرفن في هذا التتابع إلى بهو المطعم، للانضمام إلى سائر المدعوين، وأقبل الساقي مهرولا ليرشدهن إلى مائدتهن ونفذن إلى حيث أعدت المائدة، عبر باب مزين ابتهاجا بالمناسبة. ولم تكن إحداهن لتعلم بأنها لن تعود إلى اجتياز هذا الباب وهي على قيد الحياة..

- 8 -

جورج بارتون

"**روز ماري**"..

أعاد "**جورج بارتون**" كأسه إلى المنضدة ثم راح يحملق إلى نيران المدفأة بعينين تفيضان أسى.

لقد أعاد الشراب إلى رأسه ذكريات من الماضي حيث بعث في نفسه الكثير من الحنين والإشفاق على نفسه.

لقد كانت فتاة رائعة الحسن جذابة المحيا ولطالما افتتن بها وجن غراما بسحرها، ولقد كانت تدرك ذلك، وإن كان يدرك من ناحيته أنها كانت تسخر منه ومن هيامه بها.

وحتى في هذا اليوم، حين عرض عليها لأول مرة أن تتزوجه لم يفعل ذلك عن يقين واقتناع بما يعرف عنها، لقد كان يتلجلج في حديثه مما جعله يبدو أقرب إلى الحمق منه إلى أي شيء آخر.

-إنك تعرفين يا فتاتي، أن الكلمة الأخيرة لك وستجدينني طوع أمرك إذا صادف ما أعرضه عليك قبولا، وإنك لتدركين حقيقة شعوري أعني.. أنني لست كبير الأمل في بلوغ ما أصبو إليه، وإن كنت قد استجمعت شجاعتي لأحدثك بهذا الأمر، إن لي عملا يدر علي الكثير، وإن كنت أبدو أحمق بذكر ذلك! لماذا تشيحين بوجهك عني؟

وضحكت "**روز ماري**" وأمسكت برأسه بين يديها تودع جبينه قبلة وهي تقول:

– إنك لمتناهي الظرف. وسأضع عرضك نصب عيني، غير أنني أود أن تعلم بأنني لا رغبة لي في الزواج بصفة عامة في الوقت الحاضر.

– فليكن لديك متسع من الوقت للتفكير فيما عرضته عليك، ولك أن تتدبري أمرك حسبما تشائين.

ولم يكن لديه أي أمل في موافقتها.. ولم يكن يرجو هذا بحق.

ومن هنا كانت دهشته المفرطة، وعدم تصديقه لما تسمعه أذناه حينما قالت له "**روز ماري**": إنها قد قبلت الزواج منه، وليس من شك في أنه كان يعرف أن هذا القبول منها لم يكن عن حب، لقد كان يدرك هذا تمام الإدراك، وفي الواقع إنها صارحته بذلك وهي تقول له:

– إنك تفهم، أليس كذلك؟ إنني أريد أن أستقر في حياتي.. تلك الحياة التي أريدها سعيدة آمنة، وأشعر بأن هذا سيتحقق لي معك، إنني سئمت أن أحب وأن أحب. إن هذه الحياة لم تعد تطيب لي.. إنني أميل إليك ومعجبة بدماثة خلقك وبوداعتك، واثقة من أنك تبادلني إعجابا بإعجاب. وهذا هو كل ما أبغيه من حياتي الآن.

– وسيكون لك ما تريدين من استقرار وسعادة.

ولم يكن فيما قاله مبالغة، ومرت بهما الحياة في إطار مما تبغي "**روز ماري**" ومما وعدها به. وسعدا بحياتهما الزوجية، وإن كانت سعادته مشوبة بهذا الخاطر الذي كان يلح عليه من أن "**روز ماري**" لن تقنع من حياتها هذه برجل مثله ليس فيه ما يثير،وكان يشعر في قرارة نفسه بأن الحياة لن تمضي بهما رتيبة هكذا ،ووطن نفسه على تقبل ما قد يستجد من أحداث ،وكان يمني نفسه بأنه لو حدث شيء من هذا القبيل فإنه سيكون بمثابة نزوة طارئة تفيق بعدها "**روز ماري**" وتثوب إلى رشدها.

وكان ظنه هذا قائما على أساس أن العلاقة بينهما علاقة ود وإعجاب ومحبة ثابتة. وهي أبعد ما تكون عن العلاقة التي تقوم على أساس من الغزل والغرام والحب المشتعل.. هذا ما راض نفسه على قبوله والتسليم به، وكان يحدث نفسه بأن مثل هذه الافتراضات هي نتيجة طبيعية لما عليه "**روز ماري**" من جمال فوق المستوى العادي، ومن سحر أخاذ غير

طبيعي، وكان واثقا من نفسه ومما سيكون من رد فعل لما يتوقعه من أحداث مسلم بها وكانت هذه الافتراضات مقصورة على ما كان يسلم به من استماعها لعبارات الغزل العادي، ممن يحيطون بها من الشباب، أما إذا ما حدث وتعدى الأمر ذلك إلى ما هو أشد خطورة من مجرد الغزل العابر، ليصبح له شأن آخر من الجدية.. فهذا له تقدير آخر ورد فعل مغاير في نفسه.

ولقد أدرك حقيقة شعوره هذا. حينما لمس هذا الاختلاف الواضح في تصرفاتها، وما استجد عليها من انفعال ضاعف من جمالها، وزاد من سحرها، وكان إدراكه لكل ذلك بدافع من غريزته في مبدأ الأمر، ثم تدعم هذا الإدراك بحقيقة الواقع الرهيب.

وكان هذا اليوم، حينما دخل إلى غرفة جلوسها، ولاحظ أنها أسرعت تغطي بيدها الرسالة التي كانت تقوم بتحريرها، وتبادر إلى ذهنه في هذه اللحظة، أنها كانت تكتب رسالة لعشيقها.

وبعد مغادرتها الغرفة نهض يلقي نظرة على ما تركته رسالتها من أثر بقطعة النشاف، حينما أسرعت تجفف حبرها وتسرع بها مغادرة الغرفة، وتأملها على ضوء زجاج النافذة – ليقرأ هذه الكلمات المدونة بخط يد "**روز ماري**" –عزيزي المحبوب..

وشعر بالدم يصعد مندفعا إلى رأسه، وأدرك في هذه اللحظة حقيقة ما كان يحس به "**عطيل**"، وود لو أزهق أنفاسها وتمنى لو تيسر له قتل هذا العزيز الغالي، ترى من عساه يكون؟ ترى هل الرجل هو "**براون**"؟ أم هو ذاك الرجل المدعو "**ستيفن فاراداي**"؟ إن كلا منهما كان يتقرب إليها ولا يكاد يفترق عنها. ووقع نظره على وجهه في المرآة، ورأى أن الشرر يكاد يتطاير من عينيه، وبدا له أنه على وشك أن يصاب بنوبة مفاجئة.

وباستعادته لهذه الذكرى أعاد "**جورج بارتون**" الكأس إلى المنضدة قبل أن تسقط من يده، وعاد إليه هذا الشعور الخانق وذاك الطنين في أذنيه، حتى في هذه اللحظة التي تعود إليه فيها الذكرى وقد مضى عام بأيامه ولياليه على كل ما حدث.

وحاول جاهدا أن يبعد عن عينيه تلك الذكريات التي لا يحب أن يستعيد منها شيئا.. إنها ماض مر وانقضى وانتهى أمره، وإنه لا يحب أن يعود ليقاسي من مجرد ذكراه كما قاسى من حاضره حينذاك، لقد قضت "**روز ماري**" نحبها، وتركت هذا العالم لترقد في سلام، كما تركته هو الآخر في سلام أيضا، ولم تعد قادرة على أن تتسبب في شيء من العذاب له. ولكن أي سلام هذا وأي هدوء.

إنه لم يسبق له أن صارح "**روث**" بشيء من ذلك. يالها من فتاة، "**روث**" هذه! يا لرجاحة عقلها! في الحق، إنه لم يكن يعرف ماذا هو فاعل بدونها ،لقد كانت خير عون له

وكانت دائبة العطف عليه، ولم يلمس منها ما يشين أو.. ما يوحي أنها من طراز "**روز ماري**"... "**روز ماري**" التي كانت تحب أن تحيط نفسها بالمعجبين المدلهين في غرامها..

"**روز ماري**".. "**روز ماري**" التي كانت تجلس إلى المائدة المستديرة في ذلك المطعم وهي شاحبة الوجه منهوكة القوى إثر مرضها بـ"**الإنفلونزا**"، ولكنها مع ذلك كانت جذابة رائعة الحسن.. وبعد ساعة فقط..

كلا.. إنه لا يريد أن يعيد إلى ذهنه هذه الذكرى، إن هذا ليس أوانها. إن عليه أن يفرغ لخطته ويتدبر أمرها. إن عليه أولا أن يتحدث في ذلك إلى العميد "**ريس**" إذ يقوم بإطلاعه على الرسائل، ويرى ما هو رأي "**ريس**" فيها؟ إنه لم يستطع أن يحمل "**أيريس**" على الكلام، ولعلها كما بدا له ليس لديها أية فكرة عما كان من أمر شقيقتها.

حسنا، إن الأمر كله أصبح بين يديه، وهو يملك الآن كل أطرافه ودقائق أحداثه، لقد أعد الخطة، وأعد للأمر عدته.. الزمان، والمكان.. وسيكون ذلك في أول تشرين الثاني (نوفمبر)، في يوم القديسين، وإنها لخطة صائبة.. هذا عن الزمان، أما عن المكان فسيكون في مطعم "**لوكسمبورج**" دون أدنى شك، وسيحاول أن يوفق في حجز المائدة بعينها.

كما أنه سيدعو نفس الضيوف. "**أنتوني براون**" و"**ستيفن فاراداي**. و"**ساندرا فاراداي**"، ثم "**روث**" و"**أيريس**"، وسيكون "**ريس**" هو الضيف السابع "**ريس**" الذي كان من المفترض أن يشترك في هذا العشاء، وسيكون هناك مقعد خال. إنها لخطة رائعة.

خطة مسرحية بحق، خطة تعيد مشهد الجريمة بحذافيرها، وهي إعادة لن تكون طبق الأصل.. فقد عاد بذهنه إلى الماضي إلى يوم عيد ميلاد "**روز ماري**".

"**روز ماري**" التي ألقت رأسها وصدرها فوق المائدة.. وقد فارقت الحياة..

- 9 -

كان يوم "**لوسيلا دريك**" مشحونا بالعمل، وبما عليها أن تقوم به في ذلك الصباح من مهام عديدة.. كانت من الكثرة بحيث تعذر على السيدة "**دريك**" أن تركز اهتمامها في شيء منها، وكان في مقدمة هذه المهام، ما تقتضيه العودة إلى المدينة وما يستتبع ذلك من مشكلات منزلية تتصل بالخدم وبمواجهة حاجات فصل الشتاء إلى غير ذلك من صغائر الأمور التي تتطلب الكثير من الجهد، وهذا كله علاوة على ما تشغل به نفسها من عناية فائقة بـ"**أيريس**" وضرورة الإشراف على نظام غذائها اليومي.

وكانت السيدة "**دريك**" لا تفتأ تذكر "**أيريس**" بأن حالتها الصحية ليست على ما يرام

وبأنها جد مجهدة مرهقة. وكان هذا الأمر محورا للجدل بينهما، وكان هذا الجدل ينتهي بالسيدة "**دريك**" إلى إلقاء اللوم على عاتق "**جورج**" الذي لم يستشرها في الانتقال إلى هذا البيت بالريف بدلا من الركون إلى رأي تلك الفتاة المدعوة الآنسة "**ليسنج**".

-إنه يعتمد على الآنسة "**ليسنج**" في الكثير من أموره ومن حقه أن يفعل ذلك بالنسبة لعمله، أما أن يمتد هذا إلى الحد الذي يشجعها على أن تظن في نفسها أنها أصبحت فردا من أفراد الأسرة فهذا هو ما اعترض عليه.

-ولكن "**روث**" في الواقع قد أصبحت بمثابة أحد أفراد الأسرة.

-أو قولي: إن هذا هو ما تهدف إليه ،يالـ"**جورج**" المسكين! إنه ليس بأكثر من طفل صغير بين ذراعي أية امرأة يضعها القدر في طريقه، غير أنها يجب ألا تستغل ضعفه هذا. إننا يجب أن نحمي "**جورج**" من نفسه، ولو كنت في مكانك لأصبح لزاما علي أن أفهمه بجلاء أنه مهما يكن من مميزات الآنسة "**ليسنج**" فإن فكرة الزواج منها ليست بذات موضوع.

-لم يدر بخلدي مطلقا أن "**جورج**" قد يتزوج من "**روث**".

-إنك لا ترين ما يجري أمام عينيك من أمور، ويرجع ذلك إلى أنك مازلت طفلة، لم يتح لك من تجارب الحياة ما أتيح لي. إن الهدف الأسمى لهذه الفتاة هو الزواج.

-وماذا ترين من اعتراض على نزعتها هذه؟ وماذا يعنينا من هذا الأمر؟ ألا ترين أنه سيكون شيئا جميلا؟ أعني أنه سيكون جميلا بالنسبة لـ"**جورج**" أنني أوافقك على وجهة نظرك عنها، غير أنني أعتقد أنها مغرمة به، وأنها ستكون خير زوجة له، كما أنني واثقة بأنها ستعنى به وترعى أموره.

-إن "**جورج**" ليس في حاجة إلى من يرعى أمره، ماذا يريد أكثر من ذلك؟ هذا ما أود لو عرفته. إننا لا نهمل شأنه ولا إدارة بيته، وماذا تعرف هذه الفتاة عن فن إدارة البيوت؟ إن إتقانها لعملها المكتبي لا يعني بالضرورة إتقانها لعملها المنزلي.

ولم تعقب "**أيريس**" بشيء، بل ابتسمت مؤثرة أن تلوذ بالصمت، وقد جال بخاطرها في تلك اللحظة ما عليه "**روث**" من أناقة واتزان وحذق ورجاحة عقل، مما من شأنه أن يضعها في مكان الصدارة من الفتيات اللاتي يصلحن للزواج من العم "**جورج**"، ومما من شأنه أيضا ألا يجعلها تقيم وزنا لما تقوله السيدة "**دريك**" عنها.

وكانت "**لوسيلا دريك**" أختا غير شقيقة لـ"**هكتور مارل**" الذي كانت له فيما بعد بمثابة الأم بعد وفاة والدته، وقد جعلت منها هذه الظروف سيدة بيت ممتازة قبل الأوان.

وكانت قد قاربت الأربعين من سني حياتها حينما التقت بـ"**كالب دريك**" الذي كان

قد تجاوز الخمسين من عمره، وكانت حياتها الزوجية قصيرة لم تتجاوز العامين حينما أصبحت أرملة يتعين عليها أن تعتني بولدها الطفل، وكانت هذه الأمومة المتأخرة غير المتوقعة تجربة لها اعتبارها في حياة "**لوسيلا دريك**"، وأصبح ولدها مثار قلق لها، ومصدر هم بمطالبه المالية التي لا تنقطع، ومع ذلك فقد كان قرة عين لها، وكانت السيدة "**دريك**" تأبى الاعتراف بأية نقيصة في ابنها، وتعزو تصرفاته إلى ضعف في خلقه.

وكان "**فيكتور**" شديد الثقة بالناس.. ينقاد بسهولة لأصدقائه؛ لأنه كان يحسن بهم الظن، ومن هنا كانت ركيزة ما تعلل به الوالدة سوء سلوك ابنها، من أنه سيئ الحظ، يمكن خداعه والاحتيال عليه، وكانت تقول عنه: إنه مخلب القط لأشرار الرجال الذين كانوا يستغلون براءته وسذاجته، وكانت تضيق بأي نقد يوجه إلى "**فيكتور**" الولد البريء الذي يستغله أصدقاؤه ويثقلون عليه، فيثقل عليها بدوره بمطالبه المالية بحجة أنه لا يجد أمامه من يلجأ إليه سواها، وكانت تصر على رأيها وموقفها من ابنها في عناد.

ومهما يكن من أمر، وهذا باعترافها هي، فقد كانت دعوة "**جورج**" لها بالحضور للإقامة في منزله ورعاية "**أيريس**" دعوة جاءت في وقتها المناسب، ويدا امتدت لها لتنتشلها من وهدة الفقر التي كانت بسبيل التردي فيها. وكانت سعيدة هانئة بحياتها الجديدة الأمر الذي حدا بها إلى النظر بغير ارتياح إلى ما لمسته من جانب الآنسة "**ليسنج**" من محاولات أو اتجاه للزواج من "**جورج**"، وكانت موقنة بأن هذا الاتجاه كان بدافع من الرغبة الطامعة في مال "**جورج**".

وهذا ما كانت تؤمن به العمة "**لوسيلا**"، إيمانا لا يمكن أن تتخلى عنه مهما قيل لها عن صفات وخلق ونفسية الفتاة التي تعتقد أنها تسعى للزواج من "**جورج**".

- 10 -

لكم وددت لو أنهم لم يفكروا في القدوم إلى هنا.

هذا ما صدر عن "**ساندرا فاراداي**" في مواجهة زوجها الذي تطلع إليها دهشا، وكأنها بترديدها هذه الكلمات قد عبرت عما كان يجول بخاطره، وكان يحاول جاهدا ألا يصدر عنه ما ينم عن شيء من هذا القبيل. إذن، فقد كانت "**ساندرا**" هي الأخرى تشعر بمثل ما يشعر به، وها هي ذي الأخرى تشعر بأن جو "**فيرهافن**" قد أصبح فاسدا، وبأن هؤلاء الجيران الذين أقاموا على بعد ميل منهم قد عكروا عليهما صفو إقامتهما الهادئة. وقال في صوت نم عن دهشته وعما تختلج به نفسه:

–لم أكن أعرف أن هذا هو شعورك أيضا.

وسرعان ما تبين أنها تحاول أن تسحب ما قالت. إن الجيرة في الريف غيرها في "**لندن**"، ولا مفر للمقيمين في الريف من الحرص على أن تكون علاقاتهم بجيرانهم علاقات ودية.

-هذا هو رأيي أيضا.

-ومن هنا كان التزامنا قبل جيراننا الجدد

وران عليهما صمت مطبق، وقد راح كل منهما يستعرض ما كان من مشهد وهم جالسون إلى مائدة الغداء فقد كان "**جورج بارتون**" غريب الأطوار في هذه الأيام، ولم تكن الظروف قد أتاحت لـ"**ستيفن**" فيما مضى وقبل وفاة "**روز ماري**"، أن يتصل بـ"**جورج**" عن كثب لقد كان "**جورج**" بالنسبة إليه، في الصورة الخلفية الزوج العطوف الغافل لزوجة جميلة في مقتبل العمر، ولم يتبادر إلى ذهن "**ستيفن**" في يوم من الأيام أنه يخون "**جورج**" كما لم يؤنبه ضميره على خيانته هذه، إن "**جورج**" لم يكن صديقه، كما أنه كان في نظره من طراز هؤلاء الأزواج الذين يجب أن تخونهم زوجاتهم، إنه أكبر سنا.. عاجز عن الاحتفاظ بزوجة لها جاذبية المرأة الفائقة الحسن، وهل كان "**جورج**" نفسه الزوج المخدوع؟ إن "**ستيفن**" لا يعتقد ذلك. إن "**جورج**" في رأي "**ستيفن**" كان خير من يعرف "**روز ماري**". لقد كان يحبها وكان أدرى الناس بحقيقة أمره وأمرها. ومهما يكن من أمر فليس من شك في أن "**جورج**" قد تعرض لعذاب لا قبل لرجل به. وبدا "**ستيفن**" يتساءل عما كان من شعور "**جورج**" إثر وفاة "**روز ماري**".

وكان لقاؤه هو و"**ساندرا**" بـ"**جورج**"، فيما تلا المأساة من شهور قليلا نادرا، ثم كان ظهور "**جورج**" فجأة في بيته في "**ليتل برايورز**" وجيرته لهما عاملا جديدا أقحم به نفسه في حياتهما مما يسر لـ"**ستيفن**" أن يرى فيه الرجل الذي يختلف عن "**جورج**" بصورته السابقة.

إنه أكثر حيوية، وأكثر إيجابية، مما كان يتخيله عنه وإن بدا-وهذا مما لا شك فيه- رجلا غريب الأطوار.

وكانت هذه الدعوة المباغتة التي وجهها إلى "**ستيفن**" و"**ساندرا**" لحضور الحفل الذي سيقام بمناسبة عيد ميلاد "**أيريس**" الثامن عشر، من دلائل تلك التصرفات التي حدت بـ"**ستيفن**" إلى الاقتناع بغرابة أطوار الرجل في عهده الجديد، وكان قد ألح في الرجاء أن يستجيب كل من "**ستيفن**" و"**ساندرا**" لدعوته، وأسرعت "**ساندرا**" بقبول الدعوة على الرغم مما ترتبط به هي وزوجها "**ستيفن**" في "**لندن**" من أعمال كثيرة، ومع ذلك فقد وعدته بأنها ستدبر هذا الأمر. وقال لها "**جورج**" مبتسما في إلحاح:

-إذن فلنحدد اليوم من الآن. أعتقد أن اليوم المناسب قد يكون من أيام الأسبوع التالي

للأسبوع القادم.. الأربعاء مثلا أو الخميس؟ إن الخميس يوافق اليوم الأول من تشرين الثاني (نوفمبر)، هل يناسبكما هذا اليوم؟ ومهما يكن من أمر فأنا على أتم استعداد لتحديد اليوم الذي يناسبكما.

وكانت هذه الدعوة من تلك الدعوات التي يمكن أن يقال عنها: بأنها تفرض عليك ولا تترك لك مجالا للاعتذار عنها، بل وقل: إنه كان ينقصها شيء من التكتيك الاجتماعي. وكان "**ستيفن**" قد لاحظ أن "**أيريس مارل**" قد بدت حائرة خجلة، أما "**ساندرا**" فكان عليها أن تسلم بالأمر الواقع مبتسمة وهي تقول:

–فليكن، إن يوم الخميس الموافق أول تشرين الثاني (نوفمبر) يناسبنا. وانبرى "**ستيفن**" قائلا لزوجته مفصحا عما يجول في ذهنه:

–ليس لزاما علينا أن نستجيب لهذه الدعوة. والتفتت إليه "**ساندرا**" بوجه متسائل:

–هل تعتقد أنه يمكننا ذلك؟

–يمكننا أن نتعلل بأي عذر.

–إنه سيلح علينا في تحديد يوم آخر، كما سبق أنه قال ذلك عند توجيه الدعوة إلينا، إنه يبدو مصرا على حضورنا.

–ولماذا إصراره هذا..؟ لست أدري سببا له، إن الحفل حفل "**أيريس**".. ولست أعتقد أنها معنية بحضورنا.

–كلا.. كلا.. هل تعرف أين سيقام هذا الحفل؟

–لا.

–في مطعم "**لوكسمبورج**".

وأرتج القول عليه، وحاول أن يسيطر على نفسه، وهو يتطلع إليها وتلتقي عيناه بعينيها. ترى هل يخيل إليه هذا، أم أن هذه النظرات منها تعني شيئا؟ وأجابها قائلا، وهو يحاول أن يخفي ما تختلج به نفسه من مشاعر:

–مطعم "**لوكسمبورج**" لاستعادة كل ما كان؟ إن الرجل لابد أن يكون مجنونا!

–وهذا ما تبادر إلى ذهني.

–وهذا ما يدعونا إلى رفض قبول هذه الدعوة، ألا يدرك الرجل مدى ما سيسيء به إلينا؟

–لعل لديه عذره، وفي الحق إنه قد أفضى إلي بما لديه من أسباب لتحديد هذا المكان.

–وما تلك الأسباب؟

–لقد انتحى بي جانبا بعد الفراغ من تناول طعام الغداء، وقال لي إنه يريد أن يوضح لي

حقيقة الأمر، وصارحني بأن الفتاة "**أيريس**" .. لم تنس ما تعرضت له من صدمة إثر وفاة شقيقتها، وأنها كانت تحرص على عدم التردد على مطعم "**لوكسمبورج**" منذ ذلك اليوم.

-قد يبدو هذا طبيعيا.

-ولكنه لا يرى هذا الرأي، ويبدو أنه استشار أحد إخصائيي الأعصاب في ذلك، فأشار عليه الرجل بأنه من المتعين إثر أية صدمة أن يواجه المريض الأمر، لا أن يتجنبه، وهذا المبدأ على غرار ما يتبع من إيفاد الطيار في مهمة أخرى في أعقاب تعرضه لحادث قد نجا منه.

-ترى، هل يقترح الإخصائي انتحارا آخر تعالج به الصدمة؟

-إنه يقترح إعادة المشهد بكل مقوماته.

-ياله من اقتراح!

-وهل تضيق بالأمر إلى هذا الحد؟

-ليس الأمر كما تظنين، إن الفكرة لم تعجبني، على الأقل بالنسبة للغير.. بالنسبة لك مثلا.

-إنه اقتراح عقيم، إنني أوافقك على وجهة نظرك غير أن إلحاح "**جورج بارتون**" قد جعل من رفض الدعوة أمرا متعذرا، ومهما يكن من أمر، فقد سبق لي ولك التردد على مطعم "**لوكسمبورج**"، لأنه من المطاعم التي لا يمكن أن يقاطعها الناس.

-ولكن هذا لم يكن في إطار من تلك الظروف التي يعدها "**جورج بارتون**". ولم يكن بهذا الوضع الذي أفضى به إليك. ومهما يكن من أمر فإنه من المتعذر كما تقولين أن نرفض تلك الدعوة، وإن كنت أرى أنه لا يوجد ما يبرر حضورك؛ لأنني لا أحب أن تواجهي هذه التجربة، إنني سأقوم بتلبية الدعوة، وأعتذر عنك بوعكة أصابتك.

-كلا، إذا ما قررت الذهاب فإنني ذاهبة معك. إننا يجب أن نشترك في مواجهة كل شيء معا، هذا ما تعنيه العلاقة بين الزوجين مهما يكن من أمرها، وراح يحملق إليها وقد انعقد لسانه إثر سماعه هذه العبارة الأخيرة التي نطقت بها عفوا، وبعد أن استعاد حالته الطبيعية قال لها: ماذا تقصدين من قولك هذا" مهما يكن من أمر علاقتنا الزوجية؟".

-أليس هذا صحيحا؟

-نعم ليس صحيحا، إن علاقتنا الزوجية لا غبار عليها. فابتسمت قائلة:

-إنه ليطيب لي أن أسمع منك هذا. فتناول يدها بين يديه، ودنا بوجهه منها قائلا:

- "**ساندرا**" ألا تعرفين أنك تعنين كل شيء لي؟

وسرعان ما تحققت من ذلك، عندما وجدت نفسها بين ذراعيه وهو يمطر وجهها بالقبل

مرددا في أذنيها عبارات الحب والهيام.

-"**ساندرا**" .. "**ساندرا**" .. يا حبيبتي.. أحبك.. لقد كنت أخشى.. أخشى أن أفقدك: ووجدت نفسها تقول له:

-بسبب "**روز ماري**"؟

فأطلقها من بين ذراعيه، وتراجع مبتعدا عنها وقد تجهم وجهه واختلجت أساريره قائلا:

-وهل كنت تعلمين بموضوع "**روز ماري**"؟

-بكل تأكيد.. ومنذ اللحظة الأولى.

-وكنت تدركين؟

-كلا، إنني لم أدرك شيئا، وما أظن أنني سأدرك شيئا، هل كنت تحبها؟

-ليس بهذا المعنى، إنك أنت من أحببت.

ووجدت نفسها تردد في مرارة: منذ تلك اللحظة التي وقع نظرك فيها عليّ عبر الغرفة؟ لا تعد على سمعي ترديد هذه الأكذوبة ولم يرتج عليه القول، لأنه لم يفاجأ بما واجهته به. وقال لها وهو يزن كل كلمة يتفوه بها:

-نعم، لقد نطقت كذبا.. إلا أن هذا لم يكن سوى الحق الصراح، فلقد بدأت أعتقد أنني لم أنطق حينئذ إلا صدقا. "**ساندرا**" أرجو أن تحاولي تفهم ما أقول، لقد كنت المرأة التي لا غنى لي عنها،

هذا واقع لا شك فيه، إنني أومن بحق- بعد أن أستعرض أيامي معك- بأنه إذا لم يكن هذا هو الصدق، لما استطعت أن أمضي قدما به.

-إنك لم يسبق لك أن أحببتني.

-نعم، هذا ما كنته، لقد كنت ذاك الرجل الذي كان يفخر بأنه لا يقيم للحب المشتعل وزنا، ثم كان أن وقعت في شراك الحب.. ذاك الحب العنيف الأعمى الذي يشبه إلى حد كبير سحابة صيف قصيرة الأجل، لا تلبث أن تنقشع. هذا حديث المحب الغبي الغاضب النادم لكل ما تردى فيه.. وتوقف قليلا عن الكلام، ثم استطرد قائلا:

-ولقد رجعت إلى صوابي وتبينت الحقيقة هنا، في "**فيرهافن**".

-أية حقيقة؟

-إنه لا يعنيني من حياتي سواك.. وسوى الاحتفاظ بحبك.

-آه لو كنت أعرف!

-وماذا كنت تظنين؟

-حسبت أنك كنت تعد العدة للرحيل معها.

–مع "**روزماري**" ؟ لئن كنت فعلت ذلك، لكان هذا بمثابة حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة ضدي.

–ألم تكن تريد منك أن ترحل معها بعيدا؟

–نعم، لقد كانت ترغب في ذلك فعلا.

–ولكن حدث ما كان في مطعم "**لوكسمبورج**" .

–وماذا حدث؟

ها هما يعودان ثانية ليواجها هذا الخطر غير الملموس.

وران عليهما صمت مطبق، وكأن كل منهما يعرف ما يدور بخلد الآخر، وكأنهما يستعيدان معا هذا الوجه الأزرق المحتقن لامرأة كانت في يوم ما رائعة الحسن. لقد كان كل منهما يحدق النظر في امرأة ميتة، ثم.. تطلع كل منهما إلى وجه الآخر حيث التقت نظراتهما.. وأخيرا قال "**ستيفن**" :

– "**ساندرا**" ، أرجو أن تنسي هذا الأمر، أستحلفك بالله أن تفعلي ذلك!

–لا جدوى من النسيان.. ما أظننا سيتاح لنا في يوم ما نسيان هذه الحقبة من حياتنا.. دعنا من ذلك، ترى ماذا استقر عليه رأيك؟

–استقر على ما سبق أن تحدثت به. فلنواجه الأمور معا. ولنذهب إلى هذا الحفل الرهيب مهما يكن من دواعي إقامته.

–لعلك لا تصدق ما قاله "**جورج بارتون**" عن "**أيريس**" .

–نعم، وأنت هل تصدقينه؟

–قد يكون ما تعلل به هو الصدق. غير أنني أرى أنه لو صح ذلك فإنه ليس بالسبب الحقيقي.

–وماذا عساه أن يكون السبب الحقيقي في أعتقادك؟

–لست أدري، وإن كنت خائفة.

–من "**جورج بارتون**" ؟

–نعم، أعتقد أنه يعرف.

–يعرف ماذا؟ والتفتت إليه بحيث التقت عيناها بعينيه، وهي تقول هامسة:

–لا يجمل بنا أن نخشى شيئا. فيجب علينا أن نتحلى بالشجاعة.. بكل ما أوتينا من شجاعة، إنك ستكون في يوم ما رجلا عظيما.. ويجب ألا يعترض طريقك شيء ما. ولتعلم أنني زوجتك وأنني أحبك. لقد أعدك القدر لما يعد له عظماء الرجال.

–ما رأيك في كنه هذا الحفل، على وجه التحديد؟

–أعتقد أنه فخ أعد بإحكام.
–وهل سنمضي قدما لنتردى فيه؟
–ليس في وسعنا غير ذلك.
–هذا صحيح. وفجأة انفجرت "**ساندرا**" ضاحكة، وهي تقول:
–على رسلك يا.. "**روز ماري**".. فلن يكتب لك الفوز، وأطبق "**ستيفن**" بيده على كتفيها قائلا:
– "**ساندرا**" صمتا. إن "**روز ماري**" ليست على قيد الحياة.
–أحقا ما تقول؟ إنه ليبدو لي أحيانا.. أنها مازالت تفيض حياة.

- 11 -

قالت "**أيريس**" وهما في منتصف الطريق عبر المنتزه:
– "**جورج**".. إنني لن أعود معك، أشعر برغبة في مواصلة السير. لقد خطر لي أن أصعد جبل "**فراير**" ثم أهبط من سفحه الآخر إلى الغابة، لقد كنت أعاني صداعا لازمني طوال نهاري.
–يا لفتاتي المسكينة! افعلي ما بدا ،لك إنني لن أصحبك ؛إذ إنني أنتظر زيارة صديق بعد ظهر اليوم، ولست واثقا من ساعة حضوره.
–حسنا، إلى اللقاء في ساعة تناول الشاي.
وواصلت طريقها في اتجاه سفح الجبل، وكان الجو مشبعا برطوبة أيام شهر تشرين الأول (أكتوبر) المعروفة، وقد اقتربت السحب الداكنة من قمم الأشجار حتى كادت تلامسها. ولم يكن الجو فوق الجبل بأحسن منه في الوادي، ومع ذلك فقد شعرت "**أيريس**" بارتياح؛ لأنها تستطيع أن تتنفس بحرية أكثر.
وجلست فوق جذع شجرة، تتطلع بعينيها إلى الوادي حيث كانت ترى "**ليتل برايورز**" قابعا بين أشجاره المظلمة، وإلى اليسار منه قصر "**فيرهافن**" وقد بدا ناصع البياض.
وبينما كانت مستغرقة في تأملاتها، سمعت حفيف أغصان الأشجار من خلفها، فاستدارت لترى "**أنتوني براون**" يبرز من بينها، فصاحت غاضبة:
– "**توني**"! لماذا تؤثر دائما أن يكون قدومك بهذه الصورة؟
وألقى "**أنتوني**" بنفسه على الأرض بجوارها، وأخرج صندوق سجائره، وقدمه إليها فرفضت شاكرة، ثم أشعل لنفسه إحدى لفائفه وهو يقول، معقبا على ملاحظتها:

–لأنني من تطلق عليه الصحف اسم "الرجل الغامض". وأنا أحب دائما أن أظهر فجأة ومن حيث لا يتوقع ظهوري أحد.

–وكيف علمت بمكان وجودي؟

–بمنظار مكبر. لقد سمعت بأنك مدعوة للغداء بقصر آل "**فاراداي**"، وكنت أتابع تحركاتك من سفح الجبل بعد مغادرتك القصر، وبعد ذلك تعقبت خطواتك إلى حيث تجدينني الآن.

–ولماذا لم تحضر لزيارتنا كأي شخص عادي؟

–لأنني لست بالشخص العادي. إنني شخص غير طبيعي.

–هذا هو رأيي فيك.

–ماذا استجد من أمور؟

–لا شيء على الأقل.. سوى أنني ضقت ذرعا بمقامي هنا. لقد كرهت إقامتي هذه، وأريد أن أعود أدراجي إلى "**لندن**".

–وهل ستعودين قريبا؟

–سنعود في الأسبوع القادم.

–إذن، فقد كان غداء اليوم بمثابة حفل وداع بقصر آل "**فاراداي**".

–لم يكن حفلا بمعنى الكلمة، ولم يكن حاضرا غيرهما وابن عم متقدم في السن.

– "**أيريس**"، هل تحبين آل "**فاراداي**"؟

–لست أدري، ولست أعتقد أنني أميل إليهما كل الميل، وإن كان لا يجدر بي أن أقول ذلك، لأنهما كانا في غاية الظرف معي.

–هل تعتقدين أنهما يحبانكما؟

–كلا، لا أعتقد ذلك، بل وأعتقد أنهما يكرهوننا.

–إنه لتصريح يدعو للاهتمام.

–هكذا؟!

–لست أعني تصريحا عن كراهيتهما لكما–إن صح ذلك– إنني أعني استعمالك لصيغة الجمع مع أنني كنت أعنيك شخصيا بسؤالي.

–آه، فهمت.. أعتقد أنهما يحبانني بأسلوب سلبي، وأظن أنهما يعنيان بأمرنا كأسرة تقيم بجوارهما. إننا لم نكن في يوم من الأيام من أصدقائهما المقربين.. لقد كانا من أصدقاء "**روز ماري**".

–أجل، لقد كانا من أصدقاء "**روز ماري**" كما تقولين، وإن كنت لا أستطيع أن أعتقد

في أن كلا من "**ساندرا فاراداي**" و"**روز ماري**" كانتا صديقتين مقربتين.

–الحق ما تقول.

وبعد أن قالت "**أيريس**" هذا، أطرقت مستغرقة في أفكارها بينما راح "**أنتوني**" يدخن في هدوء، قبل أن يقول لها:

–أتدرين ماذا أرى في آل "**فاراداي**" بالذات؟

–ماذا ترى؟

–إنه هذا.. إنهما يكونان معا آل "**فاراداي**"، إنني أراهما في هذه الصورة.. لا بوصفهما "**ستيفن**" و"**ساندرا**" بل بوصفهما شخصين ربطت بينهما الدولة والكنيسة.. صورة ذاتية مزدوجة هي آل "**فاراداي**" إنهما شخصان يشتركان في هدف واحد، ولهما أسلوب واحد في الحياة، وقد تشابهت آمالهما ومخاوفهما ومعتقداتهما. ومع ذلك وهذا ما يثير العجب.. إنهما مختلفان خلقا ،فـ"**ستيفن فاراداي**" رجل واسع الأفق، شديد الحساسية ،يقيم وزنا كبيرا للرأي العام وتعوزه الشجاعة الأدبية إلى حد ما. أما "**ساندرا**" فهي ضيقة الأفق عميقة الولاء تتحلى بشجاعة قد تبلغ بها حد اللامبالاة.

–إنه يبدو في عيني رجلا مغرورا قصير النظر.

–كلا، إنه ليس بالقصير النظر. إنه من هذا الطراز غير السعيد بنجاحه. –

غير سعيد؟

–إن معظم الناجحين في الحياة غير سعداء. إذ على هؤلاء أن يدأبوا على توطيد دعائم نجاحهم بالسير قدما؛ لإنجاز ما يشفع نجاحهم بنجاح آخر بحيث لا ينساهم الناس.

–يا لها من آراء شاذة!

–إنك ستجدين أنها آراء واقعية إذا ما أمعنت النظر فيها. إن السعداء من الناس هم الفاشلون، لأنهم قانعون بحالهم راضون عن أنفسهم، وهذا هو شأني.

–إن لك رأيا حسنا في نفسك.

–إنني أرمي بذلك إلى توجيه نظرك لما أتحلى به من صفات؛ خشية ألا تكوني قد تبينت منها شيئا.

وضحكت "**أيريس**" وارتفعت روحها المعنوية، وزال عنها ما كانت تشعر به من انقباض وخوف، ثم قالت له أخيرا:

–لماذا لم تحضر لتناول الشاي معنا، وتتيح لغيري أن ينعم بالاستماع إلى حديثك الشهي؟

–لن يتيسر لي هذا اليوم؛إذ يجب أن أعود أدراجي.

–لماذا تحرص دائما على تجنب زيارتنا؟ لابد وأن يكون لديك سبب ما .

– إن زوج شقيقتك لا يميل إليّ وقد لمست منه هذا بجلاء .

– لا عليك من "**جورج**" . إن الدعوة موجهة لك من العمة "**لوسيلا**" ومني . . إن العمة "**لوسيلا**" شخصية ستفوز بإعجابك .

– أنا واثق مما تقولين . . غير أن اعتراضي لا يزال قائما .

– لقد كنت تتردد على البيت إبان حياة "**روز ماري**" .

– إن الأمر يختلف .

فانقبض قلب "**أيريس**" ، وأطرقت قليلا قبل أن تقول له :

– لماذا كان حضورك اليوم إلى هنا ؟ هل كان هذا لعمل ما ؟

– إنه عمل على جانب كبير من الأهمية . عمل يتصل بنا . لقد قدمت هنا لأوجه إليك سؤالا .

وشعرت ببعض الانتعاش ، وزال عنها ما كان يعتصر قلبها ، وبدأت تسمع دقاته في أذنيها ، واكتسى وجهها بنظرة التحدي التي عرفت بها المرأة من قديم الأزل ، وهي تستدير إليه قائلة :

– نعم ؟ هات ما عندك .

فتأملها جادا وهو يقول :

– "**أيريس**" ، أريد منك جوابا صريحا ،إليك سؤالي . هل تثقين بي ؟"

ورأي منها أنها لم تكن تتوقع هذا السؤال ، فاستطرد :

– إنك لم تتوقعي أن يكون هذا سؤالي غير أنني أرى أن هذا السؤال على جانب كبير من الأهمية ، ولأنه كذلك ، فإني أعود لأوجهه إليك : هل تثقين بي ؟

– نعم .

– وبناء على ذلك ، سأوجه إليك سؤالا آخر : هل ستذهبين معي إلى "**لندن**" لتتزوجيني دون أن تخبري أحدا بذلك ؟

فحملقت إليه وقد استبدت بها الدهشة ، وعصفت بها المفاجأة قائلة :

– ولكنني لن أستطيع . هذا ما ليس في وسعي ، إن هذا لا يمكن بحال ما !

– ألا تستطيعين الزواج مني ؟

– ليس الأمر كما تصوغه . كلا ، إنك أسأت فهمي .

– ومع ذلك فإنك تحبينني . إنك تحبينني ، أليس كذلك ؟

– نعم ، إنني أحبك .

– ولكنك ، مع ذلك لا توافقين علي الزواج مني في كنيسة " **سانت ألفريدا** " في "**بلومزبيري**" ، في تلك الكنيسة التي اتخذت منها مقاما لعدة أسابيع ، والتي يمكنني أن أعقد زواجي فيها في أي وقت كان .

– كيف يتسنى لي أن أفعل شيئا من هذا القبيل ؟ إن في تصرفي هذا أكبر إساءة لـ"**جورج**" . كما أن العمة "**لوسيلا**" لن تغفر لي مثل هذا الفعل . و مهما يكن من أمر فإنني لم أبلغ بعد السن القانونية ، حيث لم أتجاوز الثامنة عشرة من عمري

– في وسعك ألا تقولي الحقيقة عن سنك . ولست أدري شيئا عما ينتظرني من عقاب إذا ما تزوجت من قاصر دون موافقة وصيها الشرعي ، وبالمناسبة ، من عساه يكون هذا الوصي ؟

– "إنه "**جورج**" .

– ومهما يكن من أمر ما قد أتعرض له من عقوبات ، فإنهم لن يستطيعوا بحال ما أن يلغوا زواجنا ، الأمر الذي يعنيني بحق !

– كلا ، إنني لا أستطيع بحال أن أوافق على هذا العرض . أرجو أن تصارحني بوجهة نظرك كما هي .

– ومن هنا تعرفين السبب فيما سألتك عنه أولا ، عما إذا كنت تثقين بي من عدمه ؛ إذ إن ثقتك المطلقة بي ، تغنيك عن هذا السؤال الذي سمعته منك الآن . – لئن زدت صلة بـ"**جورج**" ، بحيث يمكنه أن يعرف عنك أكثر مما يعرف ، لكان الأمر بالنسبة إلينا أكثر يسرا . . هيا معي إلى المنزل حيث لن نجد سوى "**جورج**" والعمة " **لوسيلا** " .

– هل أنت واثقة من ذلك ؟ أظن أنني ، حينما كنت أصعد سفح الجبل ، أبصرت رجلا يتجه إلى بيتكم . . وأعتقد أنني عرفت فيه رجلا التقيت به من قبل

– هذا صحيح – " لقد نسيت – إذ علمت من "**جورج**" أنه يتوقع زيارة هذا الرجل .

– إن هذا الرجل يدعى "**ريس**" . . العميد "**ريس**" .

– إن "**جورج**" يعرف رجلا بهذا الاسم . لقد كان مدعوا إلى العشاء في تلك الليلة التي لقيت فيها "**روز ماري**" حتفها .

وتوقفت عما كانت بسبيل قوله ، وتهدج صوتها. فأمسك "**توني**" بيدها قائلا :

– ليس بك حاجة لإعادة هذه الذكرى الموحشة . هوني عليك .

– هذا ما لا أستطيع إليه سبيلا ، "**أنتوني**" . . .

– نعم ؟

– هل سبق أن خطر لك . . هل سبق أن دار بخلدك . . هل سبق أن تبادر إلى ذهنك

أن "**روز ماري**" قد لا تكون ماتت منتحرة وأنها قد تكون قتلت ؟ "

– رباه ! ما منشأ هذه الفكرة في رأسك ؟

– ألم يجل هذا في خاطرك من قبل ؟

– كلا ، بكل تأكيد . ليس من شك في أن "**روز ماري**" قد انتحرت . ترى ، من عساه أن يكون الذي أوحى إليك بهذا ؟

وترددت لحظة ، وقد نازعتها فكرة الإفضاء إليه بقصة " **جورج** " التي سبق أن تحدث بها إليها غير أنها عدلت أخيرا عن ذلك ، ثم قالت :

– إنها كانت مجرد فكرة عارضة .

– إذن فلتنسي أمرها .

– ثم نهض واجتذبها من ذراعيها بحيث استقامت واقفة وقال لها وهو يطبع قبلة فوق جبينها :

– أيتها العزيزة الغالية فلتنسي كل ما يتصل بـ "**روز ماري**" ، ولتركزي فكرك في هذا الماثل أمامك.

- 12 -

راح العميد "**ريس**" ، يتطلع مليا إلى "**جورج بارتون**" مواصلا تدخين غليونه .

إن معرفته بـ "**جورج بارتون**" ترجع إلى عهد الصبا ، أو قل إلى أيام أن كان الأخير صبيا يافعا ، فثمة فارق في السن بين الاثنين لا يقل عن عشرين عاما . إن "**ريس**" الآن قد تجاوز الستين ، وهو رجل طويل القامة ، عسكري الهيئة أشيب الشعر . أسود العينين .

ولم يكن بين الرجلين صلة وثيقة . . وكان "**بارتون**" في نظر "**ريس**" ، "**جورج الصغير**" الذي كان بمثابة صورة من صور الماضي الكثيرة ، غير الواضحة تمام الوضوح .

وكان في صمته هذا ، يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن السبب الذي حدا بـ "**جورج الصغير**" إلى أن يلح في ضرورة الاجتماع به . كما أنه كان يعجب في قرارة نفسه من هذا التغيير الذي طرأ على الرجل منذ آخر لقاء بينهما في العام السابق.

لقد لمس من الرجل الجالس أمامه ، أنه أصبح قلقا ، مرهف الحس ، وكأنه قد صار رجلا آخر غير "**بارتون**" الذي عرفه .

وبادر "**ريس**" مضيفه الشاب قائلاً :

– والآن لتسمعني ما يشغل بالك ؟

– يشغل بالي الكثير . وإني لفي أمس الحاجة لمشورتك ومعونتك .

وأومأ العميد برأسه دون أن يعقب بشيء . منتظرا ما سيفضي به إليه "**جورج بارتون**" الذي استطرد قائلا :

– منذ عام مضى ، كنت مدعوا لتناول العشاء معنا في "**لندن**" بمطعم "**لوكسمبورج**" . وقد تخلفت عن الحضور لاضطرارك للسفر إلى الخارج في آخر لحظة .

– كنت مسافرا إلى "**جنوب إفريقيا**" .

– وفي هذا الحفل توفيت زوجتي .

وبدا على "**ريس**" عدم الارتياح لسماعه هذا ، واعتدل في مقعده الذي كان مسترخيا فيه ، قائلا :

– أعرف ذلك . لقد اطلعت على النبأ بالصحف . وقد آثرت ألا أحدثك بشيء عن فجيعتك أو أقدم إليك تعزيتي ، لأنني لم أود أن أبعث فيك تلك الذكريات المؤلمة . وليس من شك في أنني جد آسف لما حدث .

– نعم ، نعم ، إنني واثق من هذا . غير أن هذا ليس هو بيت القصيد من إعادة الحديث عن هذه الذكرى ، لقد كان من المفترض أن زوجتي قضت نحبها منتحرة .

وقطب "**ريس**" جبينه قائلا وقد اتكأ بمرفقيه على ركبتيه :

– من المفترض ؟

– إليك بهاتين الرسالتين للاطلاع عليهما .

وقدم الرسالتين إلى ضيفه ، الذي ألقى عليهما نظرة سطحية وهو يقول :

– إنهما من مجهول .

– نعم . ولكنني أصدق ما ورد بهما .

– من الخطورة بمكان أن يصدق المرء مثل هذه الرسائل .

وكم من الرسائل المجهولة التي تصل إلى ذوي الشأن في مثل هذه المناسبات وغالبا ما تكون هذه الرسائل قائمة على الأكاذيب الباطلة .

– هذا ما أعرفه . غير أن هاتين الرسالتين لم تحررا في غمار الحادث أو في أعقابه مباشرة . لقد بعث بهما إليّ بعد ستة أشهر من هذا اليوم المشؤوم .

– ومن تعتقد أنه مرسلهما ؟

– لست أدري . ولا يعنيني في كثير أو في قليل أن أعرف شيئا عن شخصية من قام بتحريرهما . إن ما يعنيني منهما أنني أعتقد أن ماورد بهما هو الحق . إن زوجتي قد ماتت مقتولة .

ونحى "**ريس**" غليونه جانبا ، وتأمل "**جورج بارتون**" وهو يقول :

– وعلى أي أساس تبني اعتقادك هذا ؟ هل كنت تشك في الأمر في حينه ؟ وهل كان هذا هو رأي رجال الشرطة ؟

– إنني لم أكن في كامل وعيي حين وقع الحادث – " فقد كنت في دهشة عارمة من تلك المفاجأة ومن هنا كان تسليمي بقرار المحقق . وكانت زوجتي مريضة بـ "**الإنفلونزا**" قبل ليلة الحادث بأسبوع ، الأمر الذي رجح كفة الانتحار بناء على ما كانت تشعر به من انقباض وانهيار صحي . علاوة على أن المادة السامة قد وجدت في حقيبة يدها .

– وماذا عن هذه المادة السامة ؟

– السيانيد .

– أذكر هذا . وأذكر أنها تناولتها في كأس من الشراب .

– نعم .. هذا ما بدا في حينه .

– وهل عرف عنها أنها هددت في يوم ما بإقدامها على الانتحار ؟

– "كلا ، كلا ، مطلقا . لقد كانت "**روز ماري**" محبة للحياة متعلقة بها .

وأومأ "**ريس**" برأسه دلالة على أنه يوافق على ما قرره "**جورج بارتون**" من حب "**روز ماري**" للحياة مع أنه لم يلتق بها سوى مرة واحدة ، خرج منها برأيه فيها .. من أنها امرأة تفيض حياة ، وهي من ذلك الطراز الذي لا يعرف غير المرح والحبور وانبرى "**ريس**" يسأل مضيفه :

– وماذا عن التقرير الطبي عن حالتها العقلية ، إلى آخر ما تقدم من أدلة بهذا الشأن ؟

– لقد كان طبيب "**روز ماري**" الخاص مسافرا بالخارج ، وهو رجل متقدم في السن كان يعتني بأسرة "**مارل**" منذ أن كانت "**روز ماري**" طفلة صغيرة . وكان شريكه ، هو الذي أشرف على معالجة "**روز ماري**" في أثناء مرضها بـ"**الإنفلونزا**" . وكل ما قاله ،فيما أذكر، أن هذا النوع من "**الإنفلونزا**" يسبب حالة من الانقباض النفسي إبان فترة نقاهة المريض . ولم أتحدث في هذا الشأن مع طبيب "**روز ماري**" الخاص ، قبل أن أتسلم هاتين الرسالتين . ولم أصارحه بشيء عنهما بكل تأكيد . وكل ما في الأمر أنني بحثت معه حالتها الصحية وناقشته فيما حدث . وقال لي إنه لم يكن ليطرأ على باله أن شيئا من هذا القبيل قد يقع . وقرر بأن "**روز ماري**" ليست من الطراز الذي يقدم على الانتحار . وبعد هذا الحديث مع طبيب "**روز ماري**" الخاص ، استبعدت فكرة انتحار "**روز ماري**" ، بما يدعم ما ورد بالرسالتين . ومهما يكن من أمر ، فأنا خير من يعرف "**روز ماري**" كزوج في

هذه الفترة . وحكمي الشخصي أنها ليست بالمرأة التي تقدم على حرمان نفسها من حق الحياة ، إذ لم تكن سوى امرأة لا ترى من الحياة إلا جانبها المزدهر ولا تعرف شيئا عن جانبها القاتم .

– هل يمكن أن يكون ثمة ما دفعها إلى الانتحار غير ماقيل من تبرير له بحالة الانقباض النفسي هذه ؟ ألا يمكن أن يكون قد استجد في حياتها عامل جديد أشقاها ودفع بها إلى الانتحار ؟

– كلا .. لقد كانت عصبية المزاج قليلا ، وإن لم يكن إلى هذا الحد الذي يدفعها إلى الانتحار .

– ألا يمكن أن تكون من هذا الطراز الذي إذا ما تشاجر مع شخص يعنيه أمره ، عمد إلى الانتحار انتقاما من هذا الشخص الذي قد يفجع بانتحاره !

– لم يحدث بيني وبين **"روز ماري"** شجار من أي نوع كان ثم إن **"روز ماري"** ، لو كانت قد اعتزمت الانتحار حقا لكانت قد لجأت إلى وسيلة أخرى غير تلك المادة السامة التي قضت على حياتها . لقد كان من الممكن أن تستعمل في انتحارها جرعة مضاعفة من أية مادة أخرى .. كالحبوب المنومة مثلا .

– هذا صحيح . هل أتضح من التحقيق أنها ابتاعت مادة السيانيد التي استعملتها ؟

– كلا . غير أنها كانت تقيم مع بعض الأصدقاء في الريف الذين اتضح أنهم كانوا يستعملون هذه المادة للقضاء على بعض الحشرات . وقد قيل في التحقيق، إنه يحتمل أن تكون **"روز ماري"** قد اختلست كمية من هذه المادة .

– نعم .. هذا محتمل . ولم يكن من العسير عليها أن تحصل على هذه المادة من البستاني بحجة استعمالها في أي غرض كان . والآن ، فلنستعرض الموقف في إيجاز .أفهم من أقوالك أنه لم يقم دليل قاطع على أنها ماتت منتحرة أو أنها أعدت لتنفيذ فكرة الانتحار قبل وفاتها . غير أنني أفهم أيضا أنه لم يكن لديك دليل على أنها قتلت، وكان هذا هو شأن رجال الشرطة وهم كما تعلم في منتهى اليقظة والحساسية تجاه مثل هذه الحوادث ، وهم لا يسلمون بفكرة الانتحار هكذا بكل سهولة ، إذ إن من عادتهم الشك في كل حادث يقومون بتحقيقه ، ولا يأخذون ما يقال على أنه قضية مسلمة .

– لا تنس أن أحدا ما لم يثر نظرية أنها ماتت مقتولة في أثناء التحقيق ، بل إن إثارتها في هذا الوقت كانت ستصبح مدعاة للسخرية بمن يثيرها ، حيث كان الأمر يبدو حينئذ أنه انتحار لا شك فيه . ولولا أن هاتين الرسالتين قد أثارتا شكوكي لما كنت قد رجحت لك أنها ماتت مقتولة وبالذات لأن هاتين الرسالتين كانتا بعد ستة أشهر من انتهاء التحقيق

في الحادث .

– حسنا ولنتناول الآن صلب الموضوع ، هل تشك في أحد ؟

وأطرق "**جورج**" برأسه . . وقد اختلجت أسارير وجهه بما ينم عما يعتمل في نفسه من مشاعر متضاربة .

– هذا هو ما يقض مضجعي . فإذا ما كانت "**روز ماري**" قد قتلت ، فلابد وأن يكون قاتلها أحد الأصدقاء ممن كانوا حول المائدة ، إذ لم يقترب من مائدتنا أحد آخر .

– والسقاة ؟ من الذي كان يقوم بصب الشراب ؟

– إنه "**شارل**" ، رئيس السقاة في مطعم "**لوكسمبورج**" ، وأنت تعرف "**شارل**" .

ووافق "**ريس**" على أنه يعرف "**شارل**" خير المعرفة . ولم يكن ثمة ما يبرر الشك في "**شارل**" بحال ما . واستطرد "**جورج**" قائلا :

– وكان الساقي الذي يقوم على خدمتنا "**جوزيف**" . وهو من السقاة المعروفين لدينا منذ عدة أعوام .

– دعنا من السقاة ، ولنعرج الآن على المدعوين . من عساهم أن يكونوا ؟

ستيفن فاراداي" ،عضو مجلس العموم وزوجته ، السيدة "**ألكسندرا فاراداي**" ، و "**روث ليسنج**" سكرتيرتي الخاصة، وشخص يدعى "**أنتوني براون**"،ثم شقيقة "**روز ماري**" ، "**أيريس**" . ولم يبق سواي حتى يتم العدد سبعة . وكان من المفترض أن نكون ثمانية في حالة حضورك . ولما كان اعتذارك قد جاء متأخرا، فلم نستطع أن ندعو أحدا ليحل محلك في آخر لحظة .

– " حسنا ، ترى من بين هؤلاء الذي يحتمل أو نعتقد أنه ارتكب هذه الجريمة؟

– " لست أدري – " في الحق إنني لست أدري . إذ لو كان لدي أية فكرة . . !

–" فليكن . . فليكن . لقد حسبت أنه قد يكون لديك فكرة محددة عمن تشك فيه . ومهما يكن من أمر ، فإن الأمر ليس بالغ الصعوبة كما يبدو لك . كيف كنتم تجلسون ؟ أي ما ترتيب جلوسكم ؟ ولتبدأ بنفسك .

– كنت أجلس ، و "**ساندرا فاراداي**" عن يميني . وعن يمينها "**أنتوني براون**" ، ومن بعده "**روز ماري**" ، ثم "**ستيفن فاراداي**" ، ومن بعده "**أيريس**" ، ومن بعدها "**روث ليسنج**" التي كانت تجلس عن يساري .

– فهمت . وهل احتست زوجتك الشراب منذ بدء السهرة ؟

– نعم . لقد كانت الكؤوس تملأ وتفرغ أكثر من مرة . وإن ما حدث . . حدث في أثناء الاستعراض ،وقد صحب هذا الاستعراض ، كما هي العادة ، غير قليل من الضوضاء

والجلبة .. لأنه كان من تلك الاستعراضات الزنجية وكنا معنيين بمتابعة الرقص . وقد شاهدناها تستلقي بنصفها الأعلى فوق المائدة قبل أن تضاء الأنوار . ولم يصدر عنها صوت ما .. بل ألقت برأسها وصدرها هكذا في سكون ، وقال الطبيب في ذلك ، إن الوفاة كانت فجأة دون مقدمات ، شكرا لله على أنها لم تتألم ولم تشعر بشيء .

– أجل هذا أفضل . "**بارتون**" ،إن الأمر فيما يبدو واضح كل الوضوح ، لا لبس فيه .

– ماذا تعني ؟

– ألم يكن "**ستيفن فاراداي**" جالسا عن يمينها ؟ بما يعني أن كأسها كان في متناول يده اليسرى . وكان من اليسير عليه أن يدس السم لها فور إطفاء الأنوار عند بدء العرض ، وتركيز انتباه الجميع على خشبة المسرح . ولست أرى أن الفرصة كانت سانحة لغيره . ولا يمكن أن يكون غيره قد فعل ذلك دون أن يراه أحد ، حتى لو كان هذا الشخص هو الجالس عن يسار "**روز ماري**" ؛ لأن كأسها كان موضوعا عن يمينها . وثمة احتمال آخر ، ندعه الآن حتى نفرغ من هذا الاحتمال الذي بين أيدينا . أولا ، هل ثمة ما يدعو "**ستيفن فاراداي**" إلى اقتراف هذه الجريمة ضد زوجتك ؟ هل لديه دافع قوي ليخاطر بهذا الفعل؟ ركز تفكيرك للإجابة عن سؤالي هذا .

– لقد .. كانا صديقين مقربين . .. فإذا ما كانت "**روز ماري**" قدتخلت عنه ، مثلا ، فقد يكون الدافع له هو الرغبة في الانتقام .

– وهل هذا هو الدافع الوحيد في رأيك ؟

– أجل .

– إذن ، فلننتقل إلى الاحتمال الثاني . فقد تكون إحدى السيدات الحاضرات، هي التي قد أقدمت على هذا الفعل .

– ولماذا تفترض ذلك ؟

– يا عزيزي "**جورج**" ، ألم يدر بخلدك أنه في حالة ما إذا ما كان عدد المدعوين سبعة، أربع نساء وثلاثة رجال ، سيستتبع هذا تخلف إحداهن عن الرقص ، حيث إن من تتخلف لن تجد زميلا يراقصها ، وهل اشتركتم جميعا في حلبة الرقص ؟ أعني أن يكون هذا الاشتراك على فترات ؟

– نعم . لقد كنا نتناوب الرقص مع السيدات .

– حسنا . والآن ، أرجو أن تستعيد ما كان قبل بدء العرض . هل تذكر من كانت تجلس إلى المائدة منهن ؟

– أعتقد .. نعم إنها كانت "**أيريس**" ومن قبلها "**روث**" .

– ألا تذكر متى احتست زوجتك آخر كأس من الشراب ؟

– مهلا . لقد كانت تراقص "**براون**" . وأذكر أنها عادت أدراجها إلى المائدة وهي تكيل المديح له كراقص مجيد وحينئذ رفعت كأسها وأفرغت ما به في جوفها . وبعد بضع دقائق قمت بمراقصتها . ونهض "**فاراداي**" يراقص "**روث**"، و "**براون**" يراقص السيدة "**ألكسندرا**" . وتخلفت "**أيريس**" عن الرقص لأنها لم تجد زميلا لها . وبعد هذا مباشرة بدأ العرض .

– والآن ، دعنا نستعرض وضع شقيقة زوجتك هل تستفيد "**أيريس**" من موت زوجتك ؟!

– "يا عزيزي "**ريس**" .. "ماذا تقول ؟ لقد كانت "**أيريس**" مجرد طفلة ، ولم تكن بأكثر من فتاة صغيرة ما زالت طالبة بالمدارس .

– لقد عرفت طالبتين اقترفتا جريمة قتل .

– "ولكن "**أيريس**" ! إنها كانت جد متعلقة بـ"**روز ماري**" .

– دعك من هذا . لقد كانت لديها الفرصة . وأريد الآن منك أن تنير لي الطريق للاهتداء إلى ما عساه أن يكون لها من دافع . إن زوجتك ، فيما أعتقد كانت سيدة واسعة الثراء .. ترى إلى من ستؤول ثروتها .. إليك ؟

– كلا ، إلى "**أيريس**" .. بناء على نص الوصية الأولى .

– هل تعتقد أن القاتل هو شخص كان على علاقة بـ"**روز ماري**" ؟

– ربما .. !

– أهو "**ستيفن فاراداي**" ؟

– لست أدري ! وأقسم لك أنني لست أدري فعلا ! فقد يكون هو أو هذا الرجل الآخر "**براون**" ، وإنني لعاجز عن القطع برأي في هذا الأمر .

– حدثني بما تعرفه عن "**أنتوني براون**" . وإنه لمما يدعو للعجب ، أنه يخيل إليّ أني سمعت بهذا الاسم من قبل .

– إني لا أعرف شيئا عنه . كما لا يعرف غيري شيئا عنه . إنه شاب وسيم جذاب .. غير أن أحدا لا يعرف ما هي جنسيته . إنهم يقولون عنه إنه أمريكي، وأن كانت لهجته لا تنم عن هذا .

– كان من الممكن الاستفسارعنه من السفارة الأمريكية .

– لم يخطر هذا ببالي ، أو قل إنه لم يعنيني أن أفعل ذلك . والآن سأفضي إليك بشيء قد تجد فيه ما ينير الطريق، لقد كانت تقوم بتحرير رسالة .. وقد قمت بفحص ورق

النشاف بعد مغادرتها للمكتب . وكانت الرسالة رسالة غرام.. وإن لم أتبين منها اسم المرسل إليه .

– حسنا ، فإن فيما قلته الآن ما ينير لنا طريق البحث إلى حد ما . ومن هنا يمكننا أن نعرج في حديثنا على السيدة "**ألكسندرا**" مثلا .. وهذا في حالة إذا ما كان لزوجها علاقة بزوجتك وهي ، كما تعلم ، أمرأة جادة مرهفة الحس ، من هذا الطراز الذي قد يلجأ إلى القتل لأتفه الأسباب ،إنني أرى أننا نتقدم في بحثنا ، وقد اجتمع لدينا من المشكوك فيهم .. "**براون** "الغامض .. و "**فاراداي**" وزوجته .. و "**أيريس مارل**" حتى الآن . وماذا عن تلك المرأة الأخرى ، "**روث ليسنج**" ؟

– إن "**روث**" لا شأن لها بذلك . وليس لها على الأقل أي دافع . إنها فتاة لا عيب فيها. وهي في الواقع كفرد من أفراد الأسرة . وهي بمثابة يدي اليمنى ولا أثق بأحد غيرها

– يبدو أنك مغرم بها ؟

– إنني أحلها مكانا ممتازا من تقديري . وأعول عليها في الكثير من أموري.

وهي في الواقع من أشد الناس إخلاصا لي .

وتمتم "**ريس**" ببعض كلمات لم يفهم منها "**جورج**" شيئا ورأى أنه من الخير، ولو مؤقتا ألا يستطرد في مناقشة موقف "**روث**" في هذا الحادث . وحاول ألا يبدو عليه ما ينم عن شيء مما يجول في خاطره ، من أن هذه الفتاة "**روث ليسنج**" قد يكون لديها من الدوافع ما هو أقوى من دوافع غيرها ممن ناقش أمرهم مع "**جورج**" . فلماذا لا تكون هذه الفتاة ، ذات المنزلة المرموقة في نفس مخدومها ، قد عملت على إزاحة السيدة "**جورج بارتون**" من طريقها ؟ لماذا لا تكون مدلهة بحب هذا الرجل الذي تعمل معه ؟ وأخيرا قال "**ريس**" لمضيفه :

– ألم يدر بخلدك أن لديك أنت الآخر الدافع القوي إلى قتلها ؟

– أنا ؟!

– بلى ، وهل نسيت أمر عطيل وديدمونه ؟

– أفهم ما ترمي إليه . غير أن الأمر لم يكن على هذه الصورة .. بيني وبين "**ماري**" . ولقد كنت أعشقها ، ولكنني في الوقت نفسه كنت قد وطنت نفسي على أنه قد يستجد في حياتنا ما يتعين عليّ احتماله بصبر وجلد . ولا يعني هذا أنها لم تكن تحبني. لقد كانت مغرمة بي حريصة على أن تشعرني بذلك. غير أنني كنت أعرف قدر نفسي .. من أنني لست بالرجل الخيالي الذي يرضي نزوات فتاة في هذه السن وكانت

هذه هي وجهة نظري من بدء زواجنا .

ومهما يكن من أمر سلوكها ، فإنه لم يتبادر إلى ذهني في لحظة ما أن أمس شعرة منها . ومهما يكن من أمر؛ فإني ما كنت لأثير الأمر من جديد ، لو كنت أشعر بأنني قد أكون محلا لأي شك . لقد صدر القرار باعتبار الحادث انتحارا، وإنه لمن الجنون أن يحاول شخص يعرف أنه هو المتهم الأصلي نبش الماضي الذي سيكون فيه إساءة له .

– معك الحق . وهذا هو السبب في إنني لا أشك فيك بصورة جادة . ثم إنه لم يكن عليك أن تكشف عن سرالرسالتين اللتين تثيران الموضوع لأول مرة وما كان عليك إلا أن تلقي بهما في النار لو صح أنك القاتل الحقيقي ، وما دمنا بصدد الحديث عن الرسالتين ، ترى من الذي بعث بهماإليك ؟

– ليست لديّ أية فكرة عن ذلك .

– يبدو لي أن هذه النقطة لم تثر اهتمامك ، غير أنني أغلق عليها أهمية كبرى. ولنسلم أولا بأن هاتين الرسالتين لم تصدرا عن القاتل . إذن فمن هو الذي يريد أن يثير هذه القضية ويعيدها إلى الحياة ؟

– قد تكون إحدى الخادمات . . !

– ليس هذا بمستبعد .وإذا ما كان الأمر كذلك، فمن هي ، وماذا تعرف الخادمة ؟ هل كانت "**روز ماري**" تخص إحدى الخادمات بثقتها ؟

– كلا . كان لدينا من الخادمات ثلاث . . السيدة "باوند" الطاهية ، واثنتان غيرها . ولم تزل الأولى تعمل في خدمتنا ، أما الأخريان فقد تركتا خدمتنا بعد فترة قصيرة .

– "**بارتون**" ، إذا ما كنت تحرص على العمل بمشورتي أعتقد أنه من واجبك أن تفكر مليا في كل ما كان ، وتقتل هذا الأمر بحثا . فأمامك من ناحية حقيقة أن "**روز ماري**" قد قضت نحبها . ولا يمكن بحال ما أن تعيدها إلى الحياة ، مهما كنت جادا في مسعاك . وإذا لم يكن الدليل على أنها ماتت منتحرة قويا ، فإن الدليل على أنها ماتت مقتولة لا يقوم على أساس . فإذا ما سلمنا جدلا بأن "**روز ماري**" قد قتلت ، فهل يستتبع هذا أنك ترغب في إثارة الموضوع من جديد ؟ إن في إثارته تشهيرا أنت في غنى عنه ، وستصبح علاقة زوجتك الخاصة بغيرك ملكا للرأي العام .

– هل أفهم من ذلك ، أنك تشير علي بأن أدع المجرم الحقيقي يفلت من العقاب ؟ ومن هذا القبيل "**فاراداي**" هذا الذي يقتله الغرور ويتيه مزهوا بماله ومستقبله الباهر . . أو غيره ممن قد تثبت عليه التهمة كقاتل جبان ! .

– إن كل ما أسألك إياه ، أن تكشف لي عن خبيئة نفسك .

– إنني أريد أن أصل إلى الحقيقة مهما يكن هناك من نتائج ، ومع تقديري لكل ما أبديته من توجيه .

– حسنا . في هذه الحالة ، يتعين عليك أن تذهب إلى الشرطة بهاتين الرسالتين. فقد يكون في مقدورهم الاهتداء إلى من قام بتحريرهما وتقصي الحقيقة عن هذا الشخص إذا ما تم الاهتداء إليه والكشف عن حقيقة شخصيته على أنه من واجبي أن أبصرك بأنك ما إن تبدأ ذلك ، فإنك لن تستطيع بحال ما أن توقف نشاطهم عند الحد الذي يحلو لك .

– إنني لن أذهب إلى الشرطة . وهذا هو السبب الذي حدا بي إلى الاتصال بك، إنني أريد أن أعد فخا للقاتل .

– لست أفهم ما ترمي إليه .

– "**ريس**" ، استمع إليّ . إنني سأقيم حفلا بمطعم "**لوكسمبورج**" وأسألك أن تشاركنا هذا الحفل ، وقد دعوت إليه كل من كان حاضرا في تلك الليلة المشؤومة.. آل "**فاراداي**" ، و"**أنتوني براون**" و "**روث**" ، و "**أيريس**" هذا فيما عداي .

– وما خطتك لهذا الحفل ؟

– هذا هو سري الذي أحتفظ به . وقد أفسد بإذاعتي له ما خططته لتلك الدعوة .. بما في ذلك إذاعة السر لك . إنني أريد حضورك بذهن صاف لترى ما يجري .

– إن هذه النظريات المسرحية المستمدة من الكتب لا تروقني . عليك أن تذهب إلى الشرطة ولا يمكن أن يفوقها تدبير ما . إن رجالها قد ألفوا معالجة مثل هذه المشكلات . إن معالجة الجريمة من اختصاص المحترفين وليس الهواة .

– وهذا هو السبب الذي أسألك من أجله أن تكون موجودا . إذ إنك لست من الهواة.

– يا صديقي العزيز . ألأني قد وفقت في عملي بالمخابرات الحربية تسألني ذلك ؟ ولعلك تقترح علي أن أقوم بعملي في الخفاء ؟

– هذا ضروري .

– إنني جد آسف . وأرفض العمل باقتراحك . لأن خطتك لا تحوز رضائي، ولن أكون طرفا فيها .. "**جورج**" ، أرجو أن تعمل بمشورتي وتعدل عنها .

– إنني لن أعدل عنها . لقد أعددت للأمر عدته .

– يجب ألا يبلغ بك العناد هذا الحد . إنني خبير بمثل هذه الخطط وبما تسفر عنه . إن الفكرة لا تعجبني ، وأعتقد أن خطتك لن تؤدي إلى ما تصبو إليه. وقد تكون خطرة .. هل تبادر إلى ذهنك شيء من هذا القبيل ؟

– إن خطورتها ستكون بالنسبة لغيري .

– إنك لا تدري ماذا أنت فاعل . حسنا ، لقد حذرتك وبصرتك بالعواقب . ولآخر مرة أتوسل إليك أن تعدل عن هذه الفكرة الملتوية .

غير أن "**جورج بارتون**" لم يفعل أكثر من أن يحرك رأسه نفيا في عناد .

- 13 -

كان صباح يوم أول تشرين الثاني (نوفمبر) ، صباحا مقبضا رطيبا ،وكانت غرفة الطعام ببيت ميدان "**فاستون**" مظلمة بحيث استدعى الأمر إضاءة أنوارها إبان ساعة الفطور .

وكانت "**أيريس**" ، بخلاف عادتها ، قد هبطت وجلست إلى المائدة شاحبة الوجه، بدلا من أن تتناول قهوتها وبعضا من الشطائر في غرفة نومها . وجلس "**جورج**" يتصفح صحيفة الصباح بيد عصبية وجلست أمامه في الناحية الأخرى من المائدة "**لوسيلا دريك**" تجفف الدموع المنهمرة من عينيها بمنديل في يدها :

– إنني أعرف أن ولدي سيؤذي نفسه . إنه شديد الحساسية .. وما كان ليقول إن الأمر بالنسبة له أمر حياة أو موت ما لم تكن هذه هي الحقيقة .

فعقب "**جورج**" على قولها ، قائلا في حدة :

– لا تراعي . لقد قلت لك إنني سأتولى هذا الأمر بعنايتي .

– أعرف ذلك . كما أعرف أنك رجل عطوف رحيم . غير أنني أشعر بأن مجرد التأخير في إجابة طلبه قد يؤدي إلى أوخم العواقب . إن ما تقوم به من تحريات قد يستغرق وقتا طويلا .

– كلا ، كلا ، لقد أصدرت أو امري بالإسراع في ذلك .

– إنه يقول : دون أي تأخير عن اليوم الثاني ، وباكر هو اليوم الثاني من الشهر . إنني لن أغفر لنفسي هذا التباطؤ في الاستجابة لطلبه ، إذا ما ألم به مكروه .

– اطمئني فلن يحدث له شيء يا "**لوسيلا**" ، أرجوك أن تتركي الأمر بين يدي .

وانبرت "**أيريس**" قائلة :

– لا تقلقي يا عمتي . إن "**جورج**" قادر على معالجة مثل هذه الأمور ومهما يكن من أمر ، فليست هذه أول مرة يتولى عنك شيئا من هذا القبيل .

– لقد كان هذا يوم أن وقع ولدي المسكين في شباك أصدقائه المحتالين ، وتمكنوا من خداعه .

ونهض "**جورج**" عن المائدة ، وتوجه إلى حيث تجلس السيدة " **دريك** " ، وربت

كتفيها قائلا :

– لا تبتئسي . سأسأل "**روث**" أن تتصل بهم برقيا .

وتبعته "**أيريس**" في أثناء انصرافه من الغرفة قائلة :

– "**جورج**" ألا ترى أنه ينبغي لنا أن نؤجل حفل الليلة ؟ إن العمة "**لوسيلا**" جد قلقة ، ويحسن بنا أن نقضي معها هذه الأمسية .

– نعم لا أرى ذلك ، بكل تأكيد ! لماذا ندع لمثل هذا المحتال أن يعكر علينا صفو حياتنا؟ إن الأمر لا يعدو أن يكون محاولة لا بتزاز المال بوسيلة أو بأخرى. إن الأمر لو ترك لي وكان لي أن أتصرف بما يوحيه إليّ ضميري ، لما كنت قد بعثت إليه بنسا واحدا .

– إن العمة "**لوسيلا**" ما كانت لتوافق على شيء من هذا القبيل .

– إن "**لوسيلا**" امرأة متناهية الحمق – كما كانت دائما . إن هؤلاء النساء ممن يرزقن بأطفال بعد سن الأربعين لا يكن في كامل وعيهن . وإنهن ليدللن أطفالهن من المهد إلى اللحد بالاستجابة إلى كل رغباتهم . لقد كان "**فيكتور**" هذا بحاجة إلى أن يترك وشأنه لمعالجة ما يدعيه من مأزق تردى فيه .

– إنني سأقوم بعمل ما من شأنه أن يهدئ من لوعة "**لوسيلا**" بحيث تأوي إلى فراشها سعيدة راضية . فإذا لم يتحقق هذا ، فسنقوم باصطحابها .

– كلا ، إنها لا تحب التردد على المطاعم . وهي تكره هذا الجو الخانق برائحة الدخان المتصاعد من سجائر الحاضرين .

– أعرف ذلك . هيا ، ولتعملي على ترضيتها ، وقولي لها إن كل شيء سيكون على ما يرام .

وواصل طريقه إلى باب الخروج . وعادت "**أيريس**" أدراجها إلى غرفة الطعام. وسمعت وهي في طريقها إلى المائدة رنين جرس التليفون فتوجهت إليه ورفعت السماعة قائلة :

– هاللو ، من ؟

وتهلل وجهها بشرا وهي تقول :

– **أنتوني**" !

– " **أنتوني** " بلحمه ودمه . لقد اتصلت بك تليفونيا ولكنني لم أكن حسن الحظ. هل كنت منهمكة في الإعداد للأمر مع "**جورج**" ؟

– ماذا تعني ؟

– حسنا ، إن "**جورج**" كان معنيا بتوجيه الدعوة إلى حضور حفل الليلة ، بخلاف ما عرف عنه . وقد ألح عليّ بضرورة الحضور ، ولقد تبادر إلى ذهني أن هذا قد يكون نتيجة

لتدبيرك هذه الدعوة ، وهذا الإلحاح من جانبه عليّ في ضرورة تلبيتها .

– " كلا ، كلا .. لا علاقة لي بهذه الدعوة .

– " ياله من تغيير طارئ ؟"

– ليس الأمر كما قد يخيل إليك . إنه ...

– هاللو .. أين أنت ؟

– إنني هنا ، معك على الخط .

– لقد كنت بسبيل أن تقولي شيئا . ما خطبك يا عزيزتي ؟ إنني أسمع تردد أنفاسك خلال التليفون. هل من جديد ؟

– كلا .. لا شيء . سأكون على ما يرام غدا . إن كل شيء سيكون على ما يرام في الغد .

– " "**أيريس**" .. ماذا دهاك ؟

– كلا ، لا شيء . لا يمكنني أن أصارحك بشيء .. إنني مقيدة بوعدي ، هل فهمت؟

– بل يجب أن تصارحيني بكل شيء .

– كلا . في الحق إنني لا أستطيع ذلك . "**أنتوني**" ، هل لك أن تصارحني بشيء ؟

– إذا ما كان هذا في استطاعتي .

– هل كانت لك علاقة حب بـ "**روز ماري**" ؟

– إذن فهذا هو السر . نعم لقد كنت أحب "**روز ماري**". وذات يوم كنت أتجاذب معها أطراف الحديث ورأيتك تهبطين الدرج .. وما إن وقع نظري عليك حتى تبدد كل شعور في نفسي نحوها ، ولم أعد أرى غير صورتك ماثلة أمام عيني، راسخة في ذهني . وهذا هو الحق الصراح مجردا عن كل زيف أومداهنة .لا تشغلي نفسك بمثل هذا الأمر. لقد كان "**روميو**" يحب "**روزالند**" قبل أن يرى "**جولييت**" التي استحوذت على قلبه ، ونسي ما عداها من نساء العالم .

– شكرا . إنني لجد سعيدة بسماعي هذا منك .

– سأراك الليلة . إنه يوم عيد ميلادك ، أليس كذلك ؟

– في الواقع إنه لن يحل قبل أسبوع .. وإن كانت حفلة الليلة مقامة لهذه المناسبة .

– لا أراك جد متحمسة لهذا الحفل .

– نعم ، إن ما تقوله هو الواقع .

– أظن أن "**جورج**" لم يخطئه التقدير .. وإن كنت لا أحبذ فكرة إقامة الحفل في نفس

المكان الذي . .

– لقد ترددت على مطعم " **لوكسمبورج** " أكثر من مرة منذ . . حادث "**روز ماري**" . . إن المرء لا يمكن أن يتجنب هذا .

– كلا ، فليكن . سأحمل إليك معي هدية عيد ميلادك . أرجو أن تحوز إعجابك . إلى اللقاء .

وبعد أن أعادت "**أيريس**" السماعة إلى مكانها ، قفلت راجعة إلى غرفة الطعام، حيث تتولى أمر "**لوسيلا دريك**" وتعمل على تهدئة خاطرها .

وما إن وصل "**جورج**" إلى مقر عمله ، حتى أرسل في طلب "**روث ليسنج**" وانبسطت أساريره فور دخولها مكتبه ، وإقبالها عليه مبتسمة أنيقة كعادتها .

– صباح الخير .

– أسعدت صباحا . "**روث**" ، إنها المتاعب مرة أخرى . اطلعي على هذه .

ومدت يدها إلى البرقية التي كان ممسكا بها . وبعد أن ألقت نظرة عليها قالت في دهشة :

– أهو "**فيكتور دريك**" ثانية ؟

– نعم . ألا لعنة الله عليه .

وارتج القول عليها ، وهي تمسك بالبرقية في يدها و تذكرته حين قال لها ضاحكا: "**يالك** من فتاة كان من المفترض أن تتزوج من رئيسها . . " ووقفت مستغرقة في التفكير ، وكأن ذلك كان بالأمس .

وأيقظها صوت "**جورج**" من تأملاتها :

– ألم يكن ذلك منذ عام مضى ، حينما أودعناه الباخرة التي أبحر بها إلى خارج البلاد؟

وبعد برهة قصيرة أجابته :

– نعم ، أعتقد ذلك . في الواقع إن هذا كان في يوم 29 تشرين الأول (أكتوبر) .

– يالك من فتاة ! يالها من ذاكرة !

وكانت ترى فيما بينها وبين نفسها ، أن لديها من الأسباب التي لا يعرفها ما يدعوها إلى عدم نسيان هذا اليوم ، وأنها لتذكر هذا اليوم الذي أدركت فيه أنها تكره زوجة مخدومها إثر سماعها لصوتها عبر الخط التليفوني وهي تتحدث إليها في تراخ واستهتار .

وسمعت "**جورج**" يقول لها:

– أعتقد أننا كنا موفقين ، وأنه كان من حسن حظنا أن طالت مدة بقائه في الخارج .

على الرغم من أن هذا كلفنا خمسين جنيها في الأسبوع الماضي .

– ولكن ثلاثمائة جنيه ليست بالمبلغ الهين .

– نعم . غير أننا لن نكون مضطرين إلى دفع هذا المبلغ ؛ إذ سنقوم بتحريات كما هو الحال في كل مرة .

– قد يكون من الأفضل أن نتصل بالسيد "**أوجلفي**" .

وكان "**ألكسندر أوجلفي**" هو وكيلهم في "**بوينس أيريس**" وهو اسكتلندي ، حاذق كفء .

– نعم . أبرقي إليه فورا . إن والدة "**فيكت ور**" في حالة يرثى لها ولقد تركتها في المنزل في حالة هستيرية ، لم تصغ معها لما حاولت تهدئة خاطرها ، وإني لا أعرف كيف سنتركها بمفردها في المنزل الليلة؟

– هل تحب أن أتخلف معها عن حضور الحفل؟!

– كلا . . كلا . . فمن المتعين حضورك هذا الحفل . . إني سأكون بحاجة إليك . إنني شاكر لك هذا العرض ونكرانك لذاتك .

– ألا يمكن أن نتصل تليفونيا بالسيد "**أوجلفي**" ؟ فعلينا أن نعجل باستيضاح الأمر منه الليلة .

– إنها لفكرة صائبة .

– سأقوم بهذه المحاولة فورا . وفي هدوء، استأذنت في الانصراف وانكب "**جورج**" على مراجعة ما لديه من رسائل . وبعد أن فرغ مما لديه من أعمال مهمة، غادر مكتبه، في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف مستقلا سيارة أجرة إلى مطعم "**لوكسمبورج**" .

– واستقبله "**شارل**" ،رئيس السقاة المحبوب، محييا في احترام .

سعدت صباحًا يا سيدي .

– سعدت صباحا . "**شارل**" هل قمت بإعداد كل شيء لحفل الليلة؟

– كل شيء، بناء على تعليماتك وأوامرك .

– المائدة بعينها؟

– نعم يا سيدي . المائدة بذاتها .

– حسنًا . . وهل أعددت المقعد الإضافي؟

– كل شيء معد طبقا لتوجيهاتك .

– وهل أعددت الزهور الحمراء؟

– نعم يا سيدي . وإن كنت أرى أنها لا تليق بالمقام . أما كان من الأفضل إضافة بعض

الكريزانتيم؟

– كلا، كلا، تلك الزهور التي أمرت بها فقط، زهور "**الروز ماري**".

– فليكن، يا سيدي. هل تحب أن تطلع على قائمة الطعام؟ وأمر "**شارل**"، الساقي "**جوزيف**"، بعرض قائمة الطعام على السيد "**بارتون**". ألقى الداعي على القائمة نظرة عابرة ثم أعادها بالتالي إلى "**شارل**" الذي قام بمرافقته إلى الباب الخارجي وهو يشكر له عودته إلى التردد على هذا المطعم، على الرغم من ظروف العام السابق، وقال له "**جورج**" معقبا:

– علينا أن ننسى الماضي.. إن الإنسان لا يمكن أن يعيش في الماضي، إن كل شيء مضى وانقضى.

– هذا صحيح يا سيدي. إنك تعرف مدى فجيعتنا لكل ما كان. وإني لأرجو أن نوفق في إرضاء الآنسة في هذه المناسبة السعيدة.. مناسبة عيد ميلادها، وأن يتم كل شيء على ما يرام وكما تبغي. وغادر "**جورج**" المطعم وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا.. ولم يكن يعنيه من أمر مطعم "**لوكسمبورج**" أن يختاره القدر ليكون مسرحا لتلك الأحداث المفجعة. ولم يكن ليضع نصب عينيه سوى تلك الفكرة التي تأخذ بمجامع تفكيره وتستحوذ على كل اهتمامه. وبعد أن تناول طعام الغداء بناديه الخاص. توجه لحضور اجتماع المديرين. وفي طريق عودته إلى محل عمله، اتصل تليفونيا برقم بناحية "**مايدافال**"، من تليفون عمومي. وترك الكبينة راضيا عن نفسه؛ لأن كل شيء كان يسير طبقا للتوقيت المقرر. وما إن استقر بمكتبه حتى أقبلت عليه "**روث**" قائلة:

– موضوع "**فيكتور دريك**".

– نعم؟ ماذا هناك؟

– إنها أخبار سيئة. ويرجح أن في الأمر اتهاما جنائيا. لقد امتدت يده إلى أموال الشركة لفترة لا يستهان بها.

– أو هذا ما قاله لك "**أوجلفي**"؟

– نعم. لقد اتصلت به تليفونيا كما اتفقنا. وقد اتصل بي منذ عشر دقائق. وقال إن "**فيكتور**" في وضع لا يحسد عليه.

– هذا طبيعي.

– ولقد علمت منه أن التهمة لن توجه إلى "**فيكتور**" في حالة سداد المبلغ المختلس. أما المبلغ المختلس فهو 165 جنيها.

– بما يعني أن "**فيكتور**" كان يأمل في اختلاس 135 جنيها منا؟ حتى في هذه

الظروف، فإنه لا ينسى نفسه!

– أخشى أن يكون هذا هو الواقع.

– حسنا، لقد جلونا حقيقة الأمر.

– لقد سألت السيد "**أوجلفي**" أن يتخذ اللازم فورا. ويعمل على تسوية الأمر. ترى هل أحسنت صنعا؟

– في الحق إنني إذا تركت لنفسي، لكان بودي أن أرى هذا الرجل المستهتر في السجن، غير أنني أجد لزاما عليّ أن أقدر ظروف والدته. إنها امرأة حمقاء.. ولكنها عزيزة علينا.

– إنك لرجل كريم خيّر.

– أنا؟

– أعتقد أنك خير من قابلت من الرجال في هذا العالم. وبدا على "**جورج بارتون**" أن هذا المديح قد ترك أثره في نفسه، وتطلع إليها مسرورا بما سمع، ثم مد يده، ليمسك بيدها ويطبع عليها قبلة شكر وإعجاب وهو يقول لها:

– إنك أعز صديقة لي، لست أدري ماذا يكون من أمري بدونك؟ ووقفا، كل منهما في مواجهة الآخر، وقد دار بخلد "**روث**" : "لقد كان من الممكن أن أسعد بزواجي بهذا الرجل، وأن أجعل منه رجلا سعيدا، ما لم ..". أما هو، فكان ما يدور بخلده: "ترى هل أعمل بمشورة "**ريس**"؟ وهل أعدل عن كل ما اعتزمت؟ ألا يمكن أن يكون في العمل بهذه المشورة الخير كل الخير لي؟". وتأرجح ذهنه بين أي من السبيلين يسلك، ووقف مترددا وهو في حيرة من أمره، إلى أن قال أخيرا:

– في الساعة التاسعة والنصف بمطعم "**لوكسمبورج**".

- 14 -

لقد حضروا جميعا.. وتنفس "**جورج**" الصعداء، فقد كان يخشى أن يتخلف أحد من المدعوين. غير أنهم قد استجابوا جميعا لدعوته. فها هو ذا "**ستيفن فاراداي**" بقامته المديدة وهيئته المهيبة يصطحب زوجته "**ساندرا**" التي أقبلت في رداء من المخمل الأسود، تزين جيدها بعقد من الزمرد. وها هي "**روث**" في ردائها الأسود البسيط ولم تتزين سوى بقرط في أذنها، وقد بدت بهذه البساطة أجمل من غيرها ممن حضرن من النساء. وجلست "**أيريس**" إلى جانبه صامتة ساكنة على غير عادتها وكانت هي الوحيدة التي تشعر بأن هذا الحفل ليس بالحفل العادي. وكانت تبدو على الرغم من شحوبها، جميلة بهية الطلعة في ثوبها الأخضر البسيط. وكان "**أنتوني براون**" آخر

الحضور وقد أقبل في خطوات متئدة أشبه ما تكون بخطوات فهد متحفز.. كما تبادر إلى ذهن "**جورج**". لقد كانوا جميعا هناك.. في الفخ الذي أعده لهم "**جورج**" والآن يمكن للتمثيلية أن تتم فصولها.. وبعد أن دار الخدم بكؤوس الشراب، وقام المدعوون إلى حلبة الرقص، أقبل "**شارل**" يدعوهم إلى مائدة الطعام، التي كانت في الطرف الآخر من القاعة، في الوضع الذي أمر به "**جورج بارتون**" وجلس كل منهم في المقعد الذي عينه له "**جورج**":

– "**ساندرا**"، هل لك أن تجلسي عن يميني؟ وأنت يا "**براون**" اجلس في المقعد المجاور لها. "**أيريس**" إنها حفلتك. ومن المتعين أن تجلسي بجواري، وأنت يا "**فاراداي**"، تجلس في المقعد الذي يلي مقعدها.. "**روث**"، إن مقعدك من بعده. ثم توقف.. حيث كان ثمة مقعد خال بين مقعد "**روث**" ومقعد "**أنتوني**".. فقد كانت المائدة معدة لسبعة مدعوين.

– إن صديقي "**ريس**" قد يتأخر عن الحضور قليلا. ولقد علمت منه أنه لا حاجة بنا لانتظاره غير أنه سيحضر بعد قليل. وبودي أن أقدمه إليكم .. فهو رجل ممتاز، سافر إلى كثير من بلاد العالم، ولا تخلو جعبته من طرائف المعلومات. وكانت "**أيريس**" تشعر بشيء من الغضب، وهي تتخذ مقعدها حسبما أشار به "**جورج**". وإنها لتدرك أن "**جورج**" قد اختار لها هذا المقعد عن عمد.. هذا المقعد الذي يباعد بينها وبين "**أنتوني**". وكان من الطبيعي أن تجلس "**روث**" في مكانها بجوار مضيفها. وهذا كله يعني أن "**جورج**" ما زال لا يحب "**أنتوني**" ولا يثق به. واختلست نظرة إلى "**أنتوني** عبر المائدة، لتجده مقطب الجبين. ولم يبادلها "**أنتوني**" نظرتها، بل كان يتأمل المقعد الخالي بجواره وهو يقول:

– كان من حسن التوفيق أن ندعو لحضور الحفل رجلا آخر؛ لأنني قد أضطر إلى الانصراف مبكرا. وابتسم "**جورج**" قائلاً:

– هل تلاحقك الأعمال حتى في أوقات لهوك؟ إنك أصغر سنا من أن يصرفك عملك عن ساعات لهوك، إنني لم أعرف بعد ما هي طبيعة عملك.

– إن عملي يتصل بالجريمة المنظمة. تلك هي إجابتي عندما أسأل عن ذلك. إنه يتصل بالجرائم المشروعة. وضحكت "**ساندرا فاراداي**" وهي تقول:

– إن عملك يتصل بشؤون التسليح، أليس كذلك؟ إن المعنيين بمثل هذا العمل يرى فيهم الناس أنهم أعداء للسلم في أيامنا هذه. ورأت "**أيريس**" "**أنتوني**" وقد اتسعت عيناه دهشة وهو يقول:

– السيدة "**ألكسندرا**"، يجب ألا تكشفي أمري، ما كل هذا إلا مجرد أقاويل، إن جواسيس الدول الأجنبية الكبرى منتشرون في كل مكان. لا تلقي القول هكذا على عواهنه. ونهض "**ستيفن**" يدعو "**أيريس**" إلى مراقصته. وحذا حذوه سائر المدعوين ودار الرقص بينهم، إلى أن جاء دور مراقصة "**أنتوني**" لـ"**أيريس**"، التي قالت له:

– لقد تعمد "**جورج**" ألا أجلس بجوارك.

– لقد أحسن صنعا. لقد أتاح لي بذلك أن أملأ عيني منك عبر المائدة.

– هل أنت مضطر إلى الانصراف مبكرا؟

– ربما. هل كنت تعلمين بأمر حضور العميد "**ريس**"؟

– كلا، لم يكن لدي أية فكرة عن هذا.

– عجبا!

– هل لك سابق معرفة به؟ آه! نعم، لقد قلت ذلك حينما التقينا أخيراً. أي طراز من الرجال هو؟

– من يدري؟

وعادا أدراجهما إلى المائدة. وعاد جو التوتر، الذي بدأ يسترخي بقيام الجميع إلى حلبة الرقص ليشتد من جديد، وبدا أن أعصاب الجالسين إلى المائدة كانت مشدودة فيما عدا أعصاب المضيف الذي كان يبدو وكأنه لا يعنيه ما يخيم على الجو من توتر ووجوم. ورأته "**أيريس**" يلقي نظرة على ساعته. وفجأة بدأ دق الطبول، وخفتت الأضواء وظهر على المسرح ثلاثة رجال وثلاث فتيات، اشتركوا في الرقص، ثم تبعهم رجل يقلد أصوات القطارات والطائرات وخوار البقر. وقوبل هذا الرجل من الجميع بتصفيق حاد وتتالت بعده العروض الراقصة، ثم أضيئت الأنوار بعد عرض فرقة "**لوكسمبورج**" السداسية. وفي الوقت نفسه، سرت موجة من الاسترخاء بين المدعوين حول المائدة، وكأنهم كانوا يتوقعون حدوث أمر في قرارة أنفسهم، وهذا الأمر لم يحدث. وكأنهم قد عادت بهم الذكرى وهم جالسون من قبل إطفاء الأنوار إلى ما اقترن بذلك من اكتشافهم لتلك الجثة التي رقدت مسجاة فوق المائدة. وكأنهم بعد إعادة الإضاءة قد تحرروا من هذا الماضي الذي كان يجثم فوق صدورهم. والتفتت "**ساندرا**" إلى "**أنتوني**". وهمس "**ستيفن**" بحديث إلى "**أيريس**"، اشتركت فيه "**روث**". أما "**جورج**" فكان الوحيد الذي ظل ساكنا في مقعده يحدق النظر إلى هذا المقعد الخالي في مواجهته. ولكزته "**أيريس**" توقظه من تأملاته وتدعوه إلى مراقصتها، وقبل أن يستجيب إليها رفع كأسه قائلاً:

– سنشرب في نخبك .. في نخب الفتاة التي تحتفل بعيد ميلادها الليلة. إننا ندعو

جميعا لـ "**أيريس مارل**" بطول العمر. وشرب الجميع النخب وهم يضحكون، ثم نهضوا جميعا إلى حلبة الرقص أزواجا.. "**جورج**" مع "**أيريس**" ، و "**ستيفن**" مع "**روث**" ، و "**أنتوني**" مع "**ساندرا**" . ثم عادوا أدراجهم إلى مقاعدهم حول المائدة يتضاحكون ويتجاذبون أطراف الحديث، واتكأ "**جورج**" بمرفقيه فجأة فوق المائدة قائلاً:

– لدي ما أريد أن أسألكم إياه.. منذ عام كنا هنا في سهرة انتهت نهاية مفجعة. ولست أريد أن أثير ذكريات هذا الماضي المؤسف ، لكنني لا أريد أيضا، أن أشعر بأن "**روز ماري**" قد أصبحت نسيا منسيا. إنني أسألكم أن نشرب كأسا في نخب ذكراها لمجرد الذكرى فقط! ورفع كأسه، وحذا الجميع حذوه، وقال "**جورج**" :

– نخب "**روز ماري**" : نخب ذكراها. وأفرغ الجميع ما في كؤوسهم. وما إن أعادوا كؤوسهم إلى المائدة.. حتى ترنح "**جورج**" ثم سقط فوق مقعده، وقد أطبقت يداه على عنقه، واحتقن وجهه وهو يحاول التقاط أنفاسه. وقد استغرقت وفاته دقيقة ونصف الدقيقة فقط.

- 15 -

اجتاز العميد "**ريس**" باب إدارة "**اسكتلانديارد**" ، وقد بدا عليه ما يتفق وما هو مقبل عليه بعد بضع دقائق من أمر جلل. وبعد قليل كان يصافح كبير المفتشين، "**كيمب**" الذي استقبله في غرفته. وكان باديا أن للرجلين معرفة سابقة ببعضهما. وبعد أن استقر بهما المقام، بادر "**كيمب**" ضيفه قائلاً:

– لقد أحسنت باتصالك بنا تليفونيا . إنا سنكون بحاجة إلى كل معاونة في هذه القضية. فقال له العميد "**ريس**" :

– وإنه ليبدو لي أنها قد أصبحت بين يد قادرة أمينة. ولم يعقب "**كيمب**" بشيء على هذا الإطراء، بل تلقاه كحقيقة واقعة، من أن مثل هذه القضايا الدقيقة ذات الأهمية القصوى، يجب أن يعهد بها إليه، وقال جادا: إنها تتصل بآل "**كيدر منستر**" . وهذا يعني أن الأمر يستلزم عناية كبيرة وأن يتوخى من يعالجه الحذر في كل خطوة من خطواته. وأومأ "**ريس**" برأسه دليل الموافقة. وكان قد التقى بالسيدة "**ألكسندرا فاراداي**" أكثر من مرة ورأى فيها أنها هادئة الطبع، تقدر حقيقة مركزها الاجتماعي وأبعد ما تكون عن الرغبة في الإعلان عن نفسها، شديدة الكراهية لأن يتناول الناس شؤونها بصفة عامة. وكان قد استمع إليها وهي تخطب الناس في بعض المناسبات دون أن تلجأ إلى استعمال الألفاظ المنمقة، بل كانت تعني بأن توضح للجماهير ما تريد قوله في كفاية

ومقدرة، تدل على إلمامها بالموضوع الذي تخطبهم فيه، وأنها تحيط بكل ناحية من نواحيه. وهي من هذا الطراز من النساء اللائي تعد حياتهن العامة ملكا للجمهور، ولا تخلو صحيفة من الحديث عن نشاطها. وأما عن حياتها الخاصة، فلم تكن موضوعا لحديث ما لتناوله من قريب أو من بعيد. ومع ذلك، وكما يرى العميد "**ريس**"، فإن الأمر لا يخلو من أن لمثل هذه المرأة حياة خاصة وأن مركزها الاجتماعي وحياتها العامة لا تجردها من مشاعر المرأة.. من يأس، وحب، وألم، وغيرة. وهذا الطراز من النساء يمكن أن يفقد السيطرة على نفسه، ويخاطر بمركزه الاجتماعي، إذا ما تعرض لما يفقده توازنه من عاطفة جامحة. وبدأ العميد "**ريس**" الحديث في الموضوع قائلاً:

– إذا افترضنا أنها قد ارتكبت هذه الجريمة، فما رأيك؟

– السيدة "**ألكسندرا**"؟ هل تعتقد أنها ترتكب مثل هذا الأمر؟

– ليست لدي أية فكرة. ولكن، لنفترض ذلك. أو قد يكون الفاعل هو زوجها.. الذي ينتمي لأسرة "**كيدر منستر**".

– إذا ما صح أن أيا منهما قد اقترف هذه الجريمة. فإننا سنبذل أقصى ما في وسعنا لينال جزاءه، ويعدم شنقا، وإنك خير من يعرف ذلك. إن هذه البلاد لا تخشى القتلة أو تحابي أحدا منهم، غير أن الأمر يتطلب منا أن نضع أيدينا على الدليل القاطع الذي لا يأتيه الباطل من أية ناحية.

– وهذا ما سيطالبنا به، في إصرار، النائب العام. والآن فلننتقل إلى ظروف القضية. لقد مات "**جورج بارتون**" مسموما.. بسم "السيانيد" كما حدث لزوجته منذ عام مضى. لقد قلت إنك كنت بالمطعم حينذاك؟

– نعم. كان "**بارتون**" قد سألني أن أشترك في الحفل وكنت قد رفضت؛ لأنني لم أكن موافقا على ما كان يعد، وقد عارضته في ذلك معارضة شديدة، وأشرت عليه ملحا، إذا ما كان يشك في ظروف وفاة زوجته، أن يذهب إلى أولي الأمر.. إليكم.

– وهذا ما كان يجب أن يفعله.

– إلا أنه، أصر على وجهة نظره.. ألا وهي إعداد فخ للقاتل. ولكنه لم يصارحني بشيء عن طبيعة هذا الفخ ولم أكن مرتاحا لوجهة نظره هذه.. بحيث توجهت إلى مطعم "**لوكسمبورج**" الليلة الماضية لمتابعة الأحداث. وكانت مائدتي – بالضرورة – تبعد عن مائدة الدعوة.. فليس في وسعي أن أخبرك بشيء له قيمته؛ إذ لم تقع عيني على ما قد يثير شكوكي، ولم أر أحدا يقترب من مائدتهم، بخلاف المدعوين، بالتأكيد، سوى الخدم.

– هذا يضيق من نطاق بحثنا، أليس كذلك؟ لابد وأن يكون الفاعل أحد المدعوين أو أحد الخدم. وقد علمت بأن "**جوزيف بالسانو**"، الساقي، هو الذي كان القائم على خدمتهم. ولقد استدعيته صباح اليوم.. ظنا مني أنك قد تحب أن تلتقي به.. غير أنني لا أعتقد بأن له يدا فيما كان. إن له في خدمة هذا المطعم اثنتي عشرة سنة.. وكان حسن السمعة، وهو متزوج وله ثلاثة أطفال وليس في ماضيه ما يشينه وهو مرضي عنه من جميع العملاء.

– الأمر الذي يتركنا نتفرغ للضيوف.

– نعم. وهم بعينهم من كانوا موجودين حينما.. قضت السيدة "**بارتون**" نحبها.

– "**كيمب**"، وما هو رأيك في ذاك الحادث؟

– لقد وضعته موضع الاعتبار؛ لأنه وبدون أدنى شك، يتصل بالحادث الجديد. وقد عهدت بذلك إلى المفتش "**آدمز**".. ولم يكن الحادث، كما قيل عنه بصفة قطعية، حادث انتحار، غير أن القرار صدر بذلك، لأن الانتحار كان الحل الأكثر ترجيحا في حالة عدم وجود دليل قاطع على أنه كان قتلا. ولم يكن في وسع القائمين بالأمر أن يفعلوا غير ذلك. إن لدينا الكثير من هذه القضايا كما تعلم. وهي مقيدة على أنها انتحار، مع وضع علامة استفهام بجوارها. إن الجمهور لا يعرف شيئا عن علامة الاستفهام هذه.. إنها علامة خاصة بنا تحكي ما يدور في أذهاننا، وقد نقوم من حين إلى آخر – إذا ما استجد في الأمر شيء – بتقصي الحقائق، في هدوء ودون أن يعلم بهذا أحد ما. وقد نوفق أحيانا في تحرياتنا.. وقد لا نوفق، وهذا هو ما كان من موقفنا بالنسبة إلى هذه القضية.

– على الأقل حتى الآن.

– نعم، حتى الآن، إن أحدا ما قد أثار الأمر من جديد لدى السيد "**بارتون**" وكتب إليه بأن زوجته قد قتلت. وقد رأى الرجل أن ينفرد بتحرياته وقد يكون خُيل إلى القاتل أن الرجل يجد في أثره، الأمر الذي حدا به أن يتخلص منه بقتله. هذا ما يبدو لي من منطق الحوادث وأرجو أن تكون موافقا على وجهة نظري.

– نعم.. إنه تسلسل منطقي سليم. والله وحده يعلم ماذا كان من أمر هذا الفخ الذي أعده "**بارتون**".. ولقد لاحظت أنه كان من بين مقاعد المائدة مقعد خالٍ، وفي اعتقادي أن هذا المقعد هو الذي أشاع الخوف في نفس المجرم، بحيث لم يستطع أن ينتظر إلى تلك اللحظة التي يطبق الفخ فيها أنيابه عليه.

– حسنا. إن لدينا خمسة أفراد تحوم حولهم الشبهات وعلينا أن نبدأ أولا بقضية السيدة "**بارتون**".

– يبدو لي أنك قطعت برأي في تلك القضية، بأنها لم تكن انتحارا.

– إن حادث القتل الجديد يدل دلالة واضحة على أن تلك القضية لم تكن كذلك، على الرغم مما قدم من أدلة لتأكيد نظرية الانتحار. وهذه الأدلة قد رأى فيها المحقق ما يكفي لإصدار قراره الذي تأسس على تقرير الطبيب الشرعي، على الرسالة التي كانت موجهة من المتوفاة إلى شقيقتها بشأن توزيع حاجاتها الشخصية.. الأمر الذي دل على أن فكرة الانتحار كانت تراود ذهن المتوفاة. وقد قيل عنها بأنها كانت ضحية ما ألم بها من انقباض عقب إصابتها بـ"**الإنفلونزا**" وهذا صحيح.. ولكنه غير صحيح إذا ما أرجعنا سببه إلى العلاقات الغرامية، على أساس أن المنتحرة سيدة وليست رجلا.

– إذن فأنت تعرف أنه كان للسيدة "**بارتون**" علاقة غرامية؟

– نعم، فقد اجتمعت لدينا الأدلة على ذلك في حينه. ولم نلق عناء كبيرا في إماطة اللثام عن هذه العلاقة.

– أهو "**ستيفن فاراداي**"؟

– نعم، لقد كانا يلتقيان في شقة صغيرة بالقرب من طريق "**أيريل كورت**"، وقد دامت هذه العلاقة أكثر من ستة أشهر. ويرجح أن الخلاف قد دب بينهما.. أو قل إنه قد تملكه الملل منها.. ومهما يكن من أمر، فلم تكن هي بالمرأة الأولى التي تنتحر من نوبة من نوبات اليأس القاتل. هذا ما بدا لنا لأول وهلة كما قلت لك قبل الجريمة الثانية.

– وهل كانت زوجته على علم بهذه العلاقة؟

– إنها لم تكن تعرف شيئا عنها بناء على ما لدينا من معلومات.

– وقد تكون علمت بأمر هذه العلاقة، غير أنها ليست بالمرأة التي تكشف بسهولة عما في قلبها أو قل عما تعتقد أنه يمس كرامتها كامرأة.

– ليس هذا بمستبعد. فلنعد الاثنين مسؤولين عن اقتراف هذا الجرم – أعني أيا منهما – هي بدافع الغيرة، وهو بدافع المحافظة على مستقبله. إن الطلاق بين أفراد هذه الطبقة يعني الدمار لحياتهما العامة، أكثر منه لحياتهما الخاصة.

– وما رأيك في موقف السكرتيرة من هذا الحادث؟

– لا مانع، بحسب ظروفها، من توجيه الاتهام إليها، لقد كانت وثيقة الصلة بـ"**جورج بارتون**"، وثمة فكرة بأنها كانت شديدة التعلق به. ولقد سمعنا الكثير من موظفات مكتبه عن طريقة معاملة "**بارتون**" لـ"**روث ليسنج**" وترديده على سمعها من آن لآخر، وهو ممسك بيدها بين يديه، أنه لا يمكنه أن يستغني عنها وقد، كان آخر مشهد من هذا القبيل بالأمس فقط. ثم لديك الشقيقة التي آلت إليها ثروة السيدة "**بارتون**" الطائلة..

وهذا أمر أرجو أن تضعه نصب عينيك، ثم لديك صديق السيدة "**بارتون**" الآخر. إن التهمة شائعة، وكل من الحاضرين لديه دوافعه.

– إنني أتوق لأن أسمع منك ما تعرفه عن هذا الصديق.

– إن ما أعرفه عنه ليس بالكثير.. وإن كان ليس في مصلحته. إن جواز سفره سليم. وهو مواطن أمريكي لم نستطع أن نهتدي إلى شيء يشينه، وقد قدم إلى "**إنجلترا**" وأقام بفندق "**كلاريدج**" وعمل على الاتصال بالأمير "**ديوزبيري**" والتقرب إليه.

– هل هو موضع ثقتكم؟

– ليس في وسعي أن أقطع برأي للإجابة عن سؤالك هذا، غير أن "**ديوزبيري**" قد أعجب به، وسأله أن يطيل إقامته، وكان هذا في ظروف دقيقة لها اعتبارها.

– إن علاقتهما تتصل بشؤون التسليح. ولا تنس ما أثير حول موضوع المحاكمات الخاصة بصفقة الدبابات الجديدة.

– لقد قدم "**براون**" نفسه على أنه من المعنيين بشؤون التسليح. وقد كان محل ثقة "**ديوزبيري**" ومن يحيطون به بحيث اطلع على الكثير مما لم يطلع عليه غيره.. ثم كان ما كان من تلك المتاعب التي سمعنا عنها في مؤسسات "**ديوزبيري**"، بعد أن ظهر "**براون**" على مسرح هذه النواحي وتردد اسمه في الجهات المجاورة لها.

– إن السيد "**أنتوني براون**" شخص يثير الاهتمام.

– نعم، وهو ساحر جذاب، يأسر بحديثه ومسلكه كل من يتصل به.

– وما موقف السيدة "**بارتون**" منه؟ أو قل من هذه الأحداث؟

– إن "**جورج بارتون**" ليست له أية علاقة بعالم التسليح.

– إلا أنه يبدو أن العلاقة بين الآنسة "**بارتون**" وبين "**براون**" هذا كانت وثيقة. وربما يكون قد أفضى إليها بشيء عن حقيقة حياته. وإنك لتعرف يا سيدي العميد، ماذا يمكن لامرأة جميلة أن تحصل عليه من أي رجل. وأومأ "**ريس**" برأسه موافقا، وأخذ تصريحات كبير المفتشين مأخذ الجد من الناحية العملية واضعا في اعتباره أنه سبق أن كان رئيسا لمصلحة مقاومة الجاسوسية، وليس بصفته الحالية. وبعد فترة صمت لم تدم أكثر من دقيقتين انبرى العميد مستفسرا من "**كيمب**":

– هل اطلعت على الرسالتين اللتين تلقاهما "**جورج بارتون**" من قبل؟

– نعم. لقد عثرت عليهما في درج مكتبه بمنزله الليلة الماضية. أو قل إن الآنسة "**مارل**" هي التي قامت بتقديمهما إليّ.

– إن هاتين الرسالتين قد أثارتا اهتمامي. ما رأي الخبراء الفنيين فيهما؟

– إنهما من الورق الزهيد الثمن، ومحررتان بحبر عادي ولم يوجد بالرسالتين آثار لبصمات أصابع بخلاف بصمات أصابع "**جورج بارتون**" . و"**أيريس مارل**" .. أما الظرف فكما تعلم تداولته الكثير من الأيدي . ويقال إن أسلوبهما يدل على أن محررهما قد نال قسطا وافرا من التعليم، وأنه في صحة جيدة.

– قسط وافر من التعليم. إذن فهو ليس من الخدم.

– هذا هو المفترض.

– إن هذا ليثير نقطة جديدة.

– بما يعني أن ثمة شخصا آخر قد ساورته الشكوك أو لديه على الأقل ما أثار شكوكه من معلومات.

– وهو شخص لم يذهب بشكوكه إلى الشرطة. شخص آثر أن يثير الشك في نفس "**جورج**" ويكتفي بذلك. إن الموضوع ليزداد غموضا. وماذا عن السيانيد؟ هل عثرت على دليل يتصل به؟

– نعم. لقد عثرنا على ورقة بيضاء صغيرة بها آثار لهذا السم تحت المائدة. ولم نجد بها أي أثر لبصمات الأصابع.

– وهل لاحظ أحد ما شيئًا يدعو إلى الريبة في الليلة الماضية؟

– هذا هو في الواقع ما شرعت في التحري عنه اليوم. لقد حصلت من جميع الحاضرين بالأمس على موجز لأقوالهم، ثم توجهت إلى ميدان "**فاستون**" بصحبة الآنسة "**مارل**"؛ لتفتيش مكتب "**بارتون**" والاطلاع على ما يوجد به من أوراق. وسأعود اليوم لاستجوابهم جميعا استجوابا شاملا.. بما في ذلك من كانوا جالسين إلى المائدتين المجاورتين لمائدة المدعوين. وإليك بعض ما عثرت عليه من هذه الأوراق. ولقد استفسرت من رئيس الخدم عن شخصية الجالسين إلى هاتين المائدتين، وبالاطلاع على أسمائهم رجحت عدم وجود أية علاقة لهم بالحادث . علاوة على أنهم ليسوا من هؤلاء القوم الذين يعنون بمتابعة حركات الغير. ومهما يكن من أمر فلا ضير من استجوابهم. وسأبدأ الآن باستجواب الساقي "**جوزيف**"، وهو موجود هنا، وسأبعث في طلبه.

- 16 -

كان "**جوزيف بالسانو**"، رجلا في متوسط العمر، تبدو على وجهه ملامح الذكاء. وكان يتكلم الإنجليزية بطلاقة؛ لأنه أقام بالبلاد منذ أن كان في السادسة عشرة من عمره

علاوة على أنه كان متزوجا بسيدة إنجليزية. وكان "**كيمب**" يستجوبه في رفق على النهج التالي:

– والآن فلتصارحنا بما لديك من معلومات أكثر مما أجبت به بالأمس.

– إن هذا الحادث قد سبب لي غير قليل من الضيق. لقد كنت أنا القائم على خدمة هذه المائدة. وكنت من تولى صب الشراب في كؤوس المدعوين. فترى ماذا سيقول الناس عني؟ إن ثقتي بنفسي لن تقيد ألسنة الناس، كما تعرف ذلك يا سيدي. ولقد أشار عليّ السيد "**جولد شنين**" بأنه يحسن بي أن أتغيب عن عملي لمدة أسبوع.. حتى لا أكون هدفا لأسئلة الناس. كما كان هذا رأي السيد "**شارل**" الذي كان يشاركني ضيقي وانزعاجي.

– والآن، دعنا ننتقل إلى أحداث الليلة الماضية. أريد أن أسمع منك كل شيء عن الشراب الذي قدم إلى المدعوين.

– إنه من أجود أنواع الشراب، وأبهظها ثمنا، وكان هذا هو دأب السيد "**بارتون**" دائما في دعواته، أن يقدم إلى مدعويه أجود أنواع الطعام والشراب.

– وهل هو الذي انتقى أنواع الشراب؟

– أجل. لقد قام بذلك بالاتفاق مع "**شارل**".

– وماذا عن المقعد الخالي حول المائدة؟

– وهذا أيضا كان بناء على أمره. وقال لنا إنه معد لسيدة ستشغله في ساعة متأخرة من السهرة.

– وهل تعرف شيئًا عن شخصية هذه السيدة؟

– كلا، ليست لدي أية فكرة من عساها أن تكون. كل ما أعلمه عن هذا المقعد الخالي أنه كان معدا لسيدة ستشغله فيما بعد.

– فلنعد للحديث عن الشراب. ما عدد زجاجات الشراب؟

– اثنتان بصفة مبدئية مع إعداد ثالثة إذا ما تطلب الأمر ذلك. وسرعان ما أتى الضيوف على الزجاجة الأولى. ثم فتحت الثانية قبل العرض الراقص. ومن عادتي بعد ملء الكؤوس أن أعيد الزجاجة إلى وعاء الثلج.

– متى رأيت السيد "**بارتون**" يشرب من كأسه لآخر مرة؟

– أمهلني قليلا.. عندما انتهى العرض، شربوا نخب السيدة الشابة. لقد كان هذا لمناسبة عيد ميلادها، ثم تركوا مقاعدهم إلى حلبة الرقص. وبعد هذا عندما عادوا أدراجهم. حدث أن السيد "**بارتون**" شرب جرعة، ثم لم تمضِ دقيقة إلا وقد فارق الحياة.

– هل قمت بملء الكؤوس في أثناء قيامهم بالرقص؟

– كلا.. يا سيدي. لقد قمت بذلك قبل أن يشربوا نخب الآنسة، وفي هذه الحالة لا يشرب القوم سوى جرعة واحدة. ومن هنا تركوا كؤوسهم مملوءة بالشراب.

– هل اقترب أحد من المائدة بينما كانوا يرقصون؟

– كلا يا سيدي. إنني واثق بذلك.

– هل كان قيامهم للرقص في وقت واحد؟

– نعم.

– وهل كانت عودتهم في وقت واحد؟

– كان السيد "**بارتون**" أول العائدين.. وفي صحبته الآنسة، ثم تلاه السيد "**فاراداي**" والسيدة ذات الرداء الأسود. وأخيراً أقبلت السيدة "**ألكسندرا فاراداي**" وفي صحبتها السيد الأسمر.

– وهل لك سابق معرفة بالسيد "**فاراداي**" والسيدة "**ألكسندرا**"؟

– نعم يا سيدي. لطالما رأيتهما يترددان على مطعم "**لوكسمبورج**". إنهما من الشخصيات المعروفة التي لا يخطئها المرء.

– والآن يا "**جوزيف**"، هل رأيت أحداً من هؤلاء يضع شيئاً في كأس السيد "**بارتون**"؟

– هذا ما لا أستطيع الجزم به يا سيدي. لقد كنت قائما على خدمة الجالسين إلى المائدتين المجاورتين، علاوة على مائدتين أمامهما، ولذلك لم أكن متفرغا لمائدة السيد "**بارتون**"، لقد سبق أن جزمت بأن أحدا لم يقترب من مائدة السيد "**بارتون**"، وكان هذا بالنسبة إلى تلك الفترة التي قام في أثنائها الجميع إلى حلبة الرقص، وهذا يعني أنني كنت واقفا بدون أدنى عمل. غير أنه فور عودة القوم إلى موائدهم، يبدأ انشغالي بالقيام على خدمة الجالسين إلى الموائد التي يعهد بها إليّ. غير أنني أعتقد أنه من المتعذر أن يقدم أحد على مثل هذا العمل وهو مطمئن إلى أن أحدا لن يراه. ويبدو لي أن السيد "**بارتون**" هو وحده الذي كان في وسعه القيام بذلك.

– أهذا هو رأيك؟

– في الواقع إنني لا أعرف شيئًا، وإن كنت في عجب مما حدث، فمنذ عام مضى تنتحر هذه السيدة الجميلة السيدة "**بارتون**"، ألا يمكن أن يكون الحزن لفقدها قد بلغ بالسيد "**بارتون**" حد إقدامه على الانتحار هو الآخر بنفس الوسيلة؟ قد يكون الرأي رأيا شاعريا، خياليا، ليس له أساس من منطق الواقع. وراح الرجل ينقل عينيه بين كل من الرجلين

الآخرين الجالسين أمامه، وكأنه يستفسر منهما عن رأيهما فيما أدلى به من أقوال. وهز "**كيمب**" رأسه قائلاً:

– أشك في أن الأمر بهذه السهولة التي عرضته بها. وبعد أن وجه لـ"**جوزيف**" بعض الأسئلة أمره بالانصراف. وما إن أغلق "**جوزيف**" الباب بعد خروجه حتى انبرى "**ريس**" قائلاً:

– إني لأتساءل عما إذا كان هذا هو ما يجول بخاطرنا؟

– الزوج المحزون الذي ينتحر في الذكرى السنوية لوفاة زوجته؟

– لقد كان هذا اليوم، هو يوم "**عيد القديسين**".

– صحيح. نعم، أيمكن أن يكون الأمر كذلك؟ غير أنه إن صح هذا فإن ثمة من الأدلة ما يشير إلى احتمالات أخرى. وبعد أن تطلع "**كيمب**" إلى ساعة الحائط، استطرد قائلاً:

– يجب أن أكون في قصر "**كيدر منستر**" في تمام الثانية عشرة والنصف. ولدينا متسع من الوقت لكي نتصل ببعض هؤلاء القوم الذين كانوا يجلسون إلى المائدتين المجاورتين لمائدة "**بارتون**". فلنذهب معا، هل لديك مانع يا سيدي العميد؟

- 17 -

كان السيد "**مورال**" يقيم بفندق "**ريتز**" وكان مما يلفت الأنظار إليه، في هذه الساعة من ساعات الصباح، أنه لم يكن حليق الذقن، وكانت تبدو عليه ملامح الرجل الذي أمضى الليل ساهراً.

وكان السيد "**مورال**" من الرعايا الأمريكيين، الذين ينطقون بمختلف اللهجات الأمريكية. وعلى الرغم مما كان يحاول به جاهدا أن يذكر شيئًا عما كان من أمسه. إلا أنه كان يجد صعوبة في ذلك وهو يجيب:

– لقد ذهبت في صحبة "**كريس**".. تلك الفتاة التي اقترحت هذا المطعم مادحة الخدمة به.. ولم أجد بدا من الموافقة على اقتراحها.. على الرغم من أنني كنت واثقا بارتفاع الأسعار بهذا المطعم، وأن ذلك لن يكلفني أقل من ثلاثين دولارا!. وحاول "**كيمب**" أن يعود به من حالق ذكرياته عن أمسيته إلى بيت القصيد. من زيارته له، لعله يذكر شيئًا عن تلك المائدة التي كانت بجوار مائدته وهنا استطرد "**مورال**" قائلاً:

– نعم، لقد كانت هناك مائدة يجلس إليها بعض القوم ولست أذكر شيئًا عنهم. ولم يعنني من أمرهم شيء قبل هذا الحادث الذي ألم بأحدهم. ولقد تبادر إلى ذهني لأول وهلة، أن الرجل كان مخمورا. رويدا.. لقد تذكرت أمر إحدى السيدات. كانت سوداء

الشعر، ذات شخصية قوية، تلفت الأنظار.

- هل تعني تلك الفتاة ذات الرداء المخملي الأخضر؟

- كلا، ليست هذه الفتاة. فقد كانت الفتاة التي أعنيها ترتدي ثوبا أسود. لقد كانت هذه الفتاة التي يعنيها السيد "**مورال**"، هي "**روث ليسنج**" واستطرد "**مورال**" قائلاً:

- لقد تابعت خطواتها الراقصة.. وعجبت من إجادة مثل هذه الفتاة للرقص! وحاولت أن أداعبها عن بعد، ولكنها كانت تحدجني بهاتين العينين الجامدتين.. تلك النظرة التي تعرف عن الإنجليز..

وتبين "**كيمب**" أنه لا يمكن أن يحصل من السيد "**مورال**" على معلومات تفيد التحقيق، ورأى من حالته أنه ثمل، وأنه لا يزال واقعا تحت تأثير الشراب، الأمر الذي حدا بـ"**كيمب**" أن يشكره ويتأهب للانصراف. وما إن نهض عن مقعده حتى سمع "**مورال**" يقول له:

- سأبحر غداً إلى "**نيويورك**" لعلك لا تريد مني أن أتخلف؟

- شكرا؛ لأن التحقيق لن يستدعي إعادة مناقشتك.

- في الحق، إنني أقضي هنا أياما سعيدة هانئة. وإذا ما كان تخلفي بناء على أمر من الشرطة فإن الشركة التي أعمل بها لن تجد مفرا من الموافقة على إطالة مدة إقامتي في "**لندن**". وليس بمستبعد أن أذكر، فيما بعد، شيئًا قد يفيد التحقيق إذا ما أجهدت الفكر. غير أن "**كيمب**" لم يوافق على هذا العرض، وانصرف هو و"**ريس**" إلى شارع "**بروك**" حيث استقبلهما والد "**باتريشيا**". وأبدى الرجل لهما دهشته من إقحام ابنته في مثل هذه الأمور. لقد كانت الفتاة في صحبة خطيبها. وتساءل الرجل في امتعاض، عما صار إليه أمر "**إنجلترا**"، حيث لم يعد باستطاعة فتاة مثل ابنته أن تأمن شر تدخل رجال "**اسكتلانديارد**"، ومضايقتها بأسئلتهم. إنها لا تعرف من أمر هؤلاء القوم شيئًا. إن مطعم "**لوكسمبورج**".. من المفترض فيه أنه مكان لا يوجد ما يشينه، ولا يؤمه سوى خيار الناس. لعل "**جيرالد**" قد أخطأ باصطحاب خطيبته "**بات**" إلى هذا المطعم.. بعدما كان من حادث السنة الماضية. ورفض الأمير أن تستجوب ابنته في غير حضور محامٍ عنها وقال: إنه سيتصل بصديقه "**أندرسون**" بفندق "**لينكولن**" ويسأله الحضور.. ثم توقف الجنرال عن الحديث وهو يحملق إلى وجه "**ريس**" قائلاً:

- لقد التقينا من قبل. ترى أين كان ذلك؟ فابتسم "**ريس**"، وهو يجيبه فوراً:

- في "**باديرابور**".. عام 1923.

- بحق السماء! ألست "**جوني ريس**"! ماذا أتى بك، وما علاقتك بهذا التحقيق؟

– لقد كنت في صحبة كبير المفتشين "**كيمب**" حينما طرأ له أن يحضر لمقابلة ابنتك. ولقد دعاني إلى مرافقته.

– حسنا، لقد كان هذا من حسن حظي. وأردف كبير المفتشين قائلاً:

– وليس من شك في أننا لم نكن نرغب في مضايقة ابنتك بأسئلتنا، ولكنك تعرف أن هذا من مقتضيات التحقيق.

- 18 -

وفي هذه اللحظة ، فتح باب الغرفة وأقبلت الآنسة "**باتريشيا برايس وودوورث**" ، وتولت هي زمام الموقف قائلة :

– إنكما من "**اسكتلانديارد**" ، أليس كذلك ؟ إن حضوركما بشأن حادث الليلة الماضية ؟ لقد كنت أتحرق شوقا لحضوركما .

هل لقيتما من والدي ماضايقكما . . ؟ هيا بنا إلى غرفتي ، حتى لانزعج والدي الذي يشكو ضغط الدم ، ويحب ألا نكون سببا في إثارته . أما أنت يا والدي ، فسأصدر أمري إلى "**وولتز**" لكي يأتيك بقليل من الشراب .

وبدا على الوالد أنه راض عن اقتراح ابنته ، وقدم إليها "**ريس**" قائلا : "العقيد **ريس**" صديق قديم . وحينئذ أولت "**باتريشيا**" كل اهتمامها إلى كبير المفتشين "**كيمب**" . وتقدمتهما الفتاة إلى غرفة جلوسها الخاصة قائلة :

– لقد أردت بذلك أن أجنب والدي عناء الاشتراك فيما سيدور بيننا من حديث . .

ودار الحديث في هدوء ، وإن لم يبشر بنتيجة مرضية . وقالت "**باتريشيا**" ، فيما قالت :

– إن هذا لمثير حقا . إن تلك أول مرة يحدث أن أوجد في مكان ترتكب فيه جريمة قتل

– إن الحادث قتل ، أليس كذلك ؟ إن مانشر بالصحف عنه كان غامضا ، وإن كنت قد قلت لـ"**جيري**" عنه تليفونيا :

إنه لابد وأن يكون حادث قتل.

وبدا من حديثها بعد ذلك ، أنها تأسف لأنها لم تكن تعرف مقدما أن جريمة سترتكب في المائدة المجاورة لها ، وإلا لكانت قد تتبعت ماجرى من أحداث . وكان واضحا أن الخطيبين السعيدين كانا غارقين في نظراتهما الغرامية .

وانصرف الرجلان ، دون أن يتقدم بهما التحقيق إلى مايجلو غموض الموقف .وتوجها إلى حيث تقيم الآنسة "**شانون**" ، وهي إحدى من شملتهم قائمة الموجودين قريبا من

مكان الحادث .

وكانت الآنسة "**شانون**" شقراء جميلة تعني بتصفيف شعرها ، زرقاء العينين ، لاتتكلم إلا بالقدر الذي يستوجب ذلك .

واستقبلت الرجلين مهللة مرحبة ، وكأن لها بهما سابق معرفة ، وألحت في تقديم المشروبات إليهما ، فلما اعتذرا عن هذا قدمت إليهما صندوق سجائرها في إصرار على أن يستجيب الرجلان لدواعي سخائها ، وكان مسكنها عاديا صغيرا ، ينبئ عن ذوق سليم . وبادرت مفتش الشرطة بقولها:

– بودي أن أكون عند حسن ظنك وأستطيع أن أقدم لك ماينبغى من معونة. فلتوجه إلي ماتشاء من أسئلة .

وراح "**كيمب**" يطرح عليها الأسئلة المتعارف عليها في مثل هذه القضايا . وأظهرت "**كريستين شانون**" حسن استعدادها ودقة ملاحظاتها قائلة :

– لم يكن الانسجام تاما بين المدعوين – وكان من اليسير ملاحظة ذلك . وكنت أشعر بجو من التوتر يخيم على تلك المائدة . ولم يدخر المضيف وسعا في توفير كل وسائل الراحة لمدعويه . وكانت المرأة التي تجلس عن يمينه متزمتة لا تكاد تتحرك في مقعدها . أما الأخرى التي كانت تجلس عن يساره، فكان يبدو عليها أنها تضيق بمجلسها هذا وأنها كانت تود لو جلست بجوار هذا الشاب الأسمر الوسيم الذي كان يجلس أمامها . وعن هذا الرجل الطويل القامة الذي كان يجلس بجوارها من الناحية الأخرى ، فقد لاحظت أنه يتناول طعامه وكأنه قد فقد شهيته منذ أمد طويل . وكانت المرأة الجالسة عن يساره تبذل أقصى ما في وسعها لتسري عنه .

– يبدو أنك استطعت أن تتبيني الكثير عن حالتهم .

– سأفضى إليك بالسر في ذلك .إذ إنني كنت في ضيق ممن أجالسه بعد أن اصطحبني ثلاث ليال متتالية ، وبدأت أشعر بتسرب الملل إلى نفسي من صحبته ! وكان يحكي عن نفسه الكثير ، إلى أن سئمت قصصه التي سردها على مسمعي أكثر من ثلاث مرات علاوة على ماكان يسمعني من مغامراته مع النساء وجنونهن به ، وهذا هو السبب في انصرافي عنه إلى متابعة . ماكان يجري حولي .

– حسنا ، ما كان هذا في مصلحتنا ، وكل ما أرجوه منك أن تكوني قد تمكنت من رؤية ماقد يعيننا على حل هذه المشكلة .

– ليست لدي أية فكرة على الإطلاق عمن يكون المسؤول عما حدث للمضيف . لقد رأيته يرتشف من كأس الشراب ، ثم يحتقن وجهه ويترنح منهارا .

– هل تذكرين آخر مرة شرب فيها من كأسه قبل هذه الجرعة الأخيرة التي أودت بحياته؟ .

أطرقت الفتاة ، لتتيح لنفسها فرصة التفكير مليا . ثم قالت :

– أجل ، لقد كان هذا بعد انتهاء العرض مباشرة . فحينما أضيئت الأنوار رأيته يرفع كأسه ويقول شيئا لم أسمعه بالتأكيد ، وإن كنت قد رأيت الآخرين يحذون حذوه . ويبدو لي أنهم كانوا يشربون نخبا معينا .

– وبعد ؟ ماذا شاهدت بعد ذلك ؟

– ثم بدأت الموسيقى تعزف ونهض الجميع إلى حلبة الرقص ، يتضاحكون ويمرحون .

– هل كان توجههم إلى حلبة الرقص معا – بمعنى أنه لم يبق منهم أحد جالسا إلى المائدة ؟

– لا . . .

– ألم تشاهدي أحدا منهم يلمس كأس السيد "**بارتون**" .

– لا . . . لم أشاهد ، إنني جد واثقة من هذا .

– ألم تشاهدي أحدا سواء منهم أو من غيرهم – يقترب من هذه المائدة بعد مغادرتهم لها ؟

– نعم . . . لم أشاهد – فيما عدا الساقي .

– الساقي ؟ من عساه أن يكون ؟

– يبدو لي أنه ذلك الساقي الإيطالي الجنسية .

وحاول كبير المفتشين أن يصف لها "**جوزيف بالسانو**" ، وقد أقرت هذا الوصف . وعندئذ سألها قائلا :

– وماذا فعل هذا الساقي ؟ أترينه قد قام بملء الكؤوس ؟

– لا . . إنه لم يلمس شيئا مما كان فوق المائدة . إن كل مافعله أنه التقط حقيبة يد إحدى السيدات التي سقطت منها عندما نهضوا جميعا .

– ولمن كانت هذه الحقيبة ؟

واستغرق الأمر من "**كريستين**" دقيقة أو دقيقتين قبل أن تجيب :

– كانت الحقيبة للآنسة الصغيرة – كانت خضراء اللون بحلية من الذهب . أما المرأتان الأخريان ، فقد كانتا تمسكان بحقيبتيهما السوداوين .

– وماذا فعل الساقي بتلك الحقيبة ؟

– أعاد وضعها فوق المائدة ، وهذا كل مافعله .

– أواثقة أنت تمام الثقة من أنه لم يلمس أي كأس من الكؤوس التي كانت فوق المائدة ؟

– أجل . إنه لم يلمس شيئا منها . فبمجرد أن ألقى بالحقيبة فوق المائدة ، أسرع يستجيب لنداء أحد زملائه من السقاة الآخرين .

– وهل كانت هذه المرة الوحيدة التي اقترب فيها أحدهم من تلك المائدة ؟

– أجل . هذا هو الواقع .

– ألا يمكن أن يحدث ذلك دون أن تكوني قد فطنت إليه ؟

– كلا ، إنني جد واثقة مما قلت إنني قوية الملاحظة ، علاوة على أنني كنت قد اتخذت من متابعة ما يجري حول هذه المائدة ملهاة لي بناء على ماسبق أن أوضحته لك

وانبرى "**ريس**" يسألها ، من كان أول العائدين منهم إلى المائدة .. ؟

– الآنسة ذات الثوب الأخضر والمضيف .. وبعد أن احتلا مقعديهما أقبل الرجل الأشقر والفتاة ذات الثوب الأسود ، وبعدهما أقبلت المرأة المتعجرفة وفي صحبتها الشاب الأسمر.

وبعد أن استقر بهم المقام حول المائدة ، وكان الساقي يعدلهم الطعام التالي في القائمة ، رأيت المضيف يتحدث إليهم بشيء ، رفعوا بعدها كؤوسهم كما كان في المرة الأولى . ثم كان ما كان مما تعرفانه عن مصرع المضيف . ولقد خيل إلي لأول وهلة أنها نوبة مفاجئة .

وقال "**كيمب**" لـ"**ريس**" ، بعد مغادرتهما مسكن الآنسة "**شانون**" ، هذه آخر فرصة تسنح لنا للتوصل لمثل هذه المعلومات .

إن هذه الفتاة هي المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الشهود ، وإن كنت لم أحصل منها على الكثير مما كنت أطمع فيه . وليس من شك في أن يدا ماعبثت بكأس "**جورج بارتون**" ، الأمر الوحيد الذي لم تره هذه الفتاة .

– لو كان الساقي أو غيره قد وضع شيئا في كأس "**بارتون**" ، لتمكنت هذه الفتاة من رؤيته ، ولما فاتها ملاحظة شيء من هذا القبيل . كلا ، يا "**كيمب**" ، يجب أن نلتمس إيضاحا آخر لهذه المشكلة .

– لا شك أنه قد وضع السم بنفسه في كأسه .

– ما رأيك في أنني بدأت أؤمن بأن هذا هو ما حدث فعلا ؟

– وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعلل به هذا الحادث . غير أنني لم أر في الوقت نفسه .. أنه إذا صح ذلك ، فإنني على يقين من أنه لم يكن يعرف أن هذه المادة هي "**السيانيد**" .

– هل تعني أن أحدا ما أعطاها له ؟ وقال له مثلا ، إنها مادة مهضمة أو تفيد في خفض ضغط الدم ، أو أي شيء من هذا القبيل ؟

– هذا ممكن .

– إذن فمن عساه أن يكون هذا الشخص ؟ إنه ليس من آل "**فاراداي**" .

– هذا ما أستبعده فعلا .

– كما أستبعد أنا أن يكون السيد "**أنتوني براون**" هو هذا الشخص . ومن هنا يبقى أمامنا اثنان – شقيقة الزوجة . .

– والسكرتيرة المخلصة .

– أجل – وهي ماكانت تستطيع ذلك ، لثقته بها – لقد حان موعد ذهابي إلى قصر "**كيدر منستر**" . ماذا أنت فاعل ؟ هل ستذهب لمقابلة الآنسة "**مارل**" ؟

– أعتقد أنني سأذهب لمقابلة الأخرى – في محل عملها .

سأتذرع بتعزيتها في مصابها كصديق قديم . وربما دعوتها لتناول طعام الغداء .

– إذن فهذا هو رأيك ؟

– إنني لم أستقر بعد على رأي . إنني بسبيل تقصي الحقيقة .

– ولكنك يجب أن تلتقي بـ"**أيريس مارل**" هي الأخرى .

– هذا ما سأقوم به – غير أنني أفضل التوجه أولا إلى البيت ، حينما تكون غائبة عنه أتدري لماذا ؟

– لا . . ليس في وسعي أن أجيبك عن سؤالك هذا .

– لأن في هذا البيت من يمكن أن أستخلص منه بعض الحقائق .

- 19 -

افترق الرجلان . واستقل "**ريس**" سيارة أجرة ذهبت به إلى مكتب "**جورج بارتون**" بالمدينة واستقل كبير المفتشين الأوتوبيس إلى قصر "**كيدر منستر**" .

كان المفتش متجهم الوجه وهو يرتقي الدرج الأمامي للقصر ويطرق بابه . وكان يدرك أنه مقبل على أداء مهمة ليست باليسيرة ، إذ إن لأسرة "**كيدر منستر**" نفوذا سياسيا لايستهان به ، ولكن كبير المفتشين "**كيمب**" ، كان شديد الإيمان بالعدالة البريطانية وعدم محاباتها لأحد مهما يكن شأنه . فإذا ماكان لـ"**ستيفن فاراداي**" أو لزوجته "**ألكسندرا**" يد في وفاة "**روز ماري**" أو "**جورج بارتون**" ، فلن يشفع لهما نفوذهما في تحمل مغبة ما اقترفت أيديهما . أما إذا كانا بعيدين عن أية شبهة ، أو كانت الأدلة

ضدهما غير قاطعة ، فعلى الضابط المسؤول أن يتئد في كل خطوة يتخذها وإلا تعرض للوم لاقبل له به من رؤسائه. كان كبير المفتشين مدركا لما هو مقدم عليه . وقدر كل مايمكن أن يقام في وجهه من صعوبات .

وسرعان ما وجد "**كيمب**" ، أنه كان مخطئا في تقديره ؛ وذلك أثر ما لمسه من الأمير "**كيدر منستر**" الذي رأى فيه رجلا دبلوماسيا محنكا أبعد ما يكون عن الاحتماء بما له من مركز مرموق في المجتمع البريطاني .

وما إن أعلن "**كيمب**" عن الغرض من مجيئه ، حتى تقدمه كبير الخدم ، إلى غرفة مكتب في مؤخر القصر ، حيث وجد الأمير"**كيدر منستر**" وابنته وزوجها في انتظاره . وتقدم منه ، الأمير"**كيدر منستر**" يصافحه قائلا :

– لقد حضرت في الساعة المعينة . وإنني لمقدر لك مراعاتك لظروفنا وحضورك إلينا بدلا من استدعاء ابنتي وزوجها إلى "**اسكتلانديارد**" ، الأمر الذي كانا على استعداد للقيام به إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك ، وإنهما ليضمان صوتيهما إلي مقدرين عطفك ورقتك .

وأردفت "**ساندرا**" قائلة في صوت هادئ :

– تلك هي الحقيقة يا سيدي المفتش .

وكانت ترتدي ثوبا أحمر قاني اللون ، وتجلس في مقعدها المنعكس على ضوء النافذة التي تقع بجواره ، وأعادت إلى "**كيمب**" ، – بجلستها هذه – صورة تمثال زجاجي سبق له أن رآه في إحدى الكاتدرائيات بالخارج .

وكان "**ستيفن فاراداي**" واقفا بجوار زوجته . ولم يكن وجهه لينم عن شيء مما يختلج في نفسه ، وبدأ الأمير "**كيدر منستر**" الحديث في الموضوع بمقدرة فائقة وهو يقول :

– لست أخفي عنك يا سيدي المفتش ، مدى ما في هذا الأمر من إيلام ومضايقة لنا جميعا . وهذه هي ثاني مرة ، تتعرض فيها ابنتي وزوجها لمثل هذه الظروف المؤسفة ، ويقدر لهما أن يشهدا وفاة أحد الموجودين معهما في مكان عام – في نفس المطعم ، ومن نفس الأسرة . إن مثل هذه الظروف ، تسيء إلى سمعة رجل له مكانته العامة في نظر الجماهير . ومع ذلك ، فإن كلا من ابنتي والسيد "**فاراداي**" على أتم استعداد لمدك بالمعلومات التي قد تيسر لك سبيل أداء مهمتك والكشف عما اكتنف الحادثين من غموض ، مما من شأنه أن يصرف الجماهير عن الاهتمام بتلك الأحداث .

– شكرا ، يا سيدي "الأمير" . وإنني لمقدر موقفك من هذا الأمر . وليس من شك في أن هذا مما ييسر الأمر لنا .

وانبرت "**ساندرا فاراداي**" قائلة :

– أرجو يا سيدي المفتش . أن توجه إلينا ماتشاء من أسئلة .

– شكرا يا سيدتي .

وأردف الأمير "**كيدر منستر**" قائلا :

– لي كلمة مبدئية . إن لديك مصادر معلوماتك ، بدون أدنى شك ، وكما علمت من صديقي رئيس الإدارة ، فإن وفاة "**بارتون**" ينظر إليها على أنها قتل أكثر منها انتحارا ، وإن كان الانتحار في نظر البعض أكثر ترجيحا . لقد كنت تعتقدين يا "**ساندرا**" ، أن الحادث كان انتحارا أليس كذلك ؟ .

– هذا ما بدا لي واضحا الليلة الماضية . لقد كنا نجلس إلى نفس المائدة في نفس المطعم حين لقيت "**روز ماري بارتون**" مصرعها منتحرة العام الماضي . وكنا قد التقينا بالسيد "**بارتون**" أكثر من مرة إبان فصل الصيف حين إقامتنا بمنزلنا الريفي ، وبدا لنا أنه غريب الأطوار إلى حد ما . وقد تبادر إلى ذهننا حينئذ أن هذا ربما كان راجعا إلى وفاة زوجته . لقد كان جد مغرم بها وأعتقد أنه لم يتيسر له أن ينسى حادث موتها . ومن هنا خيل إلينا أن فكرة الانتحار ممكنة أو قل محتملة – حيث لم يكن ليدور بخلدي أن ثمة من يفكر في قتل "**جورج بارتون**" .

وهنا انبري "**ستيفن فاراداي**" قائلا :

– وهذا هو رأيي . لقد كان "**بارتون**" رجلا ممتازا . وأنا واثق من أنه لايوجد في هذا العالم من يحمل له ضغينة ما .

وتأمل كبير المفتشين وجه كل من ثلاثتهم قبل أن يعقب قائلا :

– هذا صحيح فيما أعتقد . غير أنني أصارحك يا سيدتي بأن ثمة أشياء لم تعرفيها بعد .

وانبرى الأمير "**منستر**" يقاطعه قائلا :

– ليس لنا أن نحملك على الإفضاء بما لاتحب . والأمر متروك لك لتكشف لنا عما ترى ضرورة إحاطتنا علما به .

– شكرا سيدي الأمير . غير أنني لا أرى مانعا من الكشف عن بعض الأمور لكم.

وإليكم هذه الحقائق مركزة : لقد أفضى "**جورج بارتون**" قبل وفاته لاثنين

بأنه لايعتقد أن زوجته قد انتحرت ، وأنها قضت نحبها نتيجة لدس السم لها .

كما صارحهما بأنه جاد في تتبع أثر من ارتكب هذا الجرم ، وهذا العشاء الذي وجه الدعوة لحضوره في الليلة الماضية بحجة أنه احتفال بعيد ميلاد الآنسة "**مارل**" ، لم يكن

سوى جزء من الخطة التي كان قد أعدها للكشف عن شخصية قاتل زوجته .

وخيم على الغرفة سكون أتاح لكبير المفتشين الفرصة ليتبين أن ثمة شعورا من الضيق بما سمعه الحاضرون منه . وكان الأمير "**كيدر منستر**" هو أول من استعاد حالته الطبيعية قائلا :

– ولكن هذا اليقين في حد ذاته قد لايدل على أن "**بارتون**" المسكين لم يكن في حالة ذهنية طبيعية ، إن شكه في حقيقة وفاة زوجته لايعني اضطراب ذهنه .

– هذا صحيح ، يا سيدي "الأمير" ، غير أن هذا لايدل على الأقل أن حالته العقلية كانت نزاعه للانتحار .

– أجل .. أجل ، لقد فهمت ماتعني .

وعاد السكون فخيم ثانية على جو الغرفة . ثم أردف "**ستيفن فاراداي**" قائلا بحدة :

ولكن كيف تبادر إلى ذهن "**بارتون**" شكه هذا في حقيقة موت زوجته ؟ ومهما يكن من أمر ، فإن السيدة "**بارتون**" قد انتحرت فعلا .

– إن السيد "**بارتون**" لم يسلم بذلك .

وهنا تدخل الأمير"**كيدر منستر**" قائلا :

– ولكن رجال الشرطة كانوا مقتنعين بهذا . إن الرأي بالانتحار كان هو السائد حينئذ ، ولم يتحدث أحد بغير هذا .

– كانت جميع الوقائع تدل على أن الحادث انتحار . ولم يكن ثمة أي دليل على أن وفاتها كانت راجعة إلى سبب آخر

بودي الآن يا سيدتي السيدة ، أن أوجه إليك بعض الأسئلة ، إذا سمحت بذلك.

– بكل تأكيد . هات ما عندك .

– ألم يساورك شك حينذاك في أن وفاة السيدة "**بارتون** " قد لا تكون انتحارا؟

– كلا ، وبكل تأكيد . لقد كنت جد واثقة من أنها انتحرت ، وما زلت عند اعتقادي هذا " .

– السيدة "**ألكسندرا** " ، ألم تتلقي أية رسائل من مجهول في السنة الماضية ؟

– رسائل من مجهول ؟ لا ... لم أتلق .

– هل أنت واثقة من ذلك ؟ إن مثل هذه الرسائل غالبا ما تكون مصدر مضايقة للناس مما يحدو بهم إلى تجاهل أمرها ، وإن كنت أرى أنه قد يكون لمثل هذه الرسائل أهمية خاصة في هذه القضية ، ومن هنا كان اهتمامي بإجلاء هذه النقطة.

– فهمت ما تعني .غير أنني أؤكد لك أنني لم أتلق رسائل من هذا النوع مطلقا.

– حسنا . سمعتك تقولين إن حالة السيد "**بارتون** " لم تكن طبيعية في هذا الصيف . كيف كان ذلك ؟

– لقد كان عصبي المزاج . متوتر الحس . وكان يبدو لي شارد الذهن عاجزا عن التركيز على ما يقال له . ألم يكن هذا ما لمسته منه أنت الآخر يا " **ستيفن** " ؟

– بلى ، هذا هو الوصف الدقيق لحالته . بل ولقد بدا لي أن الرجل يعاني مرضا جسمانيا أيضا . وقد لاحظت أن وزنه قد نقص .

– ألم تتبيني اختلافا في معاملته لكما ، أنت وزوجك ؟

– لا . . . . لم أتبين ، على العكس فقد ابتاع بيتا يجاور بيتنا الريفي ، وكان يبدو مقدرا لكل ما نقوم به من أجله . وليس من شك في أنه من دواعي سرورنا أن نقوم بأي شيء من أجله ومن أجل " **أيريس مارل** " وهي فتاة ساحرة جذابة .

– السيدة " **ألكسندرا**" هل كانت السيدة " **بارتون** " من أصدقائك المقربين ؟ !

– لا ، فلم تكن علاقتي بها وثيقة . ربما كانت أكثر صلة بزوجي " **ستيفن** " ؛ لأنها كانت تعنى بالشؤون السياسية وكانت تجد في زوجي خير مصدر لما تريد أن تطلع عليه منها . لقد كانت امرأة ممتازة سحرا وجاذبية .

– ألم يصارحك السيد " **بارتون** " بوجهة نظره عن أن زوجته لم تنتحر ؟ ألم يسبق له أن تحدث إليك في هذا القبيل ؟

– نعم لم يحدث على الإطلاق . وهذا هو السبب في أنني فوجئت بما سمعته منك بهذا الصدد .

– والآنسة "**مارل** " ؟ ألم يسبق أن تحدثت إليك بشأن وفاة شقيقتها هي الأخرى؟

– لا .

– أليست لديك أية فكرة عما حدا لـ "**جورج بارتون** " إلى أن يبتاع بيتا في الريف ؟ هل كان ذلك نتيجة لعرض منك أو من زوجك ؟

– لا ليس لدي أية فكرة عن ذلك. . . . بل لقد كان الأمر مفاجأة لنا .

– ماذا تعرفين عن السيد "**أنتوني براون** " ؟

– في الحق إنني لا أعرف عنه شيئا على الإطلاق . ولم يكن لقائي به إلا لقاء عارضا .

– السيد "**فاراداي** " ، ماذا تعرف أنت عنه ؟

– إن معلوماتي عنه أقل من معلومات زوجتي . وقد حدث أنها رقصت معه أكثر من مرة . وفي رأيي أنه أمريكي لطيف المعشر .

– هل بدا لك أنه وثيق الصلة بالسيدة " **بارتون** " ؟

– ليست لدي أية معلومات عن هذا الموضوع ، يا سيدي المفتش .

– إنني أسالك عن انطباعاتك الشخصية من مجرد ملاحظاتك .

– لقد كانا صديقين – وهذا كل ما في وسعي أن أذكره عنه .

– وأنت يا سيدتي " السيدة " ؟

– إن ما انطبع في نفسي هو أن معرفتهما وثيقة ، وأن العلاقة بينهما كانت شديدة الصلة . وهذا الانطباع نتيجة لما تبينته من نظراتهما المتبادلة – وإن كنت لا أملك دليلا قاطعا على هذه العلاقة .. لقد سالتني عن انطباعاتي وليس عن معلوماتي .

– لا يحسن الحكم على مثل هذه الأمور سوى النساء . والآن سيدتي ، ما رأيك في الآنسة "**ليسنج**" .. ؟

– الآنسة "**ليسنج**" كما أعرف ، هي " سكرتيرة السيد "**بارتون**" وكان لقائي بها لأول مرة في تلك الليلة التي قضت فيها السيدة " **بارتون** " نحبها . ثم كان لقائي بها حينما قدمت للإقامة معهم في البيت الريفي وكان اللقاء الثالث ، الليلة الماضية .

– هل لي أن أوجه إليك سؤالا آخر عن الانطباعات النفسية .. ؟ ألم يتبادر إلى ذهنك أنها مغرمة بـ"**جورج بارتون**" أو أن بينهما علاقة غرامية .. ؟!

– في الحق إنه ليس لدي أية فكرة عن هذا .

– والآن ، فلننتقل إلى أحداث الليلة الماضية

واستجوب كبير المفتشين كلا من "**ستيفن**" وزوجته استجوابا دقيقا عن كل ماجرى في تلك الأمسية المفجعة . ولم يكن يأمل في التوصل إلى كثير من المعلومات ، وكل ماخرج به من استجوابه هذا كان تأييدا لما سمعه من قبل . ولم يجد ثغرة فيما أدليا به من معلومات يمكن أن يقال إنها تختلف عما سبق أن توصل إليه من تحرياته السابقة . وبعد أن فرغ "**كيمب**" من مناقشتها نهض قائلا :

– شكرا لك يا سيدي الأمير ، ولك يا سيد "**فاراداي**" ، ولك يا سيدتي السيدة "**ألكسندرا**" شكرا على معاونتكم لي وسعة صدوركم .

– هل سيتطلب التحقيق حضور ابنتي ؟

– هذا لا يمكن الجزم به ، قبل التقرير الطبي وغير ذلك من إجراءات تمهيدية . وبالمناسبة يا سيد " **فاراداي**" ، ثمة " أمران" أرجو أن تعاونني على ايضاحهما ، وليس من الضروري أن تصحب معك السيدة "**ألكسندرا**" . فإذا ما تكرمت بالاتصال تليفونيا بالإدارة ، أمكننا الاتفاق على تحديد الموعد الذي يناسبك ، لأنني أعرف أنك رجل مشغول .

– بكل تأكيد يا سيدي المفتش . هل تسمح لي بالانصراف فورا إلى مجلس العموم ؟
وبعد أن انصرف كل من "**ستيفن**" أولا ، ثم كبير المفتشين ، التفت الأمير "**كيدر منستر**" إلى ابنته يسألها :
– هل كان "**ستيفن**" على علاقة بتلك المرأة ؟ وبعد برهة قصيرة أجابته ابنته : –
لا بكل تأكيد . فلو كان هناك شيء من ذلك لكنت قد عرفته . ومهما يكن من أمر ، فإن "**ستيفن**" ليس من هذا الطراز من الرجال .
– استمعي إلي جيدا ، يا ابنتي . لن يجديك أن تدفني رأسك بين الرمال إن كل ما يخفى من أمور لابد وأن تنكشف حقيقته يوما ما . إنني أريد أن أتبين حقيقة موقفنا من هذه القضية .
– لقد كانت "**روز ماري بارتون**" صديقة لهذا الرجل ، "**أنتوني براون**" ، وكانا لايكادان يفترقان .
– حسنا ، أنت أدرى .
غير أن الرجل لم يصدق ابنته ، ولم يأخذ كلامها قضية مسلمة . وكان وجهه ،
وهو يغادر الغرفة ، يختلج بما ينم عن حيرة في نفسه ، واضطراب في ذهنه . وصعد الرجل إلى غرفة جلوس زوجته . وكان قد اعترض على اشتراكها في هذا الاجتماع بغرفة مكتبه ؛ لأنه كان يخشى أن تثير مفتش الشرطة بغطرستها وأساليبها المتعجرفة . واستقبلته السيدة "**كيدر منستر**" قائلة :
حسنا ، كيف سارت الأمور ؟
– لا بأس بما كان . إن "**كيمب**" شرطي يتحلى بخلق رفيع ، وقد كان كيسا في مناقشته لهما – الأمر الذي حاز إعجابي .
– إذن فالأمر خطير ؟
– أجل .. أجل .. لقد كنت على صواب في منعها من أن تتزوج من هذا الرجل.
– وهذا ما سبق أن قلته .
– أجل .. أجل .. لقد كنت على صواب ، وكنت أنا المخطئ . غير أنها كانت ستتزوج منه ، بوسيلة أو بأخرى . فلم يكن من اليسير أن تثني "**ساندرا**" عن تنفيذ ما عقدت العزم عليه . لقد كان لقاؤها بـ"**فاراداي**" كارثة لأننا لم نكن نعرف شيئا عن هذا الرجل ولاعن أسرته . وقد اتضح كل شيء الآن ، وطفا على السطح ؛ نتيجة لهذه الأزمة التي نتعرض لها .
– لقد فهمت ماتعني . أو تعتقد أننا زوجنا ابنتنا من قاتل ؟

– لست أدري . كما أنني لا أريد أن أصدر حكمي على الرجل مقدما ، وأن أسبق الأحداث برأي . غير أنني فهمت أن الشرطة تعتقد ذلك . لقد كانت له علاقة بهذه المرأة – وهو أمر واضح لا لبس فيه، فإما أن تكون قد أقدمت على الانتحار بسببه . أو يكون . . حسنا ، فمهما يكن من أمر ما حدث ، فإن "**بارتون**" كان قد علم بحقيقة الأمر ، وكان بسبيل إماطة اللثام عنه . وأعتقد أن "**ستيفن**" قد شعر بشيء من هذا القبيل . . و . . دس السم له.

– لا ، لست من هذا الرأي .

– أرجو أن تكوني محقة في رأيك . غير أن أحدا ما قد دس السم للرجل .

– إذا ما سألتني عن رأيي ، فإن "**ستيفن**" لم يؤت الجرأة ليرتكب شيئا من هذا القبيل.

– لا تنسي أنه جد يعني بمستقبله ، وأنت تعرفين أنه يعد نفسه ليصبح من رجال الدولة البارزين ، ولايمكنك أن تتنبئي بما يفعله الإنسان حينما يجد نفسه وقد ضيق عليه الخناق.

– مازلت عند رأيي من أنه ليس بالرجل الذي يفعل ذلك . إن ارتكاب مثل هذا الفعل يتطلب كفاءة خاصة وقدرة على المغامرة .

– إنني أتوجس شرا ، وغير مطمئن إلى ماستسفر عنه هذه القضية .

– أفهم من قولك هذا أن "**ساندرا**" . . "**ساندرا**" –. . . ما كنت أريد أن ألمح إلى شيء من هذا القبيل – غير أنه غير مجد أن يغالط المرء نفسه ويرفض ذهنه مواجهة كل الأحتمالات . إن "**ساندرا**" غامضة بعض الشيء إلى هذا الحد الذي لم أستطع معه أن أفهمها . وهي جد مغرمة بـ"**ستيفن**" ومعجبة به وتعلق عليه الآمال الكبار ، إلى الحد الذي يدفعها إلى المخاطرة بأي شيء في سبيله ، دون تبصر بالعواقب . فإذا ما استقر في روعنا أن الجنون قد بلغ بها إلى هذا الحد ، فعلينا أن نعمل على حمايتها . هذا واجبنا كوالدين لها .

– حمايتها ؟ ماذا تعنين . . بحمايتها ؟

– أليس من المتعين علينا – وعليك أنت بالذات – أن نقوم من ناحيتنا بما فيه حمايتنا لابنتنا . إن في وسعك أن تفعل الكثير .

وراح "الأمير" "**كيدر منستر**" يحملق في وجهها ، وقد استبدت به الدهشة لما سمعه منها ، ولشجاعتها في مواجهة الأمور ، قائلا :

– هل ترين ، في حالة ما إذا كانت ابنتي قاتلة ، أن أستعمل نفوذي لإنقاذها من عواقب جريمتها ؟

– بكل تأكيد .

– أنت لا تدركين ، ياعزيزتي "فيكي" ماذا تقولين ؟ ليس في وسع المرء أن يقوم بمثل هذا العمل ، إن ذلك إخلال بقواعد الشرف .

– هراء !

وحدج كل منهما الآخر بنظرات حادة ، وكنت تقرأ في أعينهما أنهما أبعد ما يكونان عن إدراك وجهة نظر كل منهماالآخر . وأخيرا قالت له ، وهي تنطق بكلماتها في هدوء ويسر :

– في وسعك أن تحمل الحكومة على إصدار أمرها إلى رجال الشرطة لحفظ القضية على أنها انتحار . ولن تكون هذه أول مرة لتصرف من هذا القبيل .

– لئن كان قد حدث شيء من هذا القبيل فقد حدث لدواع سياسية بحتة – وفي مصلحة الدولة . أما هذه القضية ، فهي قضية شخصية خاصة ، مما يجعلني غير واثق من استطاعتي القيام بما تسألينني إياه .

– في وسعك أن تفعل ذلك إذا ما توفرت لديك النية الكافية .

– وحتى لو استطعت ذلك ، فإني لن أسلك هذا المسلك ! فإن في هذا إساءة استعمال لمنصبي العام .

– إذا ما افترضنا أن "**ساندرا**" سيقبض عليها وتحاكم – ألن تعهد بالدفاع عنها إلى خيرة المحامين لبذل أقصى ما في وسعهم للدفاع عنها ، مهما يكن من أمر ثبوت التهمة عليها ؟

– بكل تأكيد ، وليس في هذا من شك . إن الأمر يختلف . إنكن معشر النساء لا تقدرن الأمور كما يجب أن تقدر به .

ولاذت السيدة"**كيدر منستر**" بالصمت . إنها أم ترى ابنتها على شفا الهاوية – أم تريد أن تدافع عن ابنتها بأية وسيلة كانت ، شريفة أو غير شريفة على حد سواء.

إنها على استعداد لتناضل في سبيل ابنتها بوسيلة أو بأخرى . وسمعت زوجها يقطع عليها حبل تأملاتها قائلا :

– ومهما يكن من أمر ، فإن "**ساندرا**" لن يوجه إليها الاتهام ما لم يكن ثمة دليل قاطع ضدها ، وإني على الأقل أرفض تصديق أن لي ابنة قاتلة . وإنه ليدهشني منك أن يدور بخلدك شيء من هذا القبيل .

ولم تعقب الزوجة بشيء . وغادر الأمير "**كيدر منستر**" الغرفة وهو في حالة من القلق النفسي لا يحسد عليها . وكان في دهشة من أمره ومن أمر هذه الزوجة التي كان وثيق الصلة بها طوال هذه الأعوام العديدة ، وقت كان يعتقد أنها أبعد ما تكون أن تساورها

في إحدى بناتها مثل هذه الشكوك !

- 20 -

وجد "**ريس**" الآنسة "**روث ليسنج**" منكبة على فحص بعض الأوراق وهي جالسة إلى مكتب كبير . وكانت ترتدي معطفا أسود اللون ، ولمس منها هدوءها وأناتها وكفاءتها . كما استرعى نظره هاتان الهالتان السوداوان أسفل عينيها وذلك الخط تحت فمها الدال على حزنها الذي استطاعت أن تكبته كما تكبت غيره من مشاعرها .

وبعد أن قدم "**ريس**" إليها نفسه وعرفها بالغرض من زيارته أجابته :

– شكرا لمجيئك . ولكنني لا أعرف من أنت ، بدون شك لقد كان السيد "**بارتون**" يترقب حضورك في الليلة الماضية أليس كذلك ؟ لقد قال لنا هذا بالأمس بعد جلوسنا إلى المائدة .

– ألم يتحدث بشيء عن حضوري قبل السهرة ؟

– لا . . . لم يتحدث ، لم يكن هذا قبل جلوسنا إلى المائدة فعلا . وأذكر أنني كنت في دهشة – لا لدعوته إياك ، إذ إني أعرف أنك صديق قديم له . وإنه كان من المفروض أن تشترك في مأدبة العام الماضي ، إن مثار دهشتي كان بسبب عدم دعوة السيد "**بارتون**" لسيدة تعمل على تكافؤ العدد بين الحاضرين من النساء ، غير أنه ما كان لي أن أتساءل عن شيء من هذا القبيل قبل حضورك فعلا ، ترى ماذا دهاني هذا الصباح لأتحدث عن هذه الأمور التافهة بعد أن قضي كل شيء .

– ولكنني أراك قد حضرت لمزاولة عملك كالعادة !

– بكل تأكيد إنه عملي ، وأمامي الكثير مما يجب أن أعنى به .

بوجهها عنه لتخفي ما اختلج به وجهها من انفعال .وتبين "**ريس**" من ذلك أنها ليست المرأة التي تحاول أن تتظاهر بغير حقيقتها ، وقد رجح هذا لديه كفة براءتها وإن كان لم يؤكدها له وأجل الحكم عليها إلى مابعد الفراغ من حديثه معها . وأخيرا استدارت إليه "**روث**" لتجيب معقبة على ملاحظته الأخيرة في هدوء :

– لقد عملت معه في هدوء ، لقد عملت معه طوال سبع سنوات ، وقد كنت أعرف مايريد، وأعتقد أنه كان يثق بي .

– وهذا هو ما تبينته من حديثه عنك . لقد اقتربت ساعة تناول طعام الغداء وكنت أرجو أن توافقي على اصطحابي لتناوله في مكان هادئ ، فثمة الكثير مما أود أن أصارحك به .

– شكرا ، إنه ليطيب لي أن ألبي دعوتك .

واصطحبها إلى مطعم صغير سبق أن تردد عليه . وبعد أن جلسا إلى مائدة تحرى أن تكون بعيدة عن غيرها أمر الساقي بأن يأتيهما بطعام الغداء . وبعد انصراف الساقي تأمل "**ريس**" زميلته عبر المائدة ممتدحا فيما بينه وبين نفسه أناقتها واتساق ملامحها ، وعمد إلى الحديث عن بعض الأمور العامة التي لها أهميتها ، ورآها تتابع حديثه في وعي وذكاء .

وبعد أن عاد الساقي بالطعام ثم انصرف ثانية بادرت "**روث**" قائلة :

– إنك تريد أن تتحدث معي بشأن ماكان في الليلة الماضية ، أرجو ألا ترى حرجا من تنفيذ رغبتك هذه . إن ما حدث كان مفاجأة غير منتظرة مما أجدني في لهفة لإعادة الحديث عنه ولو لم يكن ما حدث قد حدث في وجودي لما كنت قد صدقت شيئا منه .

– لقد التقيت بكبير المفتشين "**كيمب**" أليس كذلك ؟

– بلى ، الليلة الماضية . ولقد رأيت فيه رجلا لماح الذكاء كثير الخبرة ، هل كان الحادث حقيقة جريمة قتل ؟

– هل هذا هو ما قاله لك "**كيمب**" ؟

– إنه لم يصارحني بذلك ، وإن كانت أسئلته التي وجهها إلي تنم عما يجول بخاطره .

– إن لرأيك في تكييف هذا الحادث ، ما إذا كان انتحارا من عدمه ، وزنه الخاص الذي يمكن أن يعتد به ، لقد كنت وثيقة الصلة بـ"**بارتون**" ، كما كنت ملازمة له أكثر من غيرك بالأمس فيما يبدو لي ، ترى كيف كان مسلكه ؟ هل كان يبدو كعادته أم كان قلقا لايستقر له حال ؟

– لقد كان على غير عادته فعلا – غير أني أعرف السبب في هذا .

ثم قامت بإيضاح الموقف الناشئ عن موضوع "**فيكتور دريك**" ونقلت لـ"**ريس**" صورة موجزة لهذا الرجل ولتاريخ حياته وعقب "**ريس**" على ماسمعه منها قائلا :

– إنه بمثابة النقطة السوداء التي لامفر منها في كل أسرة ، وهل كان "**بارتون**" قلقا بسببه ؟

– قد يكون من العسير إيضاح هذا الأمر . لقد كنت أعرف السيد "**بارتون**" حق المعرفة كما قلت لي ذلك . لقد كان ضيق الصدر بالأمر كله .. وأعتقد أن لحالة السيد "**دريك**" أثراً فيما كان يشعر به السيد "**بارتون**" من ضيق وضجر .

ومن هنا كانت رغبته في وضع حد لهذه المشكلة ، غير أنني قد خيل إلي ..

– فلتصارحيني بانطباعاتك ، إنني مطمئن إلى دقة ما سأسمعه منك .

– فقد خيل إلي أن ضيقه ليس من نوع هذا الضجر الذي ألفته منه ؛ وذلك لأن مشكلة "**فيكتور دريك**" لم تكن الأولى من نوعها . لقد كان الرجل في هذه البلاد منذ عام وتعرض لبعض المتاعب مما حدا بنا إلى العمل على إبحاره إلى "**أمريكا الجنوبية**" ثم عاد في شهر حزيران (يونيو) الماضي يبرق إلينا بحاجته إلى مبلغ من المال . ومن هنا ترى أن مشكلات "**فيكتور دريك**" وآثارها في نفس السيد "**بارتون**" كادت تكون مألوفة لدي . وقد خيل إلي أن ضيقه بهذه البرقية راجع أصلا لوصولها في هذه اللحظة التي كان منشغلا فيها بالإعداد لتلك المأدبة التي كان بسبيل إقامتها .

– ألم يتبادر إلى ذهنك مايثير تساؤلك عن هذه المأدبة واهتمام السيد "**بارتون**" بإقامتها إلى هذا الحد ؟

– بلى ، هذا ما كان فعلا . لقد كان السيد "**بارتون**" جد مهتم بإقامة المأدبة والدعوة إليها .

– ألم يخطر ببالك أنه قد يكون له غرض خاص من الدعوة إلى هذا الحفل ؟

– هل تعني أنها كانت صورة طبق الأصل من مأدبة العام الماضي التي انتحرت أثناءها السيدة "**بارتون**" ؟

– أجل .

– أصارحك القول إن الفكرة قد بدت لي شاذة غير مألوفة

– ولكن "**جورج**" لم يفض لك بخبيئة نفسه ؟

– كلا ..

– الآنسة "**ليسنج**" ، أخبريني ، ألم يتطرق إلى نفسك أي شك بالنسبة لما قيل عن انتحار السيدة "**بارتون**" ؟

– نعم ... لم يحدث ..

– ألم يخبرك "**جورج بارتون**" بأنه كان يعتقد بأن زوجته قد ماتت مقتولة ؟

– وهل كان "**جورج**" يعتقد ذلك ؟

– يبدو لي أن هذه الأنباء جديدة بالنسبة إليك .. أجل فقد تلقى "**جورج**" رسائل من مجهول تقرر بأن زوجته لم تنتحر بل ماتت مقتولة .

– إذن فهذا هو السبب فيما كان يبدو عليه إبان هذا الصيف ،إنني لم أستطع أن أتبين السبب في غرابة أطواره .

– ألم تعرفي شيئا عن هذه الرسائل المجهولة ؟

– لا ... لم أعرف .. وهل كانت هذه الرسائل أكثر من واحدة .

– لقد أطلعني على اثنتين .

– لم أعرف شيئا عنهما .

وكان في لهجتها أسف ومرارة ، وتأملها "**ريس**" قليلا قبل أن يقول لها :

– والآن ، يا آنستي ، ما رأيك ؟ أو من الممكن أن يقدم "**جورج**" على الانتحار ؟

– لا .. لا ..

– ولكنك قلت إنه كان قلقا ثائر الأعصاب .

– أجل ، ولكنه كان على هذه الحال لفترة ما . وإنني لأدرك الآن السبب في ذلك. كما أدرك السبب في اهتمامه بمأدبة الليلة الماضية ، فلابد أن يكون ثمة نظرية خاصة في ذهنه – ولعله كان يرجو بإعادة جميع الأوضاع والظروف لتلك المأدبة أن يتوصل إلى مايبغى من معلومات – إنني لأرثي لحاله ، فقد كان يحتمل العبء وحده .

– وماذا عن "**روز ماري بارتون**" ؟ هل ما زلت تعتقدين أن وفاتها كانت انتحارا ؟ – لم يدر بخلدي أن موتها كان شيئا غير ذلك . فلقد بدا لي كما بدا لغيري أن الأمر كان طبيعيا .

– تلك الحالة من الانقباض من تأثير "**الإنفلونزا**" ؟

– وقد يكون السبب أجل من ذلك وأعمق . لقد كانت تبدو تعسة بما لايدع مجالا للشك ... حسنا .. أجل على الأقل إن هذا كان مجرد حدس مني .. وقد أكون مخطئة فيما ذهبت إليه . غير أن النساء ممن هن على شاكلة السيدة "**بارتون**" لايمكن أن يخفين شيئا من مشاعرهن . ولا أظن أن السيد "**بارتون**" كان يشك في شيء... أجل لقد كانت جد تعسة . كما أعرف أنها كانت تشعر بصداع في تلك الليلة .

– وكيف علمت بذلك . بأمر هذا الصداع ؟

– سمعتها تقول للسيدة "**ألكسندرا**" شيئا من هذا القبيل ، في غرفة الملابس حينما كنا نخلع معاطفنا بها ، وكانت ترجو لو استطاعت الحصول على برشامة "**فيفر**" ، وكانت السيدة "**ألكسندرا**" تحمل إحداها وأعطتها إياها ، لحسن الحظ !

– أعطتها إياها ؟

– اجل .

وأعاد كأسه التي كان بسبيل أن يرتشف منها جرعة دون أن يتذوق منها شيئا .

وتطلع إليها بعينين متسائلتين عبر المائدة . ولم يدر بخلد الفتاة أن فيما قالته دلالة خاصة . غير أن ما قالته كان له أهميته الكبري ، بما كان يعنيه من أنه قد أتيح

لـ"**ساندرا**" ، ما لم يكن متاحا لها في مقعدها من المائدة من دس السم في كأس "**روز ماري**" .

وبادر "**ريس**" الفتاة مستفسرا :

– هل شاهدت "**روز ماري**" تتعاطى هذه البرشامة ؟

– لا .. لقد رأيتها تتسلمها منها وتشكرها .

وهذا يعني أن "**روز ماري**" بعد تسلمها للبرشامة قد تكون وضعتها في حقيبة يدها ، ثم ابتلعتها في أثناء العرض حينما استبد بها ألم رأسها . إنه مجرد افتراض وإن بدا أكثر احتمالا .

وانبرت "**روث**" تقطع عليه حبل تأملاته بسؤالها :

– ولماذا تسألني عن ذلك ؟ لقد فهمت الآن . فهمت ما الذي حدا بـ"**جورج**" إلى ابتياع هذا البيت في الريف بجوار بيت آل "**فاراداي**" ، كما أدرك السبب الآن في عدم مصارحته لي بأمر هذه الرسائل . فقد بدا لي هذا ، لأول وهلة ، أمرا غير مألوف منه . غير أنه إذا ما كان قد صدق ما ورد بهذه الرسائل فإن هذا يعني أن أحدا منا ، من هؤلاء الخمسة المدعوين ، هو الذي أقدم على قتل زوجته وقد يكون.. وقد يكون هذا الفاعل هو أنا .

وفي صوت هادئ رقيق سألها "**ريس**" :

– هل كان لديك ما يدفعك إلى قتل "**روز ماري بارتون**" ؟ وخيل إليه ، في أول الأمر أنها لم تسمع ما وجه إليها من سؤال فقد كانت جالسة في سكون وأطرقت برأسها في صمت . وفجأة قالت :

– قد يكون ما سأفضي به إليك مما لايعني الغير سماعه . غير أنني أعتقد أن من الخير أن أحيطك علما بدخيلة نفسي . لقد كنت مغرمة بـ"**جورج بارتون**" .

كنت أحبه قبل أن يلتقي بـ"**روز ماري**" .. ولست أعتقد أنه كان يعرف ذلك – أو يعنيه من أمري شيء . أعني أنه لم يعنه من أمري شيء كامرأة . ومع ذلك ، فإنني لم أنقطع عن التفكير في أنني كنت سأكون له خير زوجة .. وأنه كان في وسعي أن أجعل منه رجلا سعيدا . لقد كان مولعا بحب "**روز ماري**" ولكنه لم يكن سعيدا بهذا الحب .

– وهل كنت تكرهين "**روز ماري**" ؟

– أجل كنت أكرهها . لقد كانت امرأة محبوبة بل جذابة ، قادرة على أن تسحر من تلتقي به من الرجال ، لقد كنت أمقتها . وليس من شك في أنني فوجئت بموتها ، غير أنني لم أشعر بالأسى لذلك ، بل أخشى أن أصارحك بأنني سررت بموتها .. سيدي ،

هل نطرق موضوعا آخر للحديث ؟

– فليكن ، دعينا ننتقل إلى ما وقع بالأمس ، وأرجو أن تحدثيني بتفصيل عن كل ماتذكرينه من تصرفات "**جورج**" ومن أقواله من الصباح إلى مابعد ذلك .

وراحت "**روث**" تسرد على مسامعه كل ماكان من "**جورج**" منذ الصباح الباكر بعد تلقيه يرقبه " **فيكتور**" وما كان من اتصالها التليفوني بـ"**أمريكا الجنوبية**" وما قامت به من تسوية الأمر .

ثم حدثته عن مطعم "لكسمبورج" منذ وصولها ، وعناية "**جورج**" بضيوفه ، إلى آخر ما كان من تلك المأساة التي اختتم بها الحفل . وكانت أقوالها مطابقة لما سبق أن سمعه من غيرها ، واختتمت حديثها قائلة بعد ما تبينته من حيرة في وجه "**ريس**" وتقطيبه ، وهو يستمع إلى تفصيلات وفاة "**جورج بارتون**" :

– لم يكن الحادث انتحارا . . إني واثقة من أنه لم ينتحر . . وإن كنت لا أستطيع أن أعرف كيف قتل . إن أحدا منا لم يكن في وسعه أن يدس السم لـ"**جورج**" . إن الفاعل يجب أن يكون من غير المدعوين بينما كنا في حلبة الرقص . غير أنه إن صح هذا التخمين ، فمن عساه أن يكون هذا الشخص . .؟ إن الأمر ليختلط علي .

– لقد اجتمعت الأدلة على أن أحدا ما لم يقترب من المائدة في أثناء غيابكم عنها .

– وهنا بيت القصيد ! إن سم السيانيد لايتحرك من تلقاء نفسه إلى كأس ليستقر بها !

– أليس لديك أية فكرة – أو أي شك فيمن عساه أن يكون قد قام بدس السم في كأس السيد "**بارتون**"؟ فلتستعرضي معي أحداث الليلة الماضية . ألا يوجد شيء يثير شكوكك ، مهما كان من صغر شأنه ؟

رأى وجهها يتغير ، ومضت عيناها بلمحة من الشك . ثم ترددت لحظة قبل أن تجيب :

– لا شيء .

غير أنه كان واثقا من أن ثمة شيئا ما . وهذا الشيء قد رأته أو سمعته أو لاحظته، وقد قررت لسبب ما ، ألا تصارح به أحدا .

وآثر ألا يلح عليها في الإفضاء بشيء عقدت العزم على كتمانه .

فقد كان يدرك أن أية محاولة من هذا القبيل مع فتاة من طراز "**روث**" لن تجدي. ومثل هذه الفتاة ، إذا ماعقدت العزم على الالتزام بالصمت ، فلا جدوى من محاولة حملها على العدول عن رأيها .

ومع ذلك ، فإنه قانع بما لمسه من أن هناك شيئا ما ، فقد كان هذا بمثابة الثغرة الأولى

التي ينبعث من خلالها شعاع الأمل في هذا الجدار الأصم الذي واجهه منذ أن حاول الاهتداء إلى مايتشبث به في تقصيه لحقيقة هذه الجريمة . واستأذنت "**روث**" في الانصراف بعد الفراغ من تناول طعامهما ،وتوجه إلى ميدان "**فاستون**"، وهو لا يزال يفكر في أمر هذه المرأة التي تركها لتوه .

أو يمكن أن تكون "**روث ليسنج**" هي الجانية ؟ إنه يميل إلى عدم تصديق هذا الاحتمال . فلقد بدت له صريحة صادقة في أقوالها .

هل هي ممن لهن القدرة على اقتراف مثل هذه الجريمة ؟ إن غالبية الناس يستطيعون ذلك، إذا مابلغ بهم الأمر إلى هذا الحد .

إنهم يكونون قادرين على ارتكاب حادث فردي له ظروفه الخاصة ، وإن كانوا عاجزين عن القتل بصفة عامة . لقد لمس من هذه المرأة ناحية من نواحي القسوة وهي لاتعدم الدافع – الدافع الخاص الذي يحملها على القتل . إنها بالتخلص من "**روز ماري**" . تفسح الطريق أمام نفسها لتصبح زوجة لـ"**جورج بارتون**" . وسواء أكان زواجها منه لمجرد الرغبة في الزواج من رجل ثري أم لمجرد الرغبة في الزواج من رجل تحبه ، فالأمر سيان بالنسبة لإزاحة "**روز ماري**" من طريقها . وراح "**ريس**" يقلب الأمر على كل جوانبه ، بما في ذلك تلك الرسائل المجهولة التي تلقاها "**جورج**" ، وما كان بعد ذلك من إعداد الأخير للفخ الذي كان يعتقد أن القاتل سيتردى فيه ، وأن هذا القاتل قد رأى أن يسكته إلى الأبد ، قبل أن يفتضح أمره .

وظل هكذا في تردده بين اتهام "**روث**" وبين تبرئتها إلى أن وصل إلى بيت في ميدان "**فاستون**" .

- 21 -

رحبت "**لوسيلا دريك**" بزيارة العميد "**ريس**" ، وكانت نوافذ الغرفة مغلقة، واستقبلته "**لوسيلا**" متشحة بالسواد، وفي يدها منديل تجفف به عينيها وهي تقول:

– إنه يسرها أن تلتقي بصديق قديم للعزيز "**جورج**" . وتريث "**ريس**" مترقبا أن تنتهي من ثرثرتها ، عساه أن يجد فرصة ليبدأ الحديث معها ، وتناولت في حديثها غير المنقطع ، الذي لم تدع فيه فرصة للعميد "**ريس**" ، جميع أفراد الأسرة من "**جورج بارتون**" ، إلى "**أيريس**" إلى "**روز ماري**" ، إلى الآنسة "**ليسنج**" التي كانت تعد بمثابة فرد من أفراد الأسرة ، وأخيرا عرجت إلى الحديث عن ابنها "**فيكتور**" وعن سذاجته واستغلال أصدقائه له .

وقد استغرق الحديث عن "**فيكتور**" وحده طوال عشرين دقيقة ، وما إن شعر "**ريس**" في نهايتها بأن الفرصة ستسنح له أن يبدأ الحديث معها ، حتى عرجت إلى الحديث عن خدم المنزل . وحاول "**ريس**" عندما توقفت عن الاسترسال في حديثها لتلتقط أنفاسها أن يقطع عليها تيار هذا الحديث ليعود بها إلى ما حضر من أجله، ولكنها لم تدع له الفرصة بل رآها تخرج إلى الحديث عن حياة "**هيكتور مارل**" وعن زواجه من والدة كل من "**روز ماري**" و"**أيريس**" ، وعن علاقة "**بول بينيت**" بهذه الأسرة ، وعن وصيته التي ترك بها ثروته الطائلة لـ "**روز ماري**" ، والتي ستؤول من بعدها إلى شقيقتها "**أيريس**" ، وانتهز فرصة ما أبدته من قلق بشأن "**أيريس**" ، بعد أن أصبحت الوريثة الوحيدة لهذه الثروة الطائلة ، فانبرى يسألها عما يثير قلقها وإشفاقها . وهنا قالت له مستطردة :

– إن عبء مسؤوليتي الجسيمة . يتركز حول ما أشعر به من ضرورة مراقبة كل من يتصل بها من الشباب . إن هذا الواجب ليس باليسير كما كان في الماضي. فقد تغير المجتمع واختلط الحابل بالنابل.وكان "**جورج**" هو الآخر قلقا من أجل"**أيريس**" ، ولم يكن راضيا عن صداقتها بهذا الرجل الذي يدعى "**براون**" .ولم يسبق لي أن التقيت بهذا الرجل لأنه ممن يرفضون الحضور إلى المنزل، لتكون معرفته بها على أساس عائلي . وكان "**جورج**" لايميل إليه ، وأنا واثقة من ذلك تمام الثقة . وفي رأيي أن الرجال هم خير من يحكمون على غيرهم من الرجال .

وسمع "**ريس**" صوتا تطلع في أثره إلى الباب المفتوح . وكان قد سبق له أن التقى بـ"**أيريس**" من قبل – في بيت "**ليتل برايورز**" .

ومع ذلك فقد شعر بأنه يراها الآن لأول مرة . وفوجئ بما تبينه في ملامحها من توتر ، وفي عينيها من نظرة لها دلالتها ، وإن كان لم يعرف سببا لذلك . واستدارت "**لوسيلا دريك**" بدورها لتقول :

– "**أيريس**" ؟ لم أسمع صوتا لخطواتك . . إنك تعرفين من هو العميد "**ريس**" ؟ لقد تفضل علينا بهذه الزيارة .

وتقدمت "**أيريس**" تصافحه . وقد بدت في ثوبها الأسود أكثر نحافة مما كانت عليه من قبل ، كما كانت أكثر شحوبا عما كانت عليه في أول لقاء بينهما . وقال وهو يصافحها:

– لقد حضرت لأرى ما إذا كنت أستطيع أن أقوم بخدمة ما .

– شكرا شكرا ، لهذه الخطوة من ناحيتك .

وكان واضحا . أنها صدمت بما حدث ، وأنها ما زالت تحت تأثير هذه الصدمة إلى حد كبير . ولكن أتراها كانت شديدة التعلق بـ"**جورج**" إلى هذا الحد الذي يؤثر فيها موته

هذا التأثير العميق الأثر ؟ ورآها تلتفت إلى عمتها بنظرات متسائلة وهي تقول :

– عم كنت تتحدثين الآن ، حينما قدمت ؟

وصعدت الدماء إلى وجه "**لوسيلا**" ، وأرتج القول عليها . وتبين "**ريس**" ، أن المرأة لا تريد أن تخوض في حديث عن "**أنتوني براون**" . فأسرعت قائلة :

– كنت أتحدث عن يوم القديسين الذي تصادف أنه كان بالأمس .. وقد كانت هذه المصادفة من المصادفات العجيبة التي لايمكن أن يؤمن بها الإنسان في حياتنا هذه .

فعقبت "**أيريس**" متسائلة :

هل تعنين أن "**روز ماري**" قد عادت بالأمس لتصطحب "**جورج**" إلى عالمها .

وصرخت "**لوسيلا**" قائلة :

– "**أيريس**" ، بربك لا تتحدثي عن ذلك ، يا لها من فكرة رهيبة .. أبعد ما تكون عن تعاليم الدين المسيحي .

– ولماذا ؟ إنه يوم الموتى . وفي "**باريس**" ، يذهب الناس إلى القبور لوضع الأزهار عليها .

– أعرف ذلك ، غير أن هذه عادة كاثوليكية .

وانفرجت شفتا "**أيريس**" عن ابتسامة باهتة وهي تقول :

– أعتقد أنك كنت تتحدثين عن "**أنتوني براون**" .

– حسنا ، في الواقع إنا كنا نتحدث عنه . وكل ما قلته إنني لا أعرف شيئا عنه ... كما تعلمين .

– ولماذا تريدين أن تعرفي عنه أي شيء ؟

– لا .. ياعزيزتي ، فليس من الضروري أن أعرف عنه أي شيء ، غير أنني كنت أعني أنه قد يكون من الأفضل أن نعرف عنه الكثير .

– ستتاح لنا الفرصة لنلم بالكثير عنه مستقبلا ، لأنني سأتزوج منه .

– "**أيريس**" يجب عليك ألا تندفعي في أي شيء من هذا القبيل – أعني أنه لايمكن البت في شيء مثل هذا في الوقت الحاضر .

– لقد انتهى تقرير كل شيء .

– لا ياعزيزتي ، فليس من المستحب الحديث في أمر الزواج بيننا ولم تشيع بعد جنازة الفقيد . إنه لمسلك مناف لكل تقليد مرعي . ثم إن التحقيق لم ينته أمره بعد ، وما أظن أن "**جورج**" العزيز كان ليقر شيئا مثل هذا ، فقد كان لايحب السيد "**براون**" هذا .

– صحيح إن "**جورج**" كان لا يوافق على هذا الزواج ، وإنه كان لا يحب "**أنتوني**" ،

غير أن هذا لا يؤثر في قراري من قريب أو من بعيد إنها حياتي وليست حياة "**جورج**" - ومهما يكن من أمر ، فإن "**جورج**" قد مات " ..

- "**أيريس**" ! "**أيريس**" ! ماذا دهاك ؟ إن ما يصدر عنك ينم عن شعور ميت .

- إني لجد آسفة . أعرف أن ما صدر عني مناف لكل ذوق سليم ، وإن كنت لا أعني ما فهمت. إنني أردت أن أقول إن "**جورج**" يرقد في سلام الآن لايشغله أمري أو أمر غيري. وإنني يجب أن أقرر لنفسي ما أريد .

- هراء، هراء، يا عزيزتي، إن شيئا ما لا يمكن أن يبت فيه برأي في وقت كهذا.. فالوقت غير مناسب ولا داعي لإثارة هذه المسألة الآن .

- ولكنها قد أثيرت من قبل . لقد عرض علي "**أنتوني**" الزواج منه قبل أن تغادر "**ليتل برايورز**" . ولقد سألني أن أسافر إلى "**لندن**" لعقد الزواج في اليوم التالي دون أن يعلم بذلك أحد . وياليتني كنت قد وافقت على ماسألني إياه .

وهنا تدخل العميد "**ريس**" قائلا في رقة ، بعد أن كان يصغى إلى هذا الحديث الطارئ بين المرأتين :

- لقد كان هذا العرض شاذا ، بكل تأكيد .

فحدجته بنظرات جريئة ، كلها تحد وهي تقول :

- لا ، لم يكن هذا العرض كذلك . ولو أنني قبلته لجنينا الكثير . لقد سألني أن أثق به، ولكنني لم أوله ثقتي . ومهما يكن من أمر ، فإنني متزوجة منه حينما يشاء .

وانفجرت "**لوسيلا**" غاضبة ، وراحت تنعي عليها تهورها وعدم تبصرها بالأمور، لمرأة تهتز غضبا وقد اغرورقت عيناها بالدموع. ورأى العميد "**ريس**" أن يتولى زمام الموقف بقوله:

- الآنسة "**مارل**" ، هل تسمحين لي بكلمة قبل انصرافي ؟ إنها كلمة عمل جادة؟ وتمتمت الفتاة موافقة وتقدمته إلى باب الغرفة . والتفت "**ريس**" إلى السيدة "**دريك**" ، وقال لها وهو يتقدم منها خطوتين :

- السيدة "**دريك**" لا تبتئسي . إن كل شيء يمكن إصلاحه . وسنرى ماذا في وسعنا أن نفعل .

وتبع "**أيريس**" التي تقدمته عبر البهو إلى غرفة صغيرة تطل على حديقة خلفية صغيرة . وبدأ "**ريس**" الحديث في لهجة جادة :

- إن كل ما أريد قوله ، هو أن كبير المفتشين "**كيمب**" ، هو صديق شخصي لي، وإنك ستجدين فيه خير معين لك . إن مقتضيات منصبه قد لاتروق لأحد، غير أنني واثق من

أنه سيؤدي واجبه بحيث لا يثقل على أحد به .

فتأملته قليلا ، قبل أن تبادره قائلة :

– لماذا لم تحضر وتنضم إلينا بالأمس كما كان "**جورج**" يتوقع هذا ؟

– إن "**جورج**" لم يكن يتوقع حضوري .

– ولكنه قال لنا هذا .

– ربما يكون قد قال شيئا من هذا القبيل ، ولكنه لم يكن صادقا . لقد كان "**جورج**" يعلم تمام العلم بأنني لن أحضر .

– ولكن ، هذا المقعد الخالي ... لمن كان ؟ .

– إنه لم يكن لي .

وأسبلت جفنيها وقد شحب وجهها ، وقالت هامسة :

– إنه كان لـ "**روز ماري**" ... فهمت لقد كان لـ "**روز ماري** " ...

وخيل إليه أنها توشك أن تسقط فاقدة الوعي ... فأسرع إليها يتلقاها بين ذراعيه ، ويقودها إلى أقرب مقعد وهو يقول :

– هوني عليك ..

فقالت له لاهثة الأنفاس ، في صوت خفيض :

– إنني لست أدري ماذا أنا فاعلة .

– هل يمكن أن أعاونك في شيء ؟

ورفعت عينيها إليه ، وكانت نظرتها غامضة نفاذة وهي تقول له :

– يجب أن أعرف حقيقة كل شيء . يجب أن أجلو هذا الغموض أولا ، لقد كان "**جورج**" واثقا من أن "**روز ماري**" لم تنتحر – وأنها قد قتلت . وكان واثقا من ذلك ، بسبب هاتين الرسالتين المجهولتين . العميد "**ريس** " ، من مرسل هذين الخطابين ؟

– لست أدري . وما من أحد يعرف عن حقيقة هذا الأمر شيئا . هل لديك أية فكرة عن ذلك ؟

– كان "**جورج**" مؤمنا بما ورد فيهما ، وقد استتبع ذلك إعداده لمأدبة الليلة الماضية ، كما أمر بوضع هذا المقعد الخالي ، وكان الأمس هو يوم عيد القديسين...

– وهو ما يسمونه بيوم الموتى .. إنه اليوم الذي كان يمكن أن تعود فيه روح "**روز ماري**" إلى عالمنا هذا .. وتصارحه بحقيقة الأمر .

– يجب ألا يذهب بك خيالك إلى هذا الحد .

– بل لقد شعرت بها بنفسي .. شعرت بها قريبة مني ، بيد إنني شقيقتها... وأعتقد

أنها كانت تحاول أن تفضي إليّ بشيء ما .

- " **أيريس** " ، هوني عليك .

- يجب ألا أتوقف عن هذا الحديث . لقد شرب "**جورج**" نخب "**روز ماري**" ثم سقط ميتا . ربما تكون قدحضرت واصطحبته معها ..

- إن أرواح الموتى لا تدس سم " **سيانيد البوتاسيوم** " في كأس للشراب ، ياعزيزتي .

وقد كان لهذه الكلمات أثرها في استعادتها لرباطة جأشها .

وقالت في لهجة عادية .

ولكن هذا أمر بعيد عن التصديق . إن "**جورج**" قد قتل .. نعم ، قتل .. إن هذا هو رأي رجال الشرطة وهو عين الحق ، لأنه لا يوجد له بديل.

- ولكنني لاأرى معنى لكل هذا .

- ألا ترين هذا فعلا ؟ فإذا ما كانت "**روز ماري**" قد قتلت ، وكان " **جورج**" قد بدأ يساوره الشك فيمن . . .؟

فقاطعته قائلة :

- ولكن "**روز ماري**" لم تقتل . وهذا هو السبب في أن الأمر لا يبدو منطقيا. لقد صدق "**جورج**" هذه الرسائل ، لأن حالة الانقباض عقب " **الإنفلونزا**" لم تكن من الأسباب المقنعة ليقدم المرء على الانتحار . غير أن ثمة سببا آخر لانتحار "**روز ماري**" .. إنني سأطلعك عليه .

وأسرعت تغادر الغرفة ، ثم تعود بعد قليل برسالة مطوية في يدها ، ناولته إياها وهي تقول :

- فض الرسالة . . .

قرأ الرسالة وأعاد قراءتها مرتين . وكانت هذه الرسالة موجهة إلى :

"**ليونارد**" العزيز .

ثم أعادها إلى "**أيريس**" التي قالت له :

- هل رأيت بنفسك؟! أنها لم تكن سعيدة .. وكانت كسيرة القلب . ولم تكن ترغب في الحياة .

- أو تعرفين لمن كانت هذه الرسالة موجهة ؟

- إلى "**ستيفن فاراداي**" . إنها لم تكن موجهة إلى " **أنتوني**" . لقد كانت مدلهة في حب " **ستيفن**" الذي كان يعاملها بقسوة ، ولذلك رأت أن تقدم على الانتحار في حضوره . ولعلها كانت ترجو من ذلك أن تشعره بجريرة عمله وسلوكه معها .

– ومتى عثرت على هذه الرسالة ؟ .
– منذ حوالي ستة أشهر ، لقد عثرت عليها في جيب رداء منزلي قديم .
– ألم تطلعي "**جورج**" عليها ؟
– كيف كان يمكن أن أقوم بشيء من هذا القبيل ؟ إن "**روز ماري**" هي شقيقتي. كيف يمكن أن أفضي سرا لها إلى زوجها ؟
لقد كان واثقا من أنها تحبه . كيف كان يتسنى لي أن أطلعه على هذه الرسالة بعد موتها ؟ إن ما أريد معرفته الآن ، هو ماذا تراني فاعلة ؟ لقد أطلعتك على هذه الرسالة لأنك كنت صديقا لـ"**جورج**" . هل يتعين علي أن أطلع عليها المفتش "**كيمب**" ؟
– أجل . فمن المتعين أن يطلع "**كيمب**" على هذه الرسالة . إنها دليل له قيمته وأهميته .
– غير أنهم .... قد يأمرون بتلاوتها في المحكمة ؟
– قد لا يتطلب الأمر شيئا من هذا القبيل . إن التحقيق الآن يجري بشأن وفاة "**جورج**" . ولن يكشف عن شيء لا يتصل بهذه القضية اتصالا وثيقا . يستحسن أن تسلميني هذه الرسالة الآن .
ناولته الرسالة ، ونهضت معه تودعه إلى الباب الخارجي ، وقالت له قبل أن يخطو إلى الخارج .
– إنها تدل دلالة واضحة ، على أن "**روز ماري**" قد انتحرت ، أليس كذلك ؟ .
– إنها تدل بصفة قاطعة على أن "**روز ماري**" كان لديها الدافع للانتحار .
وزفرت زفرة حارة ، بعد أن صافحها هابطا الدرج – والتفت وراءه ، ليراها واقفة في فرجة الباب ، تتبعه بنظراتها وهو يجتاز الميدان .

- 22 -

استقبلت "**ماري ريز تالبوت**" ، العميد "**ريس**" غير مصدقة عينيها وهي تقول :
– إننا لم نلتق منذ اختفائك ومنذ أن غادرت" الله اباد" سرا . ترى ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ ليس هذا من أجلي ، إنني واثقة من ذلك . إنك لست ممن يعنون بالزيارات الاجتماعية . هات ما عندك دون مقدمات دبلوماسية .
– إن الأساليب الدبلوماسية لا تجدي معك نفعا . "**ماري** " ، إنني أقدرك حق قدرك ، وأقدر صفاء ذهنك .
– قلت لك دعك من هذه المقدمات ، وادخل في الموضوع مباشرة .

– هل الخادمة التي فتحت الباب لي تدعى "**بيتي آركدال**" ؟

– والآن ، لا تقل لي إن هذه الفتاة ، إحدى الجواسيس المعروفين لديك ، لأنني لن أصدق شيئا من هذا القبيل .

– كلا ، كلا ، اطمئني ، فقد خاب فألك .

– ولا تقل لي إنها من بين أفراد جهاز مقاومة الجاسوسية لأني لن أصدق هذا .

– فليكن ، إن الفتاة ليست بأكثر من إحدى الخدم .

– ومنذ متى أصبحت تعني بأمر الخادمات – لا تقل لي هذا أيضا .

– أعتقد أنه قد يكون في وسعها أن تخبرني بشيء ما .

– هذا إذا ما وجهت إليها سؤالك بلطف . قد يكون في قولك هذا بعض الحقيقة. إن من عادتها استراق السمع إذا ما اقتضى الأمر ذلك . ترى ماذا تفعل "م" ؟

– إن "م" تعرض عليّ تناول كأس من الشراب وتستدعي "**بيتي**" وتأمرها بأن تأتي به .

– ومتى تأتي به "**بيتي**" ؟

– تأتي به حينما تكون "م" قد انصرفت ...

– لتقوم باستراق السمع خارج الباب ؟

– لا مانع من ذلك إذا شاءت .

– وبعد هذا أكون قد تزودت بأحدث الأنباء عن الأزمة الأوربية الأخيرة ؟

– أخشى ألا يتحقق ظنك ؛ إذ لا صلة لهذا الأمر بأي وضع سياسي .

– لقد خاب ظني ! فليكن . سأقوم بأداء الدور .

وقامت السيدة "**ريز تالبوت**" ، التي كانت تفيض حيوية على الرغم من أنها جاوزت التاسعة والأربعين من عمرها ، باستدعاء خادمتها الجميلة وإصدار أمرها إليها بأن تأتي للعميد "**ريس**" بكأس من الشراب والصودا . وما إن عادت "**بيتي آركدال**" بما أمرت بإمضاره ، حتى كانت السيدة "**ريز تالبوت**" واقفة بباب الغرفة تاركة "**بيتي**" وهي تتأمل الرجل الأشيب الطويل القامة في وقفته العسكرية وهو يتناول الكأس مبتسما قائلا

– هل اطلعت على صحف الصباح؟

– أجل يا سيدي .

– هل قرأت ما هو منشور بها عن وفاة السيد "**جورج بارتون**" الليلة الماضية في مطعم "**لكسمبورج**" ؟

– أجل يا سيدي .

– هل كنت تعملين بهذا المطعم ؟

– أجل يا سيدي . وتركت الخدمة به في الشتاء الماضي ، بعد وفاة السيدة "**بارتون**" مباشرة .

– لقد كانت وفاتها هي الأخرى بمطعم "**لكسمبرج** " ؟

– إنها مصادفة تدعو إلى العجب ، أليس كذلك ؟

– إنني أرى أن لك ذهنا صافيا ، وأن في وسعك أن تلمي بحقائق الأمور .

– وهل قتل هو الآخر ؟ إن هذا لم يبد واضحا بالصحف .

– ولماذا تقولين "هو الآخر " ؟ إن السيدة "**بارتون** " ، بناء على قرار قاضي التحقيق ، ماتت منتحرة .

ورمقته بنظرة خاطفة ، لم تخل من الإعجاب به على الرغم من كبر سنه . وتساءلت فيما بينها وبين نفسها عما يرمي إليه هذا السيد المهذب بكل معنى الكلمة . وأخيرا قالت له :

– نعم يا سيدي .

– ربما لم تعتقدي أن الحادث كان انتحارا ؟

– نعم يا سيدي ، لم أصدق شيئا من هذا القبيل .

– عجبا ! هذا تصريح له أهميته .. إنه في غاية الأهمية فعلا . لماذا لم تعتقدي أن الحادث كان انتحارا ؟

وترددت قليلا ، وأطرقت تعبث بأصابعها في ثوبها . وألح "**ريس**" عليها في أن تجيب عن سؤاله :

– أرجو أن تصارحيني بما تعتقدين . وقد يكون لما تقولينه أهمية تكشف لنا الكثير مما يكتنف هذا الحادث من غموض .

– لقد قتلت ياسيدي ، أليس كذلك ؟

– هذا جائز . ولكن أنى لك هذا الرأي ؟

– ما سمعته في يوم من الأيام .

– ترى ماذا سمعت ؟

– إن الباب لم يكن موصدا . أعني أنه ليس من خصالي أن أسترق السمع . غير أنني كنت أجتاز البهو إلى غرفة الطعام بينما كانوا يتحدثون بصوت مرتفع .

– وسمعتها – أعني السيدة "**بارتون**" ، تقول شيئا عن "**أنتوني براون**" ، وأن هذا ليس باسمه الحقيقي . وكان هذا الكلام في مواجهته، الأمر الذي أثار غضبه. وسمعته

يوجه إليها كلاما قاسيا لم أكن لأتوقعه منه .. وهو هذا الرجل الوسيم ، حلو الحديث ، الذي يبدو وديعا ، وسمعته يقول لها فيما قال : إنه لن يتحرج عن تشويه وجهها ، وعن قتلها – إذا ما استدعى الأمر ذلك – إذا لم تستجب إلى ما سألها إياه . ولم أسمع أكثر من ذلك لأن الآنسة "**أيريس**" كانت تهبط الدرج في تلك اللحظة . ولم أعلق كبير أهمية على ما سمعته عن انتحار السيدة " **بارتون**" في أثناء تلك المأدبة ، و عندما سمعت بأنه كان مدعوا إليها بدأت أضع النقط على الحروف !

– ولكنك لم تتحدثي إلى أحد ما بشيء عن ذلك ؟

– لأنني لم أكن أريد أن يقحم باسمي في هذه القضية – وبالذات لأنني لم أكن أعرف شيئا على وجه التحديد ، ثم لاتنس أنني لو كنت قد تحدثت بشيء من هذا القبيل ، لتعرضت أنا الأخرى للقتل .

– فهمت . ولذلك فضلت أن تكتبي للسيد "**جورج بارتون**" رسالة من مجهول؟

– أنا كتبت إلى السيد "**بارتون**" ؟ لم يحدث هذا إطلاقا .

– لا تخشي شيئا . لقد كانت فكرة تحرير الرسالة فكرة صائبة ؛ إذ إن هذه الرسالة قد أدت المطلوب منها دون أن يقحم اسمك في هذه القضية . . . إنها فكرة رائْعة .

– ولكني يا سيدي ، لم أفعل شيئا من هذا القبيل ، بل ولم يطرأ على بالي أن أقوم بذلك !

وكانت مندفعة في نفي هذا الموضوع ، بحيث بدت صادقة فيما حرصت على إنكاره ، مما كان من شأنه أن حمل "**ريس**" على تصديقها ، ورأى "**ريس**" أن ينتقل من هذه النقطة إلى غيرها قائلا :

– ومن يا ترى تحدثت إليه بما سمعت ؟

– إنني لم أتحدث إلى أحد بهذا . وأصارحك القول يا سيدي ، بأنني كنت في حالة من الخوف والفزع ، الأمر الذي حدا بي أن أحتفظ بهذا السر في صدري . بل وحاولت أن أنسى كل ما يتصل به . ولم يحدث أنني أثرته سوى مرة واحدة – وقد كان هذا حينما ألحت للسيدة "**دريك**" بكلمة عابرة منه .. وكانت ثرثارة إلى الحد الذي أثارني في يوم ما ، فقلت لها :"إن من الخير لي أن أبحث عن مكان آخر لا يقتل الناس فيه " . وقد شعرت بخطئي فور تفوهي بذلك ، وإن كانت لم تعر ماقلته انتباهها . وربما كان من الواجب عليّ أن أكشف عن هذا الأمر في حينه ، غير أن هذا هو ما حدث فعلا . ثم لماذا لا يكون ما سمعته مجرد دعابة من السيد "**براون**" الذي كان فيما يبدو على علاقة طيبة بالسيدة "**بارتون**" ؟

– لقد سمعت السيدة "**بارتون**" تتحدث عن اسم "**براون**" ليس باسمه الحقيقي ، فهل سمعتها تذكر شيئا عن حقيقة اسمه ؟ ثم استطردت تقول :

– أجل ، لأنني سمعته يأمرها أن تنسى كل شيء عن اسمه .

اسمه "**توني**" .. والآن ترى ماذا كان الاسم الثاني ؟ لقد قالت "**توني**" ... وبعدها اسم يذكرني بصنف من الحلوى كانت تقوم الطاهية بصنعه .

– "**توني شيريتون**" ؟ "**شيرابل**" ؟

فهزت رأسها نفيا ، قائلة :

– إنه اسم غريب ... يبدأ بحرف م . وله في السمع وقع أجنبي .

– لاتراعي . ستذكرينه في يوم ما . وإذا ما حدث ذلك فدعيني أعلم به . وإليك بطاقتي وبها عنواني . وإذا ما تذكرت الاسم فلتكتبي لي بهذا العنوان .

وأعطاها مع البطاقة ورقة نقدية .

– شكرا يا سيدي . سمعا وطاعة .

وعادت "**ماري ريز تالبوت**" إلى الغرفة بعد انصراف الخادمة قائلة :

– حسنا ، هل وفقت ؟

– أجل ، وإن كان ثمة بعض ما يجب أن نميط اللثام عنه . فهل تستطيعين بدهائك مساعدتي ؟ هل تذكرين اسما يذكرك بصنف من أصناف الحلوى ؟

– يا له من تكليف !

– فكري مليا . ولتركزي تفكيرك ، كسيدة ، فيما سألتك إياه ! وبعد أن راحا يستعرضان معا بعض أصناف الحلوى ، وما تصنع منه من فاكهة ، التقط "**ريس**" الاسم الذي وجده أقرب ما يكون إلى الاسم الذي يبحث عنه . وأخيرا قال لها :

– إلى اللقاء . إنني جد شاكر . هل تسمحين باستدعاء الخادمة لتشيعني إلى باب الخروج ؟

وتبعته السيدة "**ريز تالبوت**" قائلة :

– أيها الجاحد الناكر للجميل ! ألا تصارحني بحقيقة الأمر ؟

– ستعرفين القصة فيما بعد .

وبعد أن هبط الدرج إلى الطابق الأول وجد "**بيتي**" في انتظاره حاملة قبعته وعصاه . فشكرها بعد أن تناولهما منها ، ثم توقف عند الباب الخارجي قائلا :

– بالمناسبة ، هل كان هذا الاسم "**موريللي**" .

– أجل يا سيدي . "**توني موريللي**" . هذا هو الاسم الذي سألها أن تنسى كل شيء

عنه . وسمعته يقول لها إنه قد أمضى فترة بالسجن .

وهبط "**ريس**" الدرج الأمامي للمنزل وهو يبتسم . ومن أقرب كشك للتليفون اتصل بكبير المفتشين "**كيمب**" .

ولم يطل الحديث بينهما . وقال "**كيمب**" في نهايته :

سأبعث ببرقية فورا . وسأتلقى الرد فور وصولها . وفي الحق إن ما اهتديت إليه ، لو صح، لكان له أهمية قصوى .

– أعتقد أنه صحيح ... إن التدرج المنطقي واضح غاية الوضوح ...

- 23 -

كان المفتش "**كيمب**" ثائر الأعصاب .

فقد قضى نصف الساعة الأخير مع صبي في السادسة عشرة من عمره ، كان يصبو إلى أن يعمل ساقيا بمساعدة عمه "**شارل**" . وكان هذا الصبي واحدا من ستة مثله يعملون تحت التمرين بمطعم "**لوكسمبورج**" ، وكان عليهم العبء الأكبر من مقتضيات الخدمة بهذا المطعم . ولم يكن "**شارل**" ليظهر أية محاباة لهذا الصبي ، أو يفرق بينه وبين غيره من زملائه في المعاملة . ومع ذلك ، فقد كان "**بيير**" يصبو إلى أن يشغل في يوم ما ، منصب كبير السقاة في أحد المطاعم الراقية .

وها هو "**بيير**" يجد أن آماله تكاد تتعثر عندما رأى أنه موضع شك في جريمة لاتقل عن القتل .

وكان "**كيمب**" يحاول بشتى الوسائل أن يستمع لقصة هذا الفتى أكثر من مرة لعله يجد فيها ثغرة ينفذ منها . وهذه هي الإجابة التي استمع إليها "**كيمب**" أكثر من مرة :

– إن ما حدث كان حينما كنت مسرعا بإحدى الصحاف إلى السيد "**روبرت**" الذي كان نافذ الصبر ، وكان أن سقطت حقيبة إحدى السيدات على الأرض حينما نهضت إلى حلبة الرقص . وكل ما فعلته أنني التقطت الحقيبة وأعدتها إلى المائدة ، ثم واصلت طريقي إلى حيث وقف السيد "**روبرت**" يستحثني على الإسراع في حركات عصبية . وهذا هو كل ما حدث ، ياسيدي.

وهذا هو كل ما سمعه "**كيمب**" من هذا الفتى . ولم يجد "**كيمب**" مفرا من أن يأمر الصبي بالانصراف وهو يتميز غيظا من آليته في الإجابة .

وأقبل الرقيب "**بولوك**" يعلن أن سيدة اتصلت تليفونيا لتسأل عن الضابط المكلف بقضية "**لوكسمبورج**" .

– ترى من عساها تكون . . . "

– إنها تدعى الآنسة " **كلو ويست** " .

– دعها تحضر . ليس لدي متسع من الوقت . إن السيد " **فاراداي**" قادم بعد عشر دقائق . وإذا ما اقتضى الأمر فلينتظر قليلا . إن مثل هذا الانتظار يجدي في بعض الأحيان .

وحينما أقبلت الآنسة "**كلو ويست** " ، خيل إلى "**كيمب**" أنه يعرفها . غير أنه تخلى عن هذا الخاطر بعد دقيقة إثر اقتناعه بأنه لم يسبق له أن التقى بهذه الفتاة من قبل . ومع ذلك ، فقد ظل في حيرة من أمره .

وكانت الآنسة "**ويست**" في الخامسة والعشرين من عمرها ، ممشوقة القد ، رائعة الحسن . وبدت ثائرة الأعصاب . فبادرها "**كيمب**" بسؤاله ،

" حسنا ، الآنسة "**ويست** " ماذا تريدين ؟

– لقد اطلعت في الصحف على حادث مطعم "**لوكسمبورج** " عن الرجل الذي توفي به .

– السيد "**جورج بارتون**" ؟ أجل ؟ هل لك سابق معرفة به ؟

– لا . أعني أنني لم أكن أعرفه بمعنى الكلمة .

– هل لك أن تخبريني باسمك وعنوانك أولا ، حتى يمكنني أن أعرف مع من أتحدث ؟

– "**كلو إليزابيث ويست**" ، 15 "**ماريفيل كورت**" . "**مايدا فال** " . ومهنتي هي التمثيل .

– نعم يا آنسة "**ويست**" ، ماذا لديك ؟

– حينما قرأت نبأ وفاة السيد "**بارتون**" . وعلمت بأن رجال الشرطة يتقصون حقيقة هذا الحادث ، رأيت أنه قد يكون من واجبي أن أحضر وأحيطك علما بشيء ما . وقد تحدثت في ذلك إلى صديقتي التي وافقتني على رأيي . ولا أظن أن هذا الشيء يتصل من قريب بهذه القضية ، غير أنني . . .

– دعي لنا الحكم على ذلك فلتدلي إلي بما تريدين دون تعليق .

– إنني لا أقوم بالتمثيل في الوقت الحاضر ، غير أن اسمى مسجل ومعروف وصورتي تنشر من حين إلى آخر بالمجلات . . . وأعتقد أن السيد "**بارتون**" قد اطلع عليها وحصل على عنواني ، ثم اتصل بي وأخبرني بما يريده مني .

لقد قال لي إنه يقيم مأدبة في مطعم "لوكسمبرج" ، وأنه يريد مني أن أقوم بمفاجأة لضيوفه وأطلعني على صورة فوتوغرافية وسألني أن أحاكي هذه الصورة شكلا .

وهنا أدرك "**كيمب**" ما سبق أن تبادر إلى ذهنه من أنه التقى بهذه الفتاة من قبل. فقد سبق له أن رأى صورة فوتوغرافية لـ"**روز ماري**" فوق مكتب "**جورج**" بمنزله بميدان ""**فاستون**".إن هذه الفتاة تشبه "**روز ماري بارتون**" – إلى حد ما – وإن كانت في طلعتها وسماتها قريبة منها ، أو قل تكاد تكون شبيهة لها . واستطردت الفتاة قائلة :

– ولقد أتاني بثوب سألني أن أرتديه – ولقد أحضرت هذا الثوب معي . وهو من الحرير الأخضر اللون . وكان علي أن أقص شعري على غرار شعر صاحبة الصورة الفوتوغرافية ، وأن أحاول جاهدة التزين على شاكلتها ، ثم كان علي بعد ذلك ، أن أتوجه إلى مطعم "**لوكسمبورج**" أثناء العرض الأول وأحتل المقعد الخالي حول مائدة السيد "**بارتون**" . وكان قد اصطحبني إلى هذا المطعم لتناول طعام الغداء ، حيث أراني مكان مائدته التي سيجلس إليها وضيوفه .

– ولماذا تخلفت عن أداء هذه المهمة ؟

– لأنه حدث في حوالي الساعة الثامنة من تلك الليلة أن اتصل بي بعضهم تليفونيا ، السيد "**بارتون**" ، وقال لي إن المأدبة قد تأجلت. كما قال لي إنه سيعود إلى الاتصال بي . وفي اليوم التالي اطلعت على نبأ وفاته بالصحف .

– وهكذا رأيت أن تحضري لإبلاغنا بما كان . شكرا يا آنستي . لقد جلوت الآن غموض أحد جوانب هذه القضية : سر المقعد الخالي . وبالمناسبة ، لقد سمعتك تقولين الآن – "بعضهم" ثم تقولين : " السيد "**بارتون**"" فما السبب في هذا التردد؟

– لأنني اعتقدت لأول وهلة أن المتحدث إلي كان السيد "**بارتون**" ثم تبينت اختلافا بين الصوتين !

– وهل كان الصوت صوت رجل ؟

– أجل ، وهذا هو ما أعتقده – على الأقل – وكان الصوت صوتا أجش كصوت من يصاب بنزلة برد .

– وهل كان هذا هو كل ما قاله لك ؟

– أجل .

ووجه إليها "**كيمب**" بعض الأسئلة ، غير أنه لم يفز منها بمعلومات جديدة. وبعد انصرافها قال للرقيب ، إذن فقد كانت هذه هي خطة "**جورج بارتون**" . وإنني لأدرك الآن السبب فيما قرره الجميع من أنه كان يواصل التطلع إلى المقعد الخالي بعد انتهاء العرض ، وقد بدا شارد الفكر ساهم النظرات . وذلك لأن خطته لم تكن تسير حسبما أراد .

– إنك لا تعتقد أن من قام بالاتصال بها وأنبأها بتأجيل المأدبة هو "**جورج بارتون**" ،

أليس كذلك ؟

– بلى ، بكل تأكيد ، كما أنني لست واثقا من أن الصوت كان صوت رجل . إن الصوت الأجش هو وسيلة سيئة للتخفي عبر سماعة التليفون . حسنا ، إننا نتقدم في تحرياتنا .إلي بالسيد "**فاراداي**" إذا ما كان قد حضر .

- 24 -

لم يشعر "**ستيفن فاراداي**" ، وهو يجتاز باب "**اسكتلانديارد**" ، بأنه على ما يرام أو قل بأن حالته المعنوية على ما يرام . لقد بدا له في هذا الصباح أن الأمور تسير سيرا حسنا . فما السبب الذي حدا بالمفتش "**كيمب**" أن يسأله الاجتماع به في مكتبه ؟ ترى ماذا يعرف الرجل وفيم يشك ؟ قد يكون ما يساوره من شك ، مجرد شك غامض غير معين . إن خير ما يفعله أن يحتفظ برباطة جأشه ولا يعترف بشيء ما .

وكان يشعر ، في تلك اللحظة من حياته ، بأنه يفتقد "**ساندرا**" فقد ألف منها على مدى حياتهما الزوجية ، أن تشاركه آلامه وقلقه ، وتبصره بالكثير مما كان خير مرشد له . إنها عندما تكون إلى جواره ، تشعره بالقوة ، أتراها تشاركه هذا الشعور؟ وهل هي جالسة الآن في قصر "**كيدر منستر**" ، ساكنة ، صامتة ، متحفظة ، تكبت شعورها في كبرياء واعتداد بالنفس ؟

واستقبله المفتش "**كيمب**" مرحبا . وكان يجلس بالغرفة رجل في زيه الرسمي، وأمامه منضدة عليها بعض الأوراق وفي يده قلم رصاص .

وبعد أن دعا "**ستيفن**" إلى الجلوس بادر "**كيمب**" قائلا في لهجة رسمية :

– إنني أريد الحصول منك على إقرار بأقوالك وستوقع على هذا الإقرار قبل انصرافك بعد الاطلاع عليه . وفي الوقت نفسه ، أي أنه من واجبي أن أحيطك علما بأقوالك ، كما أنه يمكنك ألا تدلي بشيء في غير حضور محاميك.

– ولكنني لا أعرف السبب في الحصول مني على هذا الإقرار ، بعد أن استمعت إلى قصتي كاملة في الصباح .

لقد كان اجتماعنا في الصباح غير رسمي ، أو قل بمثابة إجراءات تمهيدية ،كما أنني رأيت أنه قد يوجد من الوقائع مالا ترغب في الإدلاء به أمام أحد . إن أي شيء تدلي به ، ولا يكون له علاقة بالقضية ، لن يعرف به أحد. أظنك تدرك ما أعنيه من قولي .

– كلا ، أخشى أن أصارحك بأنني لم أدرك ما ترمي إليه .

– إليك الأمر بوضوح : لقد كنت وثيق الصلة بالسيدة "**روز ماري بارتون**" .

– من قال هذا ؟

وأخرج "**كيمب**" من درجه وثيقة مكتوبة على الآلة الكاتبة قائلا :

– هذه نسخة من رسالة وجدت بين مخلفات السيدة "**بارتون**" . إن الأصل مودع بملف القضية . ولقد سلم إلينا بمعرفة الآنسة "**أيريس مارل**" التي عرفت في الخط أنه خط شقيقتها .

وقرأ "**ستيفن**" :

– عزيزي "**ليونارد**" ...

وشعر "**ستيفن**" بغصة في حلقه . إنه صوت "**روز ماري**" ... تتحدث وتتضرع .. لن ينتهي هذا الماضي أبدا .. ألن يدفن هذا الماضي مع صاحبته؟

وتمالك نفسه ثم تطلع إلى "**كيمب**" قائلا :

– قد يكون اعتقادك في أن السيدة"**بارتون** " محررة هذه الرسالة صحيحا ، غير أنه لايوجد ما يدل على أنها موجهة لي .

– وهل تنكر أنك كنت تدفع إيجار الشقة رقم 21 بمبنى"**مالاندا**" ، بساحة "**ايرل**"؟

– يبدو لي أنك حصلت على معلومات كثيرة . هل لي أن أستفسر منك عن السبب في تعريض شؤوني الخاصة للأضواء ؟

– إن هذا لن يكون ، مالم يكن لشؤونك الخاصة علاقة بوفاة "**جورج بارتون**" .

– فهمت ، إنك ترى أنني كنت عشيقا لزوجته ، ثم قتلت الرجل ؟

– سأكون صريحا معك . لقد كنت وثيق الصلة بالسيدة "**بارتون**" ، وقد انقطعت هذه الصلة بناء على رغبتك أنت . وتدل هذه الرسالة على أنها كانت تفكر في إثارة المتاعب ، غير أن وفاتها جاءت في الوقت المناسب .

– لقد انتحرت . وقد أكون مسؤولا عن انتحارها إلى حد ما . غير أن هذا لايقع تحت طائلة القانون .

– قد تكون وفاتها انتحارا وقد لا تكون ، إن "**جورج بارتون**" كان يعتقد أنها لم تنتحر وبناء على هذا الاعتقاد ، شرع "**جورج بارتون**" في تقصي الحقيقة ... ثم كان أن فارق الحياة فجأة . إن تتابع الأحداث ينبئ بالكثير .

– لست أرى ما يبرر مواجهتي بكل هذا .

– أظنك توافقني على أن موت السيدة "**بارتون**" جاء في الوقت المناسب بالنسبة لك؟ إن مثل هذه الفضيحة ، كان من شأنها أن تسيء إلى مستقبلك.

– ولماذا تقدر أنه ستكون هناك فضيحة ؟ ولماذا لا تقدر أن السيدة "**بارتون**" كانت

ستستجيب لنداء العقل .

– إني لأتساءل ! هل علمت زوجتك بأمر هذه العلاقة ؟

– لا بكل تأكيد .

هل أنت واثق مما تقول :

– أجل ، كل الثقة . إن زوجتي لم تعرف شيئا عن هذه العلاقة . إن كل ما تعرفه كان مجرد قيام صداقة بيني وبين السيدة "**بارتون**" ، وإني لأرجو ألا تعرف شيئا بخلاف هذا.

– هل ترى في زوجتك أنها امرأة غيور؟

– لا .

– هل حدث ، في وقت ما ، أنك كنت تحوز شيئا من سم السيانيد ؟

– لا .

– لقد اتضح أنه يوجد لديكم ، بالبيت الريفي ، كمية منه ؟

– قد يكون هذا لاستعمال البستاني . إنني لا أعرف شيئا عن هذا .

وبعد أن وجه إليه "**كيمب**" بعض الأسئلة الأخرى، تركه ينصرف .

وراح "**كيمب**" يتجاذب أطراف الحديث مع مرؤوسه قائلا :

– هل لاحظت أنه أسرع بنفي علم زوجته بشيء عن علاقته بالسيدة" **بارتون**"؟ إني لأتساءل عن السبب في ذلك .

– مهما يكن من أمر فإنه لمن دواعي سروري ألا يكون لآل " **فاراداي**" أية علاقة بهذه القضية . إن العميد "**ريس** " يبدو أنه راض عن الخط الجديد الذي أمسك بطرفه . أرجو أن يتحقق حدسه ، ففي الواقع ! أنني أحب "**ستيفن فاراداي**" ، ولا أعتقد شخصيا أنه قاتل .

قال "**ستيفن** " ، وهو يفتح باب غرفة الجلوس :

– "**ساندرا**" .

وخفت تستقبله من ظلام الغرفة ، وقد أمسكت بيديه قائلة :

– "**ستيفن** "؟

فبادرها قائلا :

– لماذا تجلسين في الظلام ؟

– لأنني لم أحتمل الضوء . أخبرني .

– "إنهم يعرفون .

– عن "**روز ماري**"؟

– أجل .

– وما رأيهم ؟

– رأيهم أن لدي الدافع ، هذا ما تبينته من الأسئلة التي وجهت إليّ ، لقد كان هذا كله نتيجة لخطئي ، كان أجدر بي أن أرحل بعيدا . .

فانهمرت الدموع من عينيها وهي تتشبث به قائلة :

–لا يا "**ستيفن**" . إنك بالنسبة إليّ سر النواة من حياتي ، لا تتركني . . . . لا ، يجب ألا تفكر في شيء من هذا القبيل . . .

– إنني لم أعرف من قبل مثل شعورك هذا يا "**ساندرا** " . .

– إنني لم أكن أريد أن أكشف لك عن خبيئة قلبي . أما الآن . . . .

– نعم ، الآن . . . الآن علينا أن نواجه الأمر معا . . . مهما يكن من نتائج !

وشعرا معا ، وقد تقاربا روحا وقلبا ، بأنهما من القوة بحيث يستطيعان مواجهة المستقبل المجهول كهذا الظلام الذي يكتنفهما .

وقالت "**ساندرا**" في عزم وإصرار :

– إن هذه القضية لن تدمر حياتنا ولن أسمح بأن تقضي على سعادتنا !

- 25 -

ألقى "**أنتوني بروان**" نظرة على البطاقة التي مد الخادم بها يده إليه .

وقطب جبينه ثم هز كتفيه قائلا :

– فليكن ، دعه يدخل .

وحينما دخل العميد "**ريس**" ، كان "**أنتوني**" واقفا بجوار النافذة وقد انعكست أشعة الشمس على كتفيه .

ورأى أمامه رجلا طويل القامة ، عسكري الهيئة ، برنزي الوجه ، أشيب الشعر ، رجلا قد رآه من قبل ، وإن لم يكن هذا من أمد بعيد ، مما أتاح له أن يعرف الكثير عنه .

ورأى العميد "**ريس**" أمامه رجلا أسمر اللون وسيما ، يستقبله قائلا :

– العميد "**ريس**" ؟ لقد كنت صديقا لـ"**جورج بارتون**" فيما أعلم . لقد تحدث عنك في الأمسية الأخيرة . إليك بسيجارة ؟

– شكرا . فليكن .

– لقد كنت الضيف المترقب حضوره ولم يحضر – لقد كان هذا خيرا لك .

– إن المقعد الخالي لم يكن لي .

– حقا ؟ لقد قال "**بارتون**" .

– لـ"**جورج بارتون**" أن يزعم ما يشاء . غير أن الواقع بخلاف هذا . لقد كان من المفروض أن تشغل هذا المقعد ، عند إطفاء الأنوار ، ممثلة تدعى "**كلو ويست**" ؟

– "**كلو ويست**" ؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل . من عساها تكون ؟

– ممثلة ناشئة غير مشهورة ، بينها وبين "**روز ماري بارتون**" بعض نواحي التشابه.

– بدأت أفهم .

– لقد زودها بصورة فوتوغرافية لـ"**روز ماري**" لكي يتيسر لها أن تحاكيها في أسلوب زينتها ، كما حصلت على الثوب الذي كانت ترتديه "**روز ماري**" ليلة وفاتها" .

– إذن فهذه كانت خطة "**جورج**" ؟ تضاء الأنوار – ليرى الجميع أن "**روز ماري**" قد عادت إلى الحياة ويهب الجاني قائلا : " أنا من فعل ذلك – إنه أنا – أنا الجاني" ، هراء وعبث أطفال لايصدر إلا عن حيوان كـ"**جورج**"المسكين – لست واثقا من أنني أفهم ما تعنيه .

– سيدي إن المجرم العنيد الذي يقدم على قتل "**روز ماري**" بكل هدوء ، ثم يعد العدة لدس السم لـ"**جورج بارتون**" ، هذا المجرم يجب أن يكون قوي الأعصاب . ولن تنجح هذه اللعبة الصبيانية في تحطيم أعصابه أو أعصابها للاعتراف بالحقيقة . – لاتنس أن "**ماكبث**" المجرم العاتي ، قد انهار فور رؤيته لشبح "**بانكو**" في الوليمة

– ولكن "**ماكبث**" رأي شبحا حقيقيا ! ولم يكن هذا الشبح ممثلا يرتدي ملابس "**بانكو**" ! إنني ممن يؤمنون بالأشباح . وبالذات في الأشهر الستة الأخيرة على الأقل – بالنسبة لشبح معين .

– حقا ، بالنسبة . . لشبح من ؟

– شبح "**روز ماري**" ، يمكنك أن تضحك مني إذا كان هذا يرضيك . إنني لم أر شبحها . . وإن كنت قد شعرت بوجودها ، إن "**روز ماري**" ، لسبب أو لآخر، لاتستطيع روحها أن تستقر كسائر الأرواح . وقد يكون هذا شأنها إبان حياتها .

– قد يكون هنالك سبب لهذا .

– ألأنها قد قتلت ؟

– أو قل لأنها قد أرغمت علي أن تمسك لسانها إلى الأبد، فما قولك في هذا يا سيد "**توني موريللي**" ؟

– كيف عرفت حقيقة أمري ؟

– إذن فأنت تعترف بأنك "**توني موريللي**" ؟

– لاجدوى من مثل هذا الجدل . يبدو لي بجلاء أنك أبرقت إلى "**أمريكا**" وحصلت على جميع المعلومات .

– وهل تعترف بأنك هددت "**روز ماري بارتون**" بقتلها بعد أن اكتشفت حقيقة أمرك ؟

– لقد قمت بكل محاولة لأخيفها . ولم أدخر وسعا في سبيل حملها علي أن تمسك لسانها .

وتملك العميد "**ريس**" شعور غريب : أن هذا اللقاء لايسير طبقا لما قدر له . وتأمل الرجل الجالس في هدوء في مقعده ، وقرر أن يصارحه بما يدور بخلده ،

– يطيب لي هذا .

– لقد اتهمت في "**الولايات المتحدة**" بالشروع في تخريب مصنع طائرات "**إريكسون**" ، وحكم عليك بالسجن بعد ثبوت التهمة عليك . وبعد قضاء مدة العقوبة ، رحلت عن البلاد إلى حيث فقدت السلطات كل أثر لك . ثم ظهرت في "**لندن**" حيث أقمت بفندق "**كلاريدج**" تحت اسم "**أنتوني براون**" .

ثم سعيت إلى التعرف بالأمير " داوزيري" ، وعن طريقه تيسر لك الاتصال ببعض الشخصيات المرموقة في ميدان صناعة الأسلحة . ودعيت للإقامة بقصر الأمير "**ديوزبيري**"، حيث اطلعت بحكم أنك ضيفه على أشياء ما كان ينبغي أن تطلع عليها ! ومن غرائب المصادفات أن سلسلة من الحوادث كانت تقع بعد زيارتك لعدد من المصانع الكبرى .

– إن المصادفات من غرائب الحياة .

– ثم عدت إلى "**لندن**" بعد فترة من الزمن ، لتجدد تعارفك بـ"**أيريس مارل**" ، معتذرا بأنك لا ترغب في زيارتها بمنزلها ، حتى لا تعرف أسرتها شيئًا عن علاقتكما الوثيقة . وأخيرا حاولت أن تقنعها بالزواج منك سرا .

– هل تعرف أنني معجب بقدرتك على الإلمام بكل هذه الأمور – ابتداء من تهديدي لـ"**روز ماري**" إلى علاقتي بـ"**أيريس**" . ولست أنكر شيئا مما سمعته منك إن "**أيريس**" فتاة ثرية ، ولقد كنت أبغى من زواجي بها سرا ، ألا أتعرض لما يتعرض له راغبو الزواج من فتيات الأسر الثرية ، فينكشف ماضي الذي لم أكن أرغب ومازلت ، أن تعرف "**أيريس**" عنه شيئا .

– أخشى أنها ستعرف كل شيء عنك .

– هذا مما يدعو للأسف .

– ربما كنت لا تدرك .

– سأتولى عنك وضع النقط فوق الحروف . ربما كنت تعتقد أن "**روز ماري**" قد ماتت مقتولة ، وأنني قد فعلت هذا لأسكتها إلى الأبد بعد أن عرفت ماضي كمجرم . وأنني قتلت "**جورج بارتون**" بعد أن بدأ يشك في أمري ، والآن أجد سعيا وراء ثروة "**أيريس**" . . . إن هذا تسلسل منطقي مقبول . ولكنك لا تمتلك دليلا على شيء منه .

وتأمله "**ريس**" قليلا . ثم نهض قائلا :

– إن كل ما قلته حق . وكل ما فيه خطأ .

– وكيف كان ذلك ؟

– حق كما كان إلى أن التقيت بك – وخطأ في تقديري لأنك لست بالمجرم الذي حسبته .

– فهمت . وهذا هو السبب في أنني كنت أتجنب اللقاء بك . كنت أخشى أن تعرف حقيقة أمري . وكان من الأهمية بمكان ألا يعرف أحد عني ذلك . إنني عميل لشبكة دولية كبرى . وبهذه الصفة قدمت إلى "**لندن**" واندمجت في أوساطها إلى آخر ما تعرفه من هذا . . وكانت "**روز ماري**" ممن اتصلت بهم . واكتشفت فجأة أنها تعرف حقيقة أمري وما كان من ماضي . وفزعت من أجلها

إن المنظمة التي أمثلها لن تتردد في قتلها إذا ما وصل إلى علمها أن "**روز ماري**" عرفت من أكون ، وحاولت بكل الوسائل أن أقنعها بعدم الخوض في هذا الموضوع. ولم تكن "**روز ماري**" من هذا الطراز القوي الذي يوثق به .

وحدث في يوم ما أنني شاهدت "**أيريس**" تهبط الدرج في بيتها ، فرأيت فيها الفتاة التي يجب أن أتخذها زوجة لي بعد الفراغ من مهمتي . ومن هنا حاولت الابتعاد عن زيارتها ، حرصا مني على الابقاء على سرية مهمتي وعدم الكشف عن حقيقة أمري . وما إن شعرت أنها في حالة من الفزع بناء على تصرفات "**جورج بارتون**" الشاذة ، حتى عرضت عليها الزواج فرفضت . ولعلها كانت على حق في رفضها . ثم كان ما كان من أمر مأدبة "**جورج بارتون**" وحديثه عن حضوره . ومن هذا كان حديثي – كمقدمة لانصرافي حتى لا نلتقي – عن وجود ما يدعو إلى انصرافي مبكرا .

وأرجو أن تعرف أنه ليس لي يد في مقتل كل من "**روز ماري**" و"**جورج بارتون**" . كما أنني لا أعرف شيئا عن شخصية القاتل .

– ولا أية فكرة عما عساه يكون ؟

– إما انه الساقي ، أو أحد المدعوين الخمسة، ولا أعتقد أنه الساقي . ولتستبعدني

وتستبعد "**أيريس**" .

ويبقى بعد هذا "**ساندرا**" و "**ستيفن فاراداي**" ، وقد يكون الفاعل أحدهما أو هما معا ، غير أنني أرى "**روث ليسنج**" ، هي فرس الرهان .

– على أي أساس ؟

– إنه مجرد ترجيح وإن كنت لا أعرف كيف تسنى لها هذا .. لقد كان مقعدها في كل من الحادثتين بحيث يتعذر عليها أن تعبث بكأس الشراب . وبالمناسبة ، هل لديك أية فكرة عمن قام بكتابة هاتين الرسالتين اللتين أثارتا شكوكه ؟

– لا . لقد خيل إليّ في حين ما أنني في سبيل الاهتداء إلى إماطة اللثام عن شخصية محرر الرسالتين – ولكنني كنت مخطئا .

– إن هاتين الرسالتين تعنيان أن ثمة شخصا ما ، في مكان ما ، يعرف أن "**روز ماري**" قد قتلت ، الأمر الذي يعني بالتالي أنه ما لم تتخذ الاحتياطات الكافية – فإن هذا الشخص سيقتل حتما !

عرف "**أنتوني**" من اتصاله التليفوني ، أن "**لوسيلا دريك**" ستكون خارج المنزل في الساعة الخامسة لتناول قدح من الشاي مع إحدى صديقاتها القدامى . وتحرى "**أنتوني**" أن يكون وصوله بعد الخامسة ، لأن "**أيريس**" هي من كان يبغي لقاءها وليست عمتها ، وعلم من الخادمة التي فتحت الباب ، أن "**أيريس**" موجودة بغرفة المكتب . وقال "**أنتوني**" للخادمة :

– خلي عنك . إنني أعرف طريقي إليها .وفوجئت "**أيريس**" بقدومه . .واستقبلته قائلة :

– "**أنتوني!**" وأسرع إليها قائلا :

– ماذا بك ؟

– لاشيء . . . لقد كادت تدهمني إحدى السيارات .

فقد كنت أسير شاردة الفكر بحيث لم أنتبه للسيارة التي أقبلت مسرعة عند مفترق الطرق .

– يجب عليك أن تلزمي جانب الحذر . "**أيريس**" ، إنني قلق من أجلك ! ماذا يشغل بالك ، لا بد أن ثمة شيئا ما .

وأومأت برأسها ، ترفع عينيها الفزعتين إليه . وأدرك ما تعنيه نظراتها قبل أن تفصح عما يجول في خاطرها قائلة :

– إنني خائفة .

واكتسى وجه "**أنتوني**"بأمارات الجد وهو يسألها :

– "**أيريس**" ، هل أفضيت إلي بكل شيء ؟

– لا أحسب أنني أريد ذلك .

– عجبا . لا تنهجي نهج أبطال القصص الغامضة ، حتى يستزيد المؤلف من حجمها .

فابتسمت ابتسامة باهتة وهي تقول :

– إني لا أعرف ما إذا كنت ستصدق ..

– إنك تثيرين فضولي . هيا ، يا فتاتي الصغيرة ، هاتي ما عندك .

وما إن رأته يضحك ، حتى قالت له :

إن ما يشغل بالي ليس مما يثير الضحك . إنه بشأن الليلة الماضية .

– هكذا ؟

واعتدل في مقعده جادا ، وكله آذان صاغية . فقالت له :

– لقد كنت موجودة في جلسة التحقيق صباح اليوم أستمعت إلى . . .

– استمعت إلى تقرير الطبيب الفني عن سم السيانيد وآثاره بفحص جثة "**جورج**" ، وإلى أقوال مفتش الشرطة الذي حضر إلى المطعم واضطلع بتحقيق الحادث في مبدأ الأمر . وقد تأجلت جلسة التحقيق أسبوعا لاستيفاء الأدلة .

– إن ما يعنيني هي أقوال مفتش الشرطة ، الذي قرر بعثوره على ورقة تحت المائدة كانت بها آثار "سيانيد البوتاسيوم .

– هذا طبيعي . إن الفاعل لابد وأن يكون قد ألقى بها تحت المائدة وذلك حتى لا يخاطر بوجودها معه .

– لا . لا . ليس الأمر كما يبدو لك . إنه ليس بهذه السهولة .

– ماذا تعنين ؟ ماذا تعرفين ؟

– إنني أنا من ألقيت بهذه الورقة تحت المائدة .

– "أنت ؟ عجبا ! .

– "**أنتوني**" ، استمع إلي . لعلك تذكر كيف شرب "**جورج**" من كأسه ، ثم سقط ميتا ؟

– أجل !

– لقد كان هذا بمثابة حلم مفزع . ولقد حدث ما حدث عندما بدا لي أن كل شيء على مايرام . أعني أنه بعد انتهاء العرض ، حينما أضيئت الأنوار – شعرت بارتياح ، وذلك لأننا كنا قد وجدنا في هذه اللحظة أن "**روز ماري**" قد فاضت روحها ، وكنت

أشعر ، ولا أدرك لهذا كنهها ، أن المأساة ستعود فصولا .. كنت أشعر بأنها ، ميتة فوق المائدة .. أعرف . إنها أعصابي المرهقة ، غير أن هذا هو ما كان من حقيقة أمر شعوري . وبعد أن سري عني ونهضت لمراقصة "**جورج**" ، ثم عدنا إلى المائدة وسألنا "**جورج**" أن نشرب نخب ذكراه – ذكرى "**روز ماري**" – وما كان من سقوطه ميتا ، عاد الكابوس الثقيل فجثم فوق صدري . ونهضت أهتز فرقا . ولعلك تذكر ما كان من إسراعك إليه ، ثم ما كان من فزع وإسراع نفر من السقاة لاستدعاء أحد الأطباء .و لقد شعرت حينئذ بأن الدموع تطفر من عيني ، ففتحت حقيبة يدي لأخرج منديلا . وإذا بأصابعي تتعثر بورقة مطوية لم تكن موجودة بحقيبتي من قبل . إن شخصا ما قد وضع هذه الورقة خلسة في حقيبة يدي ، وتذكرت أنهم عثروا بورقة مثلها في حقيبة "**روز ماري**" بعد موتها بها بعض آثار السيانيد ، فتملكني الخوف . وشعرت بالورقة تنساب من بين أصابعي وتسقط تحت المائدة والتزمت جانب الصمت . وكنت جد فزعة ... أن أحدا ما عمد إلى ذلك ليلصق بي تهمة قتل "**جورج**" .

– لست أستبعد هذا . لقد تركت حقيبتك فوق المائدة حينما توجهت إلى حلبة الرقص وثمة احتمال آخر . هو أن تعبث إحداهن بحقيبتك في أثناء وجودك بغرفة الملابس .

– هذا ممكن – لأنني أذكر أننا كنا نضع حقائبنا فوق منضدة المرآة الزجاجية . وكانت هناك "**روث**" و"**ساندرا**" . كما أذكر أني توجهت إلى ركن الاغتسال .

– وتركت حقيبتك فوق المنضدة ؟

– أجل .

– بما يعني أن إحداهما هي التي كان في وسعها أن تفعل ذلك " .

– ولكن الورقة كانت فارغة . الأمر الذي يعني أنها دست في الحقيبة بعد تفريغ محتوياتها في كأس "**جورج**" ومهما يكن من أمر ، فإنني أستبعد أن تكون "**روث**" أو "**ساندرا**" هي التي فعلت هذا .

– إنك حسنة الظن بالناس .

– لقد انزاح عن صدري عبء ثقيل . إن هذا السر لن يعرفه أحد غيري وغيرك .

– بل يجب أن نطلع عليه غيرنا . سنذهب معا الآن إلى المفتش "**كيمب**" . إنها معلومات دقيقة لها أهميتها .

– لا . إنهم قد يشكون في أمري .

– إنهم سيشكون في أمرك إذا ما اكتشفوا أنك كتمت عنهم مثل هذه الأدلة! من

الخير لك أن يعلموا بهذه الواقعة منك

وأطاعت كارهة . وما إن تبعته إلى البهو ، حتى سمعت رنين جرس الباب الخارجي . وعندئذ صاحت "**أيريس**" قائلة :

– لقد نسيت . إنها "**روث**" . إنها قادمة بشأن مايجب أن يعد لتشييع الجنازة.

وتقدم "**أنتوني**" من الباب . ودخلت "**روث**" متعبة مجهدة تحمل حقيبة ورق كبيرة ، قائلة :

– أعتذر عن تأخيري ، الذي يرجع إلى ازدحام المواصلات .

واعتذرت "**أيريس**" لـ"**أنتوني**" لاضطرارها إلى التخلف وعدم الذهاب معه . ولكنه قال لها في حزم :

– أخشى ألا أجيبك إلى سؤالك . إن ما نحن ذاهبان إليه أكثر أهمية مما يستدعي تخلفك يا آنسة "**ليسنج**" ... إنني جد آسف أن أحرمك من صحبة "**أيريس**" ، غير أن الأمر غاية في الأهمية .

وهنا قالت "**روث**" :

– لابأس . في وسعي أن أدبر الأمر مع الآنسة "**دريك**" عندما تعود إلى المنزل

وأشفعت كلامها هذا بابتسامة باهتة .

وأجابها "**أنتوني**" يطري كفاءتها قائلا :

– أنا واثق من مقدرتك وعدم اضطرارك إلى مساعدة أحد .

– "**أيريس**" ، هل لك توجيهات خاصة ؟

– لا أحسب أن هناك كثيرا منها . لقد اقترحت أن نجتمع معا ، تجنيبا لك مما قد تثقل به عليك "**لوسيلا**" التي تعرفين مدى ترددها . وفي الواقع إنني أترك الأمر لك .

إن أمر الجنازات لا يعنيني في كثير أو قليل ، كما أنني أعتقد أنه لا يعني الموتى. إنهم قوم مضوا ولن يعودوا .

ولم تعقب "**روث**" بشيء ، وراحت "**أيريس**" تردد في إصرار ، أنهم قوم مضوا ولن يعودوا !

وأمسك "**أنتوني**" بذراعها ، يستحثها على الإسراع في الانصراف .

وقال لها ، بعد أن استقلا إحدى السيارات الأجرة :

– أرجو أن تصارحيني بما كان يجول في خاطرك ، حينما رحت ترددين أن الموتى لا يعودون ؟ هل كنت تتمثلين حينئذ "**روز ماري**" أم "**جورج**" ؟

– لاشيء ! لاشيء على الإطلاق ! كل ما في الأمر أنني أمقت تشييع الجنازات...

- 26 -

كانوا ثلاثة يجلسون إلى منضدة صغيرة مستديرة .

وكان كل من العميد " **ريس** " وكبير المفتشين " **كيمب** " ، يحتسيان قدحا من الشاي الثقيل الداكن اللون . أما "**أنتوني**" فكان يحتسي قدحا من القهوة على الطريقة الإنجليزية . ولم تكن الفكرة من اقتراحه ، ولكنه رحب بها على مضض إرضاء للرجلين الداعيين له .

وافتتح المفتش "**كيمب**" الحديث في الموضوع بعد بعض المقدمات بقوله :

– إذا ما سألتني رأيي ، فإنني أشعر بأن هذه القضية لن تقدم للمحاكمة ؛ وذلك لأنه لن يتيسر لنا الحصول على الدليل القاطع .

– وسأله "**ريس**" :

– " هل هذا هو رأيك الذي تقتنع به ؟

– أجل . لقد كان أملنا الوحيد أن نحصل على الدليل الخاص بشراء أحد من المدعوين الخمسة للسيانيد .ولقد قمت بتحريات في كل مكان . وستكون هذه القضية من تلك القضايا التي تعرف فيها شخصية الفاعل ، ولكنك لا تستطيع أن تقدم الدليل ضده .

وانبرى "**أنتوني**" يسأله وهو يرمقه بنظرة فاحصة :

– إذن فأنت تعرف من الجاني ؟

– "إنني واثق ، فيما بيني وبين نفسي ، أنها السيدة "**ألكسندرا فاراداي** " .

وعقب "**ريس**" قائلا :

– إذن فهذا هو ما استقر عليه رأيك . إلينا بالأسباب ؟

– سيكون لك ما تريد . إنها من هؤلاء النساء اللاتي تأكل قلوبهن الغيرة إلى حد الجنون . وهي من هذا الطراز الأوتوقراطي المستبد ، ولعلك تذكر قصة " **إليانور**" التي عرضت على "**روزا موند باور**" أن تختار بين إحدى ميتتين : أن تموت بطعنة خنجر أو بقدح من السم . .وكان قد أثار بعضهم شكوك السيد "**بارتون**" ، وقد حدت به الشكوك إلى ابتياع بيت ريفي . وأنه لم يكن ليفعل ذلك مالم يرد أن يراقب حركات وسكنات آل " **فاراداي**" ، ثم كان أن ألح عليها وعلى زوجها في ضرورة هذه المأدبة . وتغلبت عليها –بعد أن أدركت ما يرمي إليه – غريزتها الأوتوقراطية، وانتهت من أمرها ! قد تقولان ، إن ما تحدثت به إليكما ما هو إلا مجرد نظريات قائمة

على افتراض خلفي . غير أنني أؤيد أقوالي بأن الشخص الوحيد الذي كان في إمكانه ، وتوفرت له الفرصة ، أن يدس السم في كأس السيد " **بارتون** " ، هي السيدة الجالسة عن يمينه .

– ولم يرها أحد وهي تفعل ذلك .

– تماما ، إن أحدا ما لم يرها وذلك لفرط حرصها .

– ثمة نقطة أخرى . ومع تسليمنا بأن السيدة "**ألكسندرا**" أوتوقراطية ، غيور مستبدة، لا تتورع عن الالتجاء إلى القتل ، فهل تعتقد أنها من هذا الطراز الذي يدس الدليل في حقيبة يد فتاة لتلصق التهمة بها ، فتاة بريئة ، لم يسبق أن أساءت إليها ، هل هذا من طباع آل "**كيدر منستر** " ؟

وأرتج القول على المفتش "**كيمب**" الذي تحرك في مقعده قلقا وراح يتأمل قدح الشاي الذي أمامه ، واستطرد "**ريس**" قائلا وهو يبتسم :

– إنني مسرور أن أراك تبدو قلقا بعد تعقيبي .

وحاول "**كيمب**" أن يتفادى موقف الحيرة الذي شعر بأن "**ريس**" قد أحاطه به فتلفت إلى "**أنتوني**" قائلا :

– "وبهذه المناسبة ، أريد أن أعبر لك عن امتناني لإقناعك الآنسة "**مارل**" بالحضور اليوم لتردد على مسمعنا قصتها .

– لقد شعرت بأن من واجبي أن أفعل ذلك . إذ رأيت أن أي تأخير قد يضر بالقضية .

فانبرى العميد "**ريس**" قائلا :

– أعتقد أنها كانت راغبة عن الحضور .

– أجل . فقد كانت جد فزعة .

وأردف المفتش "**كيمب**" قائلا وهو يصب لنفسه قدحا من الشاي :

– هذا طبيعي . ومهما يكن من أمر ، فإني أعتقد أننا طيبنا خاطرها – بحيث عادت إلى منزلها هادئة البال .

– أرجو بعد الانتهاء من مراسم الجنازة أن تتاح لها فرصة السفر إلى الريف لفترة ما ، حتى تصبح بمنأى عن ثرثرة العمة "**لوسيلا** " .

– إن لثرثرة العمة "**لوسيلا**" فوائدها .

ثم قال "**أنتوني**" مغيرا مجرى الحديث :

– سيدي المفتش ، أرى أنك كنت على حق عندما قررت بأن هذه القضية لن تقدم إلى المحكمة – وإن كنت أرى أنها نهاية غير مرضية – وثمة أمر لم نهتد بعد إليه – وهو إماطة

اللثام عن شخصية محرر هاتين الرسالتين إلى "**جورج بارتون**" . فليس لدينا أقل فكرة عن هذه الشخصية .

وقال له "**ريس**" معقبا :

أما زلت عند شكوكك ؟ .

– بالنسبة لـ"**روث ليسنج**" ؟ أجل ... إنني متمسك برأيي . لقد علمت منك بأنها صارحتك بأنها كانت تحب "**جورج**" . ومن هنا كانت "**روز ماري**" شوكة في حلقها اعتقادا منها بأن هذا سيفسح الطريق أمامها للزواج من "**جورج**" .

– إنني أقر وجهة نظرك هذه ، وأضيف بأن "**روث ليسنج**" تتصف بالهدوء والقدرة على تنفيذ ما تعتزم اقترافه من جريمة كما أنها ينقصها الرحمة التي قد تحول بينها وبين تنفيذ مثل هذا الجرم . وهذا كله ينطبق بالنسبة لشكوكك من ناحية جريمة القتل الأولى . ولكنني لا أرى ما يبرر ارتكابها للجريمةالثانية . فكيف تقوم بقتل الرجل الذي تحبه وتريد الزواج منه ! إن ثمة نقطة أخرى تؤيد استبعادها من قائمة المشكوك فيهم – فلماذا أطبقت فمها ولم تتحدث بما تكون قد رأته مصادفة من إلقاء "**أيريس**" للورقة التي كان بها آثار "السيانيد" تحت المائدة ؟

لقد قررت "**أيريس**" بأنها تشك في أن "**روث**" قد شاهدتها وهي تلقي بهذه الورقة !!

– ربما كانت "**روث**" لم تر "**أيريس**" وهي تسقط هذه الورقة من يدها .

– أنا واثق من أنها رأتها . وهذه الثقة تستند إلى ما انطبع في نفسي ، عندما كنت أقوم باستجوابها من أنها تخفي عني شيئا .

وهنا "انبرى **كيمب**" قائلا :

– سيدي العميد ، يخيل إليّ أنك قد انتهيت إلى رأي ما . .. إلينا بهذه الورقة الأخيرة التي تحتفظ بها . لقد استمعت إلى رأي كل منا – واعترضت على هذين الرأيين الأمر الذي يدل على أن لك رأيا تقتنع به .

وراح "**ريس**" ينقل عينيه بين وجهي "**كيمب**" و"**أنتوني**" ، حيث استقر بهما أخيرا . فانبرى "**أنتوني**" قائلا :

– لعلك مازلت تعتقد أنني المتهم الأخير ؟

– لا . لست أجد مبررا لقتلك "**جورج بارتون**" . وأعتقد أنني أعرف من الذي ارتكب هذه الجريمة .

– وجريمة قتل "**روز ماري**" أيضا .

– ومن عساه أن يكون ؟

– إنه لمما يدعو إلى الدهشة ، أن شكوكنا جميعا قد تركزت على النساء . وأنا الآخر أشك في إحداهن .

وبعد أن توقف قليلا ، وراح يتفرس في وجه كل من الرجلين الجالسين أمامه قال في هدوء :

– "أعتقد أن شخصية المجرم تنحصر في "**أيريس مارل**" .

ونهض " **أنتوني**" واقفا ، وقد دفع مقعده إلى الوراء بقوة ، وحاول أن يسيطر على غضبه الذي نم عنه احتقان وجهه ، وأخيرا وقف وقال في صوت مهتز النبرات ، ساخر اللهجة :

– "دعنا نناقش إمكاناتها بكل هدوء . فعلى أي أساس حصرت التهمة في "**أيريس مارل**" ؟ وإذا ما صح هذا ، فلماذا تخبرني طائعة بموضوع إلقائها ورقة السيانيد تحت المائدة ؟ ؛

– لأنها كانت تعرف أن "**روث ليسنج**" قد شاهدتها تفعل ذلك .

– فليكن . دعنا من هذه الواقعة . ما أسباب شكك فيها ؟ .

– الدافع هو أنه "**روز ماري**" قد آلت إليها ثروة طائلة لم تشاركها فيها "**أيريس**" . وقد تكون "**أيريس**" لم تر في انفراد شقيقتها بهذه الثروة إنصافا ما ورأت أنها دون شقيقتها ، قد قدر لها بأن تعيش فقيرة في حاجة إليها .

وكانت تدرك أنه في حالة وفاة "**روز ماري**" دون عقب . فإن هذه الثروة ستؤول إليها ، ورأت "**روز ماري**" في حالة انقباض وشقاء ، أثر مرضها بـ"**الإنفلونزا**" ، وهي حالة تفسح المجال للاقتناع بأنها أقدمت على الانتحار ، إذا ما أحكمت تدبير ذلك.. مهلا . . . رويدك قليلا . ثمة سبب آخر حدا بي إلى الشك فيها – وهو سبب بعيد الاحتمال، كما قد يبدو لك وهو "**فيكتور دريك**" .

– "**فيكتور دريك** " ؟

– أجل . وهذا هو السبب في أنني لم أستمع إلى "**لوسيلا دريك**" عبثا . إنني أعرف كل شيء عن أسرة "**مارل**" . إن "**فيكتور دريك**" ليس ضعيفا بقدر ما هو شرير . وإن والدته ، غير المثقفة ، غير قادرة أيضا على تركيز تفكيرها و"**هيكتور مارل**" ضعيف وخبيث و سكير. و"**روز ماري**" عاطفية ، لا يستقر لها حال . هذا هو تاريخ أسرة حافل بالضعف والرذيلة وعدم الاستقرار .

تلك هي الأسباب التي يمكن أن يكون دعامة لنفسية "**أيريس مارل** " الشريرة ونزعتها الإجرامية .

وأشعل "**أنتوني**" سيجارة ، وقد اضطرب عود الثقاب في يده وهو يعقب قائلا :

– ألا تؤمن بأنه قد تنبت زهرة صالحة بين أزهار أغصان أخرى ضعيفة ؟

– هذا محتمل .غير أنني لا أعتقد أن "**أيربس مارل**" هي تلك الزهرة التي تعنيها .

– و ليس من شك في أن ما أقوله لا يعتد به لأنني مدله في حبها .

ويمكن الزعم بأنها بعد أن أطلعها "**جورج**" على هاتين الرسالتين ، قد قررت فيما بينها وبين نفسها أن تتخلص منه بقتله ؟ أليس هذا هو تسلسل آرائك المنطقي ؟

– بلى . إن الذعر قد يدفعها إلى الإقدام على قتله

– وكيف تيسر لها أن تدس السم في كأس "**جورج**" ؟

–"هذا ما لا أعرف ، عنه شيئا .

– أحمد الله أن ثمة شيئا لاتدري كنهه . إنني أحسدك على مصارحتك لي بكل هذه الوقائع . .

– أدرك حقيقة شعورك . غير أنني رأيت أن ما صارحتك به يجب أن يقال . وكان "**كيمب**" يستمع إلى ما يدور بين الرجلين من نقاش ، دون أن يعقب بشيء . وأخيرا اعتدل " **أنتوني**" في مقعده قائلا :

– حسنا . لقد تغير الوضع الآن . إن الأمر لم يعد مقصورا على جلوسنا حول إحدى الموائد ، لنتبادل النظريات الأكاديمية – إن هذه القضية يجب أن يماط اللثام عن كل جزئياتها . ومن المتعين أن نتضافر معا لحل معقداتها . وسأضطلع أنا بهذا الأمر – وسأقوم به بوسيلة أو بأخرى . وسأواصل بجهودي الكشف عما لايعرف كنهه . وسأعيد طرح المشكلة على هذا الأساس . من كان يعرف أن "**روز ماري**" قد قتلت ؟ ومن الذي قام بتحرير تلك الرسائل إلى "**جورج**" ؟ ولماذا كتب إليه محررهما دون غيره ؟ ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجريمتين – واحدة بعد الأخرى . إن الجريمة الأولى قد مضى عليها أكثر من عام ، ولسنا نعرف شيئا عما حدث بالتحديد . غير أن الجريمة الثانية قريبة العهد بنا ، وقد رأيتها تقع أمام عيني ، ولذلك كان من المتعين أن أعرف كيف وقعت .

وأرى الوقت المناسب لدس السم في كأس "**جورج**" كان إبان العرض – غير أن هذا لايمكن أن يصح – استنتاجا ، لأنه شرب من كأسه بعد العرض مباشرة لقد رأيته يفعل ذلك . وبعد أن شرب منه في المرة الثانية ، سقط ميتا . فكيف كان ذلك – كيف دس السم في كأسه – إن أحدا ما لم يكن ليتسنى له ذلك ! هل تتابعان معي مجريات الأحداث ؟

حسنا . لقد وصلنا الآن إلى مرحلة دقيقة . واليكما نظريتي الروحية . فبينما كنا في

حلبة الرقص ، يطوف شبح "**روز ماري**" بالمائدة ويضع السم في كأس "**جورج**" ثم يعود ويشرب نخب "**روز ماري**" ويقع ما نعرفه جميعا ! وحملق كل من الرجلين في وجه "**أنتوني**" دهشا .

وشاهداه يمسك رأسه بيده ، وترنح على مقعده كمن اشتدت به آلام رأسه ، قائلا :

– هذا ما كان .. هذا ما كان .. الحقيقة .. الساقي ..

– الساقي ؟!

– لا ، لا ، إنني لا أعني ماتعنيه . لقد خيل إلي في لحظة ما ، بأن ما نحن بحاجة إليه ،هو أحد السقاة الجدد . ولكن الساقي الذي كان يقوم على خدمتنا كان معروفا لنا – وهو ساق فوق كل مظنة . وهو مازال فوق مستوى الشك – وإن كان قد قام بأداء دوره بجدارة !

رباه لقد قام كنجم من النجوم الممتازة . ألا تدركان معي هذه الحقيقة ؟ لقد كان في وسع الساقي أن يدس السم في كأس الشراب ، ولكن الساقي لم يفعل ذلك . إن أحدا ما لم يلمس كأس "**جورج**" ولكنه مات مسموما . كأس "**جورج**" و"**جورج**" إنهما شيئان منفصلان .. لا تنظرا إلي هكذا ، وكأنني رجل فقد عقله . سأطلعكما على كل شيء .

ونهض يدفع مقعده في شدة ويمسك بذراع "**كيمب**" قائلا :

– هيا معي . "**ريس**" معنا .

وبعد أن استجابا له وهو يمسك بذراع كل منهما ، قال لهما بعد أن تقدموا بضع خطوات .

– هل تريان كشك " التليفون "الذي هناك ؟

– أجل .

ثم عادوا أدراجهم ، بناء على دعوته ، حيث جلس "**كيمب**" مقطبا جبينه وهو يعبث في غليونه بينما راح "**ريس**" يتطلع إلى "**أنتوني**" مقطبا جبينه . وأمسك بقدح الشاي يرشف منه ثم أعاده إلى المنضدة قائلا :

– اللعنة إن به مذاقا غريبا !

وتطلع عبر المنضدة فرأى "**أنتوني**" يبتسم ابتسامة عريضة وعندئذ انبرى "**كيمب**" قائلا وهو يرشف جرعة من قدحه :

– ترى ماعساه أن يكون هذا ؟

وأجاب "**أنتوني**" قائلا :

– قهوة . ولا أعتقد أنك تستسيغ مذاقها ، وهذا ما كان من أمري .

- 27 -

طاب "**أنتوني**" خاطرا بما رآه في أعين رفيقيه من إدراك لما كان يبغيه . غير أنه لم ينعم برضا نفسه طويلا لأن خاطرا تبادر إلى ذهنه . فقال بصوت مرتفع :

– رباه – هذه السيارة .

ثم نهض واقفا وهو يستطرد قائلا :

– ما أشد حماقتي وغبائي ، لقد أخبرتني بأن سيارة كانت موشكة أن تدهمها ولم أعلق كبير أهمية على هذا . هيا بنا ، ولنسرع !

وقال "**كيمب**" معقبا :

لقد قالت إنها ستتوجه إلى منزلها رأسا عندما غادرت الإدارة .

– أجل ، ولماذا لم أصحبها في ذهابها إلى المنزل ؟

– ترى من يوجد الآن بالمنزل .

– لقد كانت "**روث ليسنج**" بالمنزل في انتظار السيدة "**دريك**"

–" هل لـ"**أيريس مارل**" أقارب غير السيدة "**دريك**"

– لا أعرف شيئا عن ذلك .

– أعتقد أنني أتبين اتجاه أفكارك . ولكنك... هل يمكن هذا ؟

– هذا ما أعتقده ..

وأسرع الرجال الثلاثة بالخروج بعد أن انبرى "**كيمب**" قائلا :

– هل تعتقد أن الخطر محيق بها بالآنسة "**مارل**"؟

– أجل ، أعتقد هذا .

واستوقف "**أنتوني**" سيارة أجرة ، استقلها ثلاثتهم إلى ميدان "**فاستون**" ، سائلين السائق أن يسرع بهم . وقال "**كيمب**" .

– إن هذه النظرية الجديدة تستبعد آل "**فاراداي**" من قائمة المشكوك فيهم . حمدا لله أنني لم أترد في هذا الخطأ، وأرجو ألا تكون هنالك محاولة أخرى وشيكة الوقوع ..

وانبرى "**ريس**" قائلا :

– لقد قالت لي "**أيريس مارل**" ، في حضور السيدة "**دريك**" إنها ستتزوج منك فور موافقتك على هذا .

و أخيرا توقفت السيارة بهم أمام بيت ميدان "**فاستون**" ، الذي بدا هادئا وقد خيم السكون عليه .

وأسرع "**أنتوني**" يقفز من السيارة وقد تبعه كل من "**ريس**" و"**كيمب**" . وفتحت الخادمة لهم الباب ، وقد بادر "**أنتوني**" بسؤالها :

– هل عادت الآنسة "**مارل**" إلى المنزل ؟

– أجل يا سيدي ، لقد عادت منذ نصف ساعة .

– وأين هي ؟

– أظن أنها في غرفة الاستقبال معالسيدة "**دريك**" .

وأسرع "**أنتوني**" يرتقي الدرج ، وفي أعقابه كل من "**ريس**" و"**كيمب**" .

وفي غرفة الاستقبال ، وجدوا "**لوسيلا دريك**" تبحث في أحد الأدراج قائلة :

– ترى أين وضعت رسالة السيدة "**مارشام**" ؟

وفاجأها "**أنتوني**" بسؤاله :

– أين "**أيريس**" ؟

– فاستدارت إليه "**لوسيلا**" تحملق في وجهه قائلة :

– "**أيريس**" ؟ إنها ، معذرة ! ترى من عساك أن تكون ؟.

وتقدم "**ريس**" ليقع نظر "**لوسيلا**" عليه . ولم تكن قد رأته أو رأت كبير المفتشين "**كيمب**" بعد . واستقبلت "**ريس**" قائلة :

– عزيزي العميد "**ريس**" ، شكرا لتفضلك بالحضور ، لكم كنت أود أن تبكر بقدومك قليلا . . . فقد كان بودي أن أستشيرك في بعض إجراءات الجنازة ، إن رأي الرجل في مثل هذه الأمور ، له قيمته غير أن الآنسة "**ليسنج**" قد أبدت استعدادها للاضطلاع بهذه المسؤولية عني . .

وهنا قاطعها "**ريس**" بسؤاله :

– أين الآنسة "**مارل**" . .

– "**أيريس**" ؟ لقد عادت منذ برهة . وقالت إنها تشعر بصداع وذهبت إلى غرفتها .

ومضت في ثرثرتها المعهودة إلى أن قاطعها "**كيمب**" قائلا :

– هل انصرفت السيدة "**ليسنج**"

– أجل ، بعد أن أعددنا كل شيء . لقد انصرفت منذ عشر دقائق حاملة الإعلانات التي ستنشر في الصحف . . .

وبينما مضت في ثرثرتها كالعادة ، غادر "**أنتوني**" الغرفة في هدوء . وكان أن توقفت "**لوسيلا**" عن ثرثرتها قائلة :

– من عساه أن يكون هذا الرجل الذي قدم في صحبتك ؟

لقد حسبته أول الأمر أحد مخبري الصحف .

وارتقى "**أنتوني**" الدرج ركضا . وسمع وقع خطوات خلفه ، فاستدار فرأى كبير المفتشين "**كيمب**" فابتسم قائلا :

- إنني أرثي لحال "**ريس**" الآن !

- إنني أضيق ذرعا بالاستماع لكلام لا غناء فيه .

وعندما وصلا إلى الطابق الثاني ، وكان قد أوشك أن يرتقي الدرج إلى الطابق الثالث ، سمع "**أنتوني**" وقع أقدام تهبط الدرج ، فجذب "**كيمب**" من ذراعه إلى غرفة الأستحمام التي كانت قريبة منهما ، وواصلت الخطوات هبوطها الدرج . وخرج "**أنتوني**" من مخبئه يرتقي الدرج إلى الطابق الثالث في طريقه إلى غرفة "**أيريس**" التي طرق بابها مناديا :

"**أيريس**" .. "**أيريس**" . ولما لم يجبه أحد ، حاول أن يتبين ما في الغرفة من موضع مفتاحها ، غير أنه لم يستطع أن يتبين شيئا، وإن كان قد اشتم رائحة أثارت فضوله ، الأمر الذي حدا به أن يستلقي فوق الأرض محاولا أن يتبين هذه الرائحة من فرجة الباب السفلي . ثم نهض واقفا وهو يصيح :

- "**كيمب**" !

ولكنه لم يجد لكبير المفتشين أثرا ، فعاود النداء .

وكان الذي خف يستجيب لندائه هو العميد "**ريس**" الذي أقبل مسرعا يرتقي الدرج. وبادره "**أنتوني**" . قائلا :

- غاز ... إن الغاز ينساب من هذه الغرفة ! إننا مضطران إلى تحطيم الباب وفتحه عنوة.

وتكاتف كل من "**ريس**" و"**أنتوني**" في فتح الباب . وأخيرا تحطم قفله ، فدخلا منه ، وشاهدا "أمامهما "**أيريس**" بجوار المدفأة ، واتجه "**ريس**" رأسا إلى النافذة لتحطيمها ، كما أسرع "**أنتوني**" إليها ، حيث كانت "**أيريس مارل**" محددة بجوار موقد الغاز . وبعد دقيقة أو دقيقتين حمل كل من "**أنتوني**" و"**ريس**" الفتاة فاقدة الوعي إلى الطابق الأرضي حيث أرقداها بجوار إحدى النوافذ . وقال "**ريس**" لـ"**أنتوني**" :

- سأتولى أنا أمر العناية بها ، وعليك أنت باستدعاء طبيب فورا . وأسرع "**أنتوني**" يهبط الدرج وسمع "**ريس**" يقول له :

- لاتقلق . أعتقد أنها ستكون بخير . لقد وصلنا في الوقت المناسب.

ومن البهو ، اتصل "**أنتوني**" تليفونيا لاستدعاء الطبيب ، بينما وقفت "**لوسيلا دريك**" تمطره بوابل من الأسئلة . فاستدار إليها قائلا بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها :

حمدا لله . إن الطبيب يقيم في الناحية الأخرى من الميدان . وسيكون هنا بعد دقيقتين.

– ولكنني يجب أن أعرف ماذا حدث ! هل هي مريضة ؟

– لقد كانت في غرفتها – والباب مغلق – بجوار موقد الغاز ، وقد ملأ الغاز جو الغرفة.

– "**أيريس**" ؟ هل انتحرت "**أيريس**" . ؟ إنني لا أصدق هذا !

وهنا ابتسم "**أنتوني**" وهو يقول : –

– ليس بك حاجة إلى تصديق شيء من هذا القبيل لأن هذا ليس صحيحا .

- 28 -

– "**توني**" ، هل لك أن تحدثني بكل ما كان ؟

وكانت "**أيريس**" مستلقية فوق الأريكة ، وقد انعكست أشعة شمس تشرين الثاني (نوفمبر) على نوافذ "**ليتل برايورز**" . ورمق "**أنتوني**" بعينيه العميد "**ريس**" الذي كان جالسا فوق قاعدة النافذة وهو يبتسم ، ثم أجابها "**أنتوني**" قائلا :

– لقد كنت أترقب هذه اللحظة بفارغ الصبر ، فإذا لم يتسن لي أن أنفض عن صدري ما يضيق به لانفجرت كمدا ، فلا مجال للتواضع في مثل هذه الأمور، ولن أنتظر حتى أسمع منك إطراء لمبلغ حذقي، بل أنا من سيمتدح نفسه بدون تواضع ، إليك ما تبغين :لقد كان الأمر ، في مجوعة ، يبدو بسيطا . إن ما أعنيه أنه كان يبدو كقضية واضحة السبب والنتيجة . إن ما قيل عن انتحار "**روز ماري**" لم يكن صحيحا . وقد أثيرت شكوك "**جورج**" ، الذي بدأ يتقصى الحقيقة والتي اقتربت من نهايتها المرجوة ، وقبل أن يكشف القناع عن شخصية القاتل قتل بدوره . وما أظن إلا أن تتابع الأحداث كان واضحا جليا غير أنه اعترض سبيلنا بعض ما أشكل علينا أمره . ومن هذا القبيل: (أ) – أن "**جورج**" لايمكن أن يكون قد مات مسموما . (ب) – وأن "**جورج**" في الوقت نفسه قد مات مسموما : (ج) – وأن أحدا ما لم يلمس كأس "**جورج**" . و(د) – أن كأس "**جورج**" قد عبث بها . وبناء على ذلك . فقد فاتني أن أدرك حقيقة لها دلالتها – إنه يمكن استبدال الكأس أو القدح الذي كان يشرب منه "**جورج**" أخيرا ؛ لأن كأس "**جورج**" أو قدحه لا يختلف عن غيره . ولكي أدلك على هذا ، قمت بتجربة مع كل من "**ريس**" و"**كيمب**" . فقد كان "**ريس**" يشرب شايا من غير سكر وكان "**كيمب**" يضع السكر في قدحه ، وكنت أشرب قدحا من القهوة

. وكنا نجلس حول مائدة صغيرة بين غيرها من الموائد التي تشبهها.

واستطعت بحركة تمثيلية أن أحمل زميليّ على مغادرة مقعديهما إلى الردهة في صحبتي ، وبحركة خاطفة – حرصت على ألا يشعر بها "**كيمب**" – وضعت غليونه بجوار قدح آخر غير قدحه ، الأمر الذي ترتب عليه بعد عودتنا اتخاذه للمقعد المقابل له . وجلس "**ريس**" عن يمينه ، كما كان يفعل من قبل ، وجلست أنا عن يساره من مكاني السابق منه . ووجد كل منهما تغييرا في محتويات قدحه . وكل ما كانهو أنه موضع الأقداح قد تغير بالنسبة لكل منا . وهذا هو عين ما حدث في مطعم "**لكسمبورج**" تلك الليلة . فبعد انتهاء العرض ، سقطت منك حقيبتك حينما نهضت مع سائر المدعوين إلى حلبة الرقص . والتقط الساقي الحقيبة ... وهو غير الساقي الذي كان يقوم على خدمتكم ... ووضعها حيثما اتفق . وعند عودتك مع "**جورج**" اتجهت دون تفكير إلى المقعد الذي رأيت أمامه حقيبتك – كما فعل "**كيمب**" عند عودته وجلوسه تلقائيا أمام القدح الذي وضع بجواره غليونه ، وجلس "**جورج**" عن يمينك ، في نفس الوضع الذي كان جالسا فيه بالنسبة إليك قبل قيامكما للرقص . وحينما اقترح شرب نخب في ذكرى "**روز ماري**" شرب من كأسك التي حسبها كأسه ، فلقد كنت الضحية المقصودة ، وليس "**جورج**" ! فإذا ما سارت الأمور كما أريد لها ، وشربت من كأسك كما كان منتظرا ، لقال الناس إنك انتحرت كما انتحرت شقيقة لك من قبل ، ويؤيد هذا الزعم وجود الورقة التي بها آثار "السيانيد" في حقيبتك ! مهلا ... أعرف أنك بسبيل سؤالي عن السبب في أن يستهدف أحد القضاء على حياتك ، إنه المال ياملاكي العزيز ! المال ! المال ! لقد ورثت عن "**روز ماري**" ثروتها . فإذا ما قدر أن تفارقي الدنيا قبل أن تتزوجي ، فإن هذه الثروة تنتقل إلى من يليك درجة قرابة – إلى عمتك "**لوسيلا دريك**" . ومن هنا كان من المتعين أن تتصدر "**لوسيلا دريك**" قائمة المتهمين الأكثر ترجيحا ، ولكن ، هل ثمة من مستفيد آخر؟ أجل ، إنه "**فيكتور دريك**" . إن المال في يد "**لوسيلا**" ما هو إلا المال في يد "**فيكتور**" . إن "**فيكتور**" يدرك هذا بحكم تجاربه مع أمه . ومن هنا يصعد "**فيكتور**" إلى المركز الأول من قائمة المتهمين .

– ولكن "**فيكتور**" مقيم بالأرجنتين! إنه في "**أمريكا الجنوبية**" منذ عام تقريبا.

– أواثقة أنت من ذلك ؟ . لقد انتقلنا الآن إلى عقدة القصة كما يقولون. لقد بدأت القصة بهذا اللقاء الذي تم بينه وبين "**روث ليسنج**" . لقد تمكن من السيطرة عليها بعد أن لمس منها إعجابا به . ولو فكرت مليا لرأيت أن وجود "**فيكتور**" في

"**أمريكا الجنوبية**" ، أو أن الاعتقاد بوجوده كان بناء على تأكيد "**روث**" . لقد قالت "**روث**" إنها ودعته حينما سافر على ظهر الباخرة "**سان كريستوبال**" قبل موت "**روز ماري**" ! وكانت "**روث**" هي التي تولت أمر برقيته ، والاتصال بوكلاء "**جورج**" قبل موته هو الآخر . ولقد ثبت فيما بعد أن "**فيكتور دريك**" وصل إلى "**ريو**" على ظهر باخرة أقلعت بعد ليلة وفاة "**روز ماري**" . ولم تتصل "**روث**" تليفونيا بشأن "**فيكتور دريك**" في يوم وفاة "**جورج**" وقد غادر "**فيكتور**" "**بوينس أيريس**" إلى "**نيويورك**" منذ بضعة أسابيع . ومن اليسير أن يدبر أمر إرسال برقية باسمه في يوم معين وقد يدهشك أن تعلمي بأنه كان جالسا إلى المائدة المجاورة لمائدتنا بمطعم "**لوكسمبورج**" مع فتاة شقراء في تلك الليلة – ليلة وصول البرقية المزعومة ! وليس من شك في أنه كان متنكرا – مع العلم بأن أحدا ما لم يكن قد سبق له أن التقى به بضع ثوان سوى "**روث ليسنج**" ، ومهما يكن من أمر ، فقد كنت جالسا وظهري إليه .

– ولكنني لم أسمع بعد كيف تسنى له أن يقترف جريمته !

وتولى العميد إتمام سرد القصة :

– كان هذا من السهولة بمكان . لقد توجه في أثناء العرض بحجة الاتصال تليفونيا ، مارا بمائدتنا لقد كان .. "**دريك**" ممثلا في يوم ما من حياته ، بل وكان أكثر من ذلك . .لقد كان ساقيا . وكان هو الساقي المتستر تحت اسم "**بدرو مورال**" . وكان من اليسير عليه أن يقوم بتأدية الدور خير قيام كممثل سابق وكساقٍ له سابق خبرة بعمله ، علاوة على أنه لم يكن موضع شك من أحد ، وأنكم كنتم معنيين بتتبع العرض .

– وما موقف "**روث**" ؟

– إن "**روث**" هي التي وضعت ورقة "السيانيد" في حقيبة يدك ، وربما تسنى لها ذلك في أثناء وجودكم بغرفة الملابس ، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته ليلة مقتل "**روز ماري**" ، أما عن الرسائل ، فهي التي قامت بتحريرها إلى "**جورج**" ، الذي أطلعها عليها بالتالي ، كشأنه في كل شؤونه ، وهي التي اشتركت معه في إعداد خطته – بعد أن أثارت شكوكه – وأعدته نفسيا لما هو آت . .

– وأنا التي كنت أريد لها الزواج من "**جورج**" ؟

– كان من الممكن أن تصبح خير زوجة له ، لو لم يحدث هذا اللقاء بينها وبين "**فيكتور**" .

– وكل هذا من أجل المال !

وهنا يجيبها "أنتوني" :

– أجل في سبيل المال يرتكب بعض الناس أبشع الجرائم . هذا هو الدافع الأساسي لما أقدم عليه "**فيكتور**" ، أما "**روث**" ، فقد كان لها أكثر من دافع .المال، وحبها لـ"**فيكتور**" ، وكراهيتها لـ"**روز ماري**" . وهي التي كادت تدهمك بالسيارة. وهي التي تظاهرت بمغادرتها منزلكم وصعدت إلى غرفتك .

– لقد طرقت الباب ثم دخلت تقول إن كل شيء قد أعد للجنازة ورأيتها تمسك بمصباحي الكهربائي وتمتدحه ، وبعدها لم أشعر بشيء .

– أجل . وبعدها أغلقت النوافذ ، وفتحت صنبور الغاز ، ثم غادرت الغرفة وأحكمت غلق الباب . إلى آخر ما كان بعد ذلك من إسراعنا إليك ، وأسرع "**كيمب**" في إثرها .

– هل بلغت بها كراهيتها لي إلى هذا الحد ؟

– ليس الأمر أمر كراهيتها لك . . إنها لابد وأن . . تكون قد سمعت بموضوع زواجك مني من "**لوسيلا دريك**" عرضا ، الأمر الذي حدا بها أن تسرع بقتلك قبل أن تتزوجي وأصبح أنا وريثك الوحيد .

– يا للسيدة "**دريك**" المسكينة !

– إنها امرأة بريئة ساذجة لاضرر منها .

– هل ألقي القبض عليه .

– صباح اليوم ، فور وصوله إلى "**نيويورك**" .

– وهل كان سيتزوج من "**روث**" فيما بعد !

– هذا ما كانت تعتقده "**روث**" .

– "**أنتوني**" . أعتقد أنني أصبحت أمقت حصولي على هذا المال .

– فليكن . وإذا ما أردت توجيهه إلى باب من أبواب الخير . إن لدي ما يكفي من مال لعيش رغد وحياة كريمة .

– ونهض العميد "**ريس**" مستأذنا في الانصراف ، متمنيا للخطيبين السعادة والهناءة .

وعاد "**أنتوني**" ، – بعد أن ودعه إلى فراش – "**أيريس**" قائلا :

– إنه ذاهب إلى قصر آل "**فاراداي**" لتناول الشاي

ولفت نظره وجود زهرة وحيدة في وعاء الأزهار وتأملها قائلا :

– فيم احتفاظك بهذه الزهرة في هذا الفصل من السنة ؟

– إنها للذكرى !

– أعتقد أنها كانت تشعر بما تعرضت له من أخطار .

ومد يده يرفع الزهرة إلى شفتيه ، ثم يلقي بها من النافذة قائلا :

– وداعا ، يا "**روز ماري** " ، وشكرا . . .

– وهذه للذكرى . .

تمّت بعون اللّه

- 29 -

الخاتمة

لم يعد هناك الكثير،فقد ألقى رجال البوليس القبض على الأب "**لافيني**" والرجل الآخر وهما يهمان بركوب باخرة إلى "**بيروت**" . وتزوجت "**شيلا ريلي**" بـ"**دافيد إيموت**" ، والواقع أن هذا الشاب هو خير زوج لها فهو ليس بالرجل المسالم الخنوع وسيعرف كيف يروّضها ، ولو أنها تزوجت "**كولمان**" لأساءت معاملته،وبهذه المناسبة قمت بتمريض "**بيل**" في العام الماضي بعد أن أجريت له عملية إزالة الزائدة الدودية.وقد أحببت هذا الشاب كثيراً.وبعد أن شفي أرسلته أسرته إلى جنوب "**إفريقيا**" للاشتغال بالزراعة،أما أنا فلم أعد إلى الشرق بعد ذلك..والغريب أنني أشعر بالحنين إليه من وقت إلى آخر وأتذكر صوت الساقية وأرى النساء يغسلن ثيابهن على شاطىء نهر "**دجلة**" والجمال المتعالية وهي ترميني بنظراتها الغريبة،ومهما يكن فلا ريب أفي ن القذارة صحية على غير ما يقال لنا.ويأتي الدكتور "**ريلي**" لزيارتي كلما أقبل إلى "**لندن**" ..وكما قلت في البداية فإنه هو المسؤول غير المباشر عن هذه القصة،وقد قلت له:

– خذها أو دعها إنني أعرف أنها مليئة من الأخطاء النحوية وأن أسلوبها غير سليم.ولكنه أخذها دون أي تردد وإنه لتأخذني الدهشة كل مأخذ لو أن أحداً رضي أن يطبعها،وعاد السيد "**بوارو**" إلى "**سوريا**"،وبعد أسبوع عاد إلى الوطن في قطار الشرق وعهد إليه في جريمة قتل وقعت به،ولا أنكر أنه كان ذكياً وأنه رأى مالم يره أحد غيره.ويحدث لي أن أفكر في السيدة "**ليدنر**" من وقت إلى آخر وأن أتساءل كيف كانت حقًّا..أراها أحياناً امرأة فظيعة..وأحياناً أخرى أتذكر رقتها معي وصوتها الحنون وشعرها الأشقر الجميل وعندئذ لا يسعني إلا أن أرثي لها من كل قلبي،وعلى الرغم مني أراني أرثي أيضاً للدكتور "**ليدنر**" وإني أعرف أنه ارتكب جريمتي قتل ولكن ليس لي أن أحكم عليه مع ذلك ؛فقد كان يحب زوجته كل الحب وإن من الفظاعة أن يحب رجل امرأة بهذه الصورة.وكلما تقدم بي العمر التقيت بأشخاص يغلب عليهم الحزن والمرض،وكلما ازداد حزني ورثائي أتساءل أين ذهبت المبادىء الصادقة التي ربتني عمتي عليها..كانت امرأة متدينة جداً،لم تكن هناك نقيصة من نقائص الجيران إلا وتعلم بها.أوه ! لقد صدق الدكتور "**ريلي**"..ولا أعرف كيف أتوقف عن الكتابة..لو أستطيع أن أختم قصتي بعبارة جميلة،يجب أن أسأل الدكتور "ريلي" عن عبارة عربية كتلك التي استخدمها السيد "بوارو" :«بسم الله الرحمن الرحيم»أو شيء آخر من هذا القبيل.

غلاف خلفي

امرأة تتمتع بجمال أخاذ . . تكره أن يسيطر عليها أي رجل . . إذا كذبت شفتاها ظهرت الحقيقة في عينيها . . لكن هذه الحقيقة تؤذي شخصا ما فيدبر لها جريمة قتل كاملة ليحملها على الصمت ويعتقد أن أسراره ستختفي في نظرها إلى الأبد ، وفي لحظة ما تشرق الشمس بفيض من اللون الوردي وتسطع الحقيقة ونكتشف شخصية القاتل.
ندعوك عزيزي القارئ إلى قراءة هذه القصة للاستمتاع بها ومعرفة الحقيقة .